

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة لتعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر

معهد الآثار

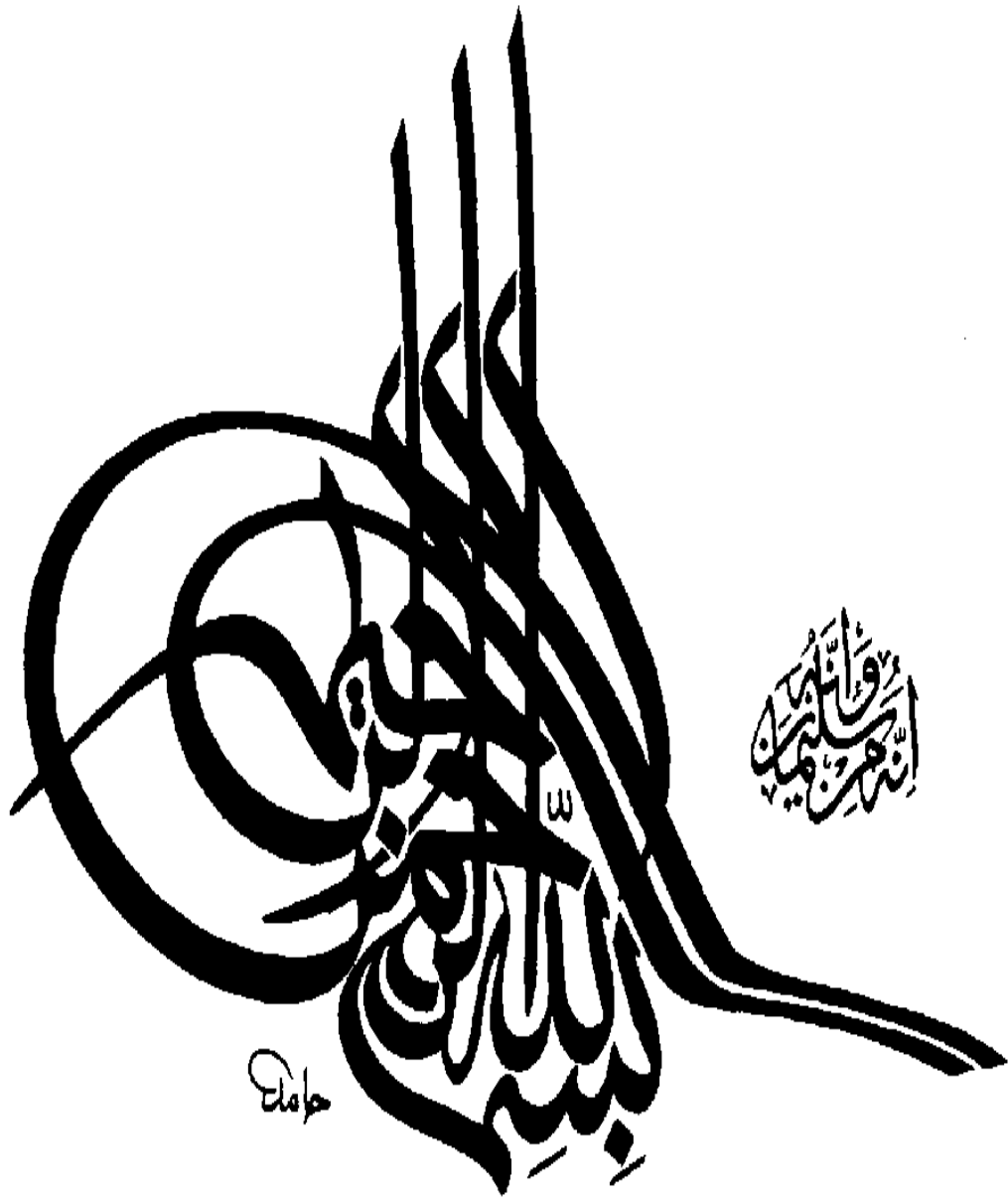
رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية بعنوان :

مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة

تحت إشراف :
أ.د. عبد العزيز لعرج

من إعداد الطالب:
طاهري عبد الحليم

السنة الجامعية 2008-2009



قائمة المختصرات :

1- باللغة العربية :

ج : الجزء

ص : الصفحة

هـ : الهجري

م : الميلادي

سم : سنتيمتر

ت : التحقيق

د.ت : دون تاريخ

د.ط : دون طبعة

ج.ع.2

2- باللغة الفرنسية :

T : Tome

P : Page

S .D : Son date

R.A : Revue africaine

CNRS : Centre national de la recherche Saharienne

التعريف بالموضوع:

تعتبر المدارس إحدى المنشآت المعمارية المهمة في دراسة الحضارة الإسلامية كمؤسسة علمية وثقافية لعبت دورا مهما في تقدم العلوم و المعارف وتطور الحضارة. و انطلاقا من هذه الزاوية فإن دراسة هذا النوع من المؤسسات في الفترة العثمانية في جانبها الأثري يجعلنا نقف على نظامها المعماري كتلة وتخطيطا وأقساما وعناصر ومواد بنائية ومنظومة فنية وزخرفية ، هذا ويرتبط بالمدرسة من جهة أخرى التدريس نفسه من حيث أنواعه ومواده ومحتواه وبرامجه وطرقه وغير ذلك من الجوانب المتعلقة بالمستويات العلمية وعمر الأطفال والطلبة .

لهذا كله جاء اختيار مدرسة صالح باي ومقبرته بسوق العصر في مدينة قسنطينة لتكون موضوع بحث ودراسة رغبة في الكشف عن جانب مهم في ثقافة المجتمع الجزائري وحضارته في فترة كاد الدارسون والغربيون منهم على وجه الخصوص ، أن يتفوقوا على جفاف منابع المعرفة فيها.

تشكل مدرسة صالح باي بقسنطينة جانبا مهما في النسيج العمراني للمدينة وقد اختير فضاءها والفراغ المقابل لها مدفنا لصالح باي وعائلته وذلك على شكل مقبرة تحتوي على عدد من القبور المبنية بالرخام ، محتوية على كتابات وموضوعات فنية ، ويعد هذا الفضاء مكملا للمدرسة وفقا للتقاليد السائدة في المشرق والدولة العثمانية.

أهمية اختيار الموضوع:

تتميز عمارة المدارس بصفة عامة بأهمية كبيرة ، حيث تقوم شاهدا ماديا و دليلا واضحا على وسائل التعليم و أماكنه و كذا مكانته في الفترة العثمانية و بالتحديد بقسنطينة ، و تعبر تلك المباني عن نمط معماري خاص بما احتوت عليه من مكونات معمارية و تعدد في مواد بنائها.

لم يتطرق الباحثون المختصون في المجال الأثري إلى موضوع المدارس العثمانية بالجزائر بصفة عامة و إلى هذه المدرسة "المدرسة الكتانية" بصفة خاصة ، فكل ما كتب عن المدارس لا يعدوا شذرات وردت ضمن دراسات عامة في العمارة والفنون المغربية الإسلامية ، كما أن المدرسة الكتانية أشير إليها في بعض الكتابات غير أن الدراسة الفعلية لم تتم.

لقد تناولت العديد من الدراسات العمارة العثمانية في الجزائر من مختلف أنواعها: الدينية كالمساجد و الأضرحة و المدنية كالقصور و المنازل ، و العسكرية كالأربطة و الحصون ، ولم يكن اهتمامهم بالعمائر العلمية و هي المدارس.

إن اختيار موضوع "المدرسة الكتانية في مدينة قسنطينة" ناتج أساسا عن رغبة ملحة في كشف بعض اللبس عن هذا الجانب من العمارة في هذه الفترة ، باعتبار أن المدارس قبل الفترة العثمانية تم التطرق إليها من طرف المؤرخين و الباحثين الأثريين.

الإشكالية:

لقد ذكر لنا المؤرخون العديد من المدارس التي تعود للفترة العثمانية ، ومن بينها "المدرسة الكتانية بقسنطينة" لقد أخذناها كنموذج لمعرفة نظام المدارس العثمانية بالجزائر حبا للإطلاع والمعرفة على أسرار العمارة في هذه الفترة بالإضافة لكونها لم تحظى بدراسة علمية وافية.

وانطلاقا من هذه الزاوية فقد كان لمدينة قسنطينة نصيب وافر من هذه المؤسسات التي وجدت كنتيجة حتمية

لحركة التعليم المتزايدة و المتطورة و قد حددنا ثلاث عناصر أساسية :

* العنصر الأول: فهو فكرة البحث العامة و التي تتمحور حول المدرسة.

* العنصر الثاني: هو الإطار المكاني للبحث و المتمثل في مدينة قسنطينة.

* العنصر الثالث: فهو الفترة التاريخية و المتمثلة في الفترة العثمانية .

و تتمحور الإشكالية الرئيسية للموضوع حول محاولة تسليط الضوء على هذه المؤسسة التعليمية ، و تندرج ضمنها بعض الإشكاليات الجزئية :

1- هل ساهمت المؤسسات التعليمية (المدارس) في نشر العلوم و تثقيف الشعب الجزائري في الفترة العثمانية؟.

2- ماهو دور صالح باي في النشاط التعليمي بمدينة قسنطينة؟.

3- هل تأثر بناء المدرسة الكتانية بما كان موجودا في بلاد المغرب الإسلامي من مدارس؟.

4- هل حافظت المدرسة على المخطط العام للمدارس المغربية؟.

5- أهم المكونات المعمارية للمدرسة الكتانية والمقبرة العائلية لصالح باي؟.

6- أهم مميزات المدرسة من الناحية الفنية؟

7- أهم التجديدات من الناحية المعمارية و الفنية؟

نقد المصادر والمراجع :

لقد كان الاعتماد على بعض المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع من زاوية أو من أخرى أمرا ضروريا ، ومنها المصادر المعاصرة للفترة العثمانية والتي سمحت لنا من الاستفادة عموما حول هذا الموضوع في مدينة قسنطينة ومنشآتها ، ولعل أبرز هذه المصادر :

1- محمد الصالح بن العنتري : فريدة منيصة في خال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ، عمل بن العنتري في المكتب العربي بمصلحة الشؤون العربية في مدينة قسنطينة في أوائل فترة الاحتلال الفرنسي للمدينة ، وقد ألف هذا الكتاب تلبية لرغبة أحد الضباط الفرنسيين وهو (بواسوني Boissennet) رغبة منه في الإطلاع الواسع عن تاريخ المدينة في الفترة العثمانية ، لقد كانت استفادتنا كبيرة من هذا الكتاب خاصة في مجال تاريخ البايات الذين حكموا بايلك الشرق وكذا التاريخ المفصل للمدينة وذلك بالرغم من بعض العيوب التي نجدها بهذا الكتاب خاصة المتعلقة بالأخطاء في ذكر التواريخ .

2- شعيب محمد الهادي : أم الحواضر في الماضي و الحاضر أو تاريخ قسنطينة ، يتناول هذا الكتاب تاريخ مدينة قسنطينة في الفترات المختلفة وركز الكاتب على الفترة العثمانية ، كما تحدث عن المدرسة الكتانية وأهم المشايخ الذين درسوا فيها بعد إعادة فتحها من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية . يعتبر هذا الكتاب من أبرز المصادر التي تحدثت عن تاريخ قسنطينة بشكل مفصل ويمكن اعتبار هذا الكتاب مصدر لأنه استقى المعلومات من مصادر أصلية أبرزها ابن الفكون .

3- الحسين بن محمد الورثياني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ ولأخبار ، لقد ألف هذا العمل أثناء آدائه لرحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، وقد كان له شعور قوي بالتاريخ ، فعزم أن يكتب عملا ضخما يضاهاى أو يفوق به عمل العياشي فكتب هذا المؤلف ، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى في الفقه والتصوف ، وقد كانت استفادتنا قيمة من هذا المصدر خاصة فيما يخص التطور التاريخي والعمراني للمدينة في العهد العثماني .

4- ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمان 808/732 هـ/1332-1406م في مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، وهو ينقسم إلى أربعة أقسام : المقدمة وقد كتبها بين سنة 776 - 780 هـ/1375-1378م بقلعة بني سلامة وتشتمل عدة أقسام منها العمران البشري والبدوي والكسب والصنائع والعلوم ، ومما يلاحظ على كتاب ابن خلدون هو تفاوت الأهمية بين مختلف المواضيع. وقد ركزنا على هذا المصدر خاصة في فصل مواد البناء لأنه تحدث عنها بشيء من التفصيل.

5- الحسن بن محمد الوزان المعروف بالأسد الإفريقي 893-944هـ/1488-1537م، من مؤلفاته وصف إفريقيا ، حيث جمع فيه بين كتب الرحلات وكتب المسالك وتشتمل هذه الرحلة على ثلاثة كتب رئيسية موزعة على تسعة أقسام.

وقد اعتمدنا على هذا المصدر لأن المؤرخ عاش في الفترة الانتقالية بين أواخر الدولة الزيانية وأوائل الفترة العثمانية وخاصة فيما يتعلق بالجانب التعليمي بالغرب الجزائري.

وإضافة إلى هذه المصادر في مجال التاريخ والعمارة فقد اعتمدنا على مصادر ومراجع أخرى في مجال التاريخ والعمارة والفن ففي مجال التاريخ نذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" الذي تناول الجانب الثقافي للجزائر في العهد العثماني ويعتبر هذا العنوان من أبرز الكتب المتخصصة في هذا الجانب ، بالإضافة إلى كتاب " مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية" لفيلاي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي ، كما اعتمدنا على مراجع أخرى في مجال العمارة والفنون أبرزها: لزكي محمد حسن "فنون الإسلام" ، وكذا عبد العزيز مرزوق "الفنون الزخرفية في العهد العثماني" وقد استفدنا من هذه المراجع في مجال الدراسة المعمارية ودراسة العناصر المعمارية .

Marçais (G.)

كما اعتمدنا على مراجع أخرى باللغة الأجنبية أبرزها:

Maroc «C- l'architecture musulmane d'occident (Tunisie,Algerie), Espagne et Sicile»

Mercier(G.)

« corpus des inscription Arabes et Turques de l'Algérie »

وقد استفدنا من المرجع الأول في مجال العمارة ، أما المرجع الثاني فقد استعملناه في تحليل الكتابات الواردة في المقبرة .

كما كان الاعتماد ضروريا على بعض القواميس والموسوعات والمعاجم خاصة تلك المتعلقة بالعمارة والعمارة والفنون الإسلامية وأبرزها موسوعة العمارة و الآثار و الفنون الإسلامية لحسن الباشا وكذا موسوعة الخط العربي لكامل سليمان الجبوري .

كما كان الاعتماد على بعض المقالات في مجلات مختلفة أبرزها مقال لـ Vaysstes(E) في مجلة (R .C) بعنوان :

« Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837
Constantine »

وقد تحدث فيه عن أبرز القوانين التي أصدرها صالح باي في مجال تنظيم التعليم في قسنطينة بصفة عامة وفي المدرسة الكتانية خاصة وكذا عن مكونات المدرسة الكتانية ، وهذا المقال مهم للغاية بالنسبة للباحثين في مجال

التعليم في قسنطينة في الفترة العثمانية. بالإضافة إلى مقال أ.د عبد العزيز لعرج في مجلة العلوم الإنسانية بعنوان « المدارس الإسلامية » والذي أورد فيه تاريخ المدارس في المشرق والمغرب وتطوراتها عبر العصور المختلفة . أما الدراسات الأكاديمية التي كانت موجهة لنا ، فقد اعتمدنا على دراستين أساسيتين: الأولى للدكتورة فاطمة الزهراء قشي " قسنطينة المدينة و المجتمع " (جامعة قسنطينة) والثانية للدكتور عبد العزيز محمود لعرج " المباني المرنية في إمارة تلمسان الزيانية " (جامعة الجزائر).

المنهج المتبع في دراسة الموضوع:

من أجل دراسة موضوع "المدرسة الكتانية والمقبرة العائلية لصالح باي بمدينة قسنطينة" سنعتمد على منهجين أساسيين لذلك و هما المنهج النظري و المنهج التطبيقي ، فأما القسم النظري فسنستعين بأهم المصادر و المراجع التي تناولت تاريخ المدارس في المشرق والمغرب وكذا التعليم في الفترة العثمانية بالإضافة إلى تاريخ قسنطينة في العهد العثماني ، كما اعتمدنا على كتب في العمارة والفنون ، أما القسم الثاني فهو المنهج التطبيق (الدراسة الميدانية) فتتمثل في معاينة المدرسة ودراسة أهم عناصرها المعمارية والزخرفية دراسة تفصيلية دقيقة ومسجلة ، وتسجيل العناصر بالصور الفوتوغرافية التوضيحية ورسوم تخطيطية لمختلف أجزائها مع أخذ مقاسات وتفريغ الزخارف وتحليل المعلومات.

خطة البحث :

و للإجابة عن كل الأسئلة و بالنظر إلى ما استطعنا تحصيله من مادة علمية ، ارتأينا أن نقسم الموضوع إلى أربعة فصول يتقدمها فصل تمهيدي و مقدمة و خاتمة تناولنا فيه التعريف بأهمية التعليم في العالم الإسلامي ثم أشرنا لأهم مراكز التعليم الأولى في الإسلام مع التركيز على أهم المدارس بالمشرق والمغرب واختلاف تركيبها حسب المذاهب التي كانت سائدة في كل منطقة ، و بعدها تطرقنا إلى ظهورها في بلاد المغرب و أهم المدارس التي ظهرت فيه ، و بعدها سنتحدث عن التعليم في العهد العثماني بالجزائر و أهم المدارس في هذه الفترة بالإضافة إلى العلوم المدرسة و مناهج ذلك و نظامه و برامج و طرقه و أنواعه.

- **الفصل الأول :** فقد خصصناه للموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة وطوبوغرافيتها ، و أهم ما قيل فيها من قبل الرحالة و الجغرافيين و كذا تطرقنا إلى جانب عن تاريخ المدينة منذ العصور القديمة إلى وقتنا الحاضر كما تحدثنا عن المؤسس و أهم أعماله بالإضافة إلى تاريخ المدرسة و نظام سيرها وكذا المقبرة.ولماذا احتلت مكانها الموقعي ذاك إلى جانب المدرسة.

كما تحدثنا عن جانب مهم في استمرارية المؤسسات الدينية والثقافية في مجال العطاء والمواصلة قدما نحو الأمام في تكوين الأجيال ألا وهو نظام الأوقاف ، وأهم مميزاتها في فترة صالح باي.

- **الفصل الثاني :** فقد تطرقنا للدراسة الوصفية المعمارية للمدرسة والمقبرة من حيث المكونات المعمارية وكتلتها وأقسامها ونظامها المعماري ومنظومتها الفنية بالإضافة إلى المقبرة العائلية للمؤسس.

كما تحدثنا عن أبرز الزخارف المعمارية المتواجدة في المدرسة والمقبرة ومدى تأثرها بالزخارف المتواجدة في العالم الإسلامي في مختلف الفترات.

الفصل الثالث : تناولنا فيه المخطط العام للمدارس الإسلامية في المشرق والمغرب وكذا في العصر العثماني وأبرزنا العناصر المشتركة وغير المشتركة بين هذه المخططات ، وقمنا بدراسة فنية تحليلية لأهم الزخارف المتواجدة في المدرسة والمقبرة من حيث الموضوعات والعناصر (النباتية و الهندسية و الكتابية والحيوانية والرمزية) .

الفصل الرابع : تناولنا فيه أهم المواد المستعملة في عملية البناء وكذا طرق استعمالها وأهم المناطق التي استعملت فيها هذه المواد ، كما أبرزنا أهم الطرق المستعملة في الزخرفة بالمدرسة والمقبرة وكذا التقنيات المستعملة في الزخرفة.

- وتحدثنا في آخر البحث عن أهم التغييرات التي حصلت للمدرسة والمقبرة سواء كانت ترميمات أو زيادات وهذا في الفترات المختلفة .

- وختمنا هذا البحث بملخص فيها حوصلة لنتائج دراستنا ، حيث حاولنا الإجابة على أهم الإشكاليات التي طرحت في المقدمة ، وقد زدنا البحث بأشكال وصور ومخططات للمدرسة والمقبرة.

الفصل التمهيدي :

الحياة الثقافية

الفصل التمهيدي : الحياة الثقافية

1- موقف الدين الإسلامي من العلم والتعليم

2- مراكز التعليم الأولى في الإسلام

أ- دور السكن

ب- المساجد

ج- الكتاتيب

د- دور الحكمة

د-1- دور العلم

د-2- بيوت الحكمة

هـ - البيمارستان

3- ظهور المدارس وتطورها

أ- تعريف المدرسة

ب- نشأة المدارس وتطورها في المشرق الإسلامي

ج- نشأة المدارس وتطورها في بلاد المغرب الإسلامي

4- التعليم في الجزائر في العهد العثماني

أ- التعليم في العاصمة

ب- التعليم في تلمسان

ج- التعليم في قسنطينة

5- العلوم المدرسة

6- أهم المدارس في الفترة العثمانية

أ- المدرسة القشاشية في العاصمة

ب- مدرسة الأندلسيين بالعاصمة

ج- مدرسة شيخ البلاد بالعاصمة

د- مدرسة الخنقة بيسكرة

هـ - مدرسة مازونة بتلمسان

7- الإنفاق على المؤسسات

8- الضريح صالح باي ومقبرته العائلية

ستعرض في هذا الفصل للنقاط التالية:- تعريف التعليم - التعليم في الإسلام - مؤسسات التعليم ومراكزه وكذا التعليم في الفترة العثمانية ، ونشير إلى بعض المظاهر الفنية التي ميزت هذا العصر ، ثم نتعرض إلى المؤسسات الثقافية من مدارس ومساجد وزوايا ، كما نتطرق إلى كيفية تنظيم المدارس وتمويلها. إن الجزائر في الفترة العثمانية ساهمت بفعالية في إثراء الفكر الإسلامي في جميع مجالاته ، وجميع المدن الجزائرية في تلك الفترة كان بها علماء ومفكرون ، وامتازت كل من قسنطينة والجزائر وتلمسان بالنصيب الأوفر من هؤلاء العلماء .

وسنحاول في هذا الفصل إبراز كل مايتعلق بالجانب التعليمي من ظهور الإسلام مشرقا ومغربا وسنركز على الفترة العثمانية بالجزائر.

1- موقف الدين الإسلامي من العلم والتعليم :

لقد جاء الدين الإسلامي ليخرج البشرية من الظلمات إلى النور فكانت أول آية نزلت على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هي قوله تعالى " اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم" (1) إضافة إلى آيات كثيرة تذكر العلم وأهله وتشيد بهم وتترهم منزلة الملائكة كقوله تعالى " شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائما بالقسط" (2) . وكذلك قوله تعالى منصصا على التلاوة وتعلم الكتاب والحكمة " ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم" (3) .

و قد فضل الله تعالى الذين يعلمون على غيرهم في قوله تعالى " وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (4)

كما ميز الله تعالى العلماء على غيرهم ، ووضعهم موضعا أسمى من الغير وأنزلهم منزلة سامية في قوله تعالى " يرفع الله الذين آمنوا والذين آمنوا وتوا العلم درجات" (5) .

كما يأمرنا الله تعالى بالمواصلة في درب العلم لأن زاد الإنسان من العلوم يبقى ضعيفا أمام معرفة الله وذلك في قوله تعالى " وقد ربي زدني علما" (6) .

وعلى هدي القرآن سار الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوا بدوره إلى الإمام بالعلوم وتحصيل المعرفة فمنذ الأيام الأولى للرسالة شرع المسلمون في التعلم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول معلم في الإسلام ، وأول الداعين إلى طلبه والبحث عنه لأن العلم مفتاح الرقي والازدهار وهناك عدة أحاديث في هذا الشأن منها :

(1) - القرآن الكريم ، سورة العلق ، الآيات من 1 إلى 5.

(2) - القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية 18.

(3) - القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية 128.

(4) - القرآن الكريم ، سورة الزمر ، الآية 9.

(5) - القرآن الكريم ، سورة المجادلة ، الآية 11.

(6) - القرآن الكريم ، سورة طه ، الآية 114.

"طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" (1) . و ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين طلب العلم وورود الجنة في قوله:

"من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله طريقا إلى الجنة" (2) ، بل جعل درجة أهل العلم تأتي مباشرة بعد النبوة كقوله "أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد" (3) .

بل أن الدنيا لا تبلغ إلا بالعلم ، وأن الآخرة لا ينالها العباد إلا بالعلم مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم "من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم" (4) .

من هنا تتبين أهمية العلم في الإسلام حيث وضعه الله ونبيه في أعلى الدرجات وأسمى الأمكنة وأن الحياة لا تستقيم إلا به ولا تنمو إلا من خلاله.

لقد سار الخلفاء الراشدون على نهجه وأكملوا مهمته في الدعوة إلى العلم وتعليمه وتوجيه المسلمين إلى تحصيله من خلال إرسال العلماء والفقهاء إلى الأمصار والقرى والأرياف لتفقيه الناس في مبادئ الدين وتعليمهم إياه ، فاجتمعوا بالناس في المساجد وفي الساحات ليزودوهم بالعلوم والمعارف ، ذلك لأن الصحابة أخذوا معارفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم ، لذلك اجتمع الناس حولهم لينهلوا من علم فرضه الله على المسلمين (5).

وبذلك سن الرسول الكريم والخلفاء الراشدين بعده نهجا سارت عليه أمة الإسلام في طلب العلم والتعلم فاقبلوا على علوم الأمم الأخرى يتزودون منها ويترجمونها إلى لغتهم ، واشتدت حركة الترجمة في العصر العباسي وبعده ، وشجع الخلفاء والحكام وعلية القوم من المسلمين ذوي القدرة هذه الحركة فأدت أكلها فانتشر بذلك التعليم في أوساط المجتمع الإسلامي بين الكبار والصغار.

وكان من اهتمام المسلمين بالعلم والتعليم والمعرفة أن اشتدت حركة بناء دور العلم ومنشآت التعليم في جل الأقطار وتبارى الناس في ذلك وتنافسوا ، فظهرت مراكز ومؤسسات تهتم وتسهر على هذه المهمة ، ففي الفترة الأولى للإسلام (القرون الأولى) م تنشأ مؤسسات تعنى بالتدريس فقط (المدارس) ولكن كانت هناك عدة مؤسسات أخرى نابت عن المدارس في المراحل الأولى للإسلام .

(1) - الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مطبعة الميمنة ، مصر ، 1312هـ/1894م ، ج1 ، ص10 .

(2) - أبو عبد الله البخاري ، صحيح البخاري ، المكتبة الحسينية ، القاهرة ، ط1 ، 1328هـ ، ج1 ، ص26 .

(3) - الغزالي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص48 .

(4) - البخاري ، المصدر السابق ، ص48 .

(5) - حيدر كامل ، العمارة العربية الإسلامية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1995 ، ص8 .

2- مراكز التعليم الأولى في الإسلام :

لقد عرف المسلمون منذ بداية عهدهم بهذا الدين الجديد عدة مراكز للتعليم ويمكن اعتبارها مؤسسات تقليدية ظهرت قبل إنشاء المدارس، واهم هذه المؤسسات التعليمية:

أ- المساجد:

بنى المسلمون المساجد وعمروها وجعلوها مراكز لمدتهم الجديدة ودورا يتعلمون فيها وذلك لأن القرآن الكريم حث المؤمنين على تعمير بيوت الله مصداقا لقوله تعالى " **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ** **الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ** " (1).

و أول مسجد في الإسلام هو مسجد قباء، وتذكر المصادر التاريخية أن أول حلقة تعليمية في المساجد كانت هي حلقة الرسول صلى الله عليه وسلم في جامع المدينة (2).

لقد تعددت حلقات التعليم في المساجد وكان العلماء يقصدونها لتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم ، وقد انتشرت العديد من المساجد في هذا المجال : مسجد الرسول بالمدينة - الجامع الأموي بدمشق - جامع المنصور في بغداد - الجامع الأزهر بالقاهرة - جامع القيروان بتونس - جامع القرويين في فاس وجامع أغادير في تلمسان.

ب- دور السكن:

إلى جانب المساجد اتخذت الدور في التعليم وعقد مجالس العلم والحوار العلمي وذلك اقتداء بالرسول الذي اتخذ في حياته من بيته إلى جانب المسجد مكانا للتعليم ومجالسة العلماء ، فكانت مركز يلتقي فيه أصحابه ومن تبعه ، ليعلمهم أصول الدين الجديد ويسمعهم ما نزل من آيات القرآن الكريم ، وهي دار أبي الأرقم . وظل المسلمون على هذا الحال إلى أن شيّد الرسول صلى الله عليه وسلم مسجده في المدينة فاستخدمهما معا وقد انتشرت هذه الظاهرة بانتشار الإسلام في جميع المناطق التي وصلها وكان يؤمها المعلمون والمتعلمون وقد ظلت وظيفتها مهمة حتى بعد انتشار المساجد كمتزل الرئيس بن سينا(3)

(1) - القرآن الكريم ، سورة التوبة الآية 19 .

(2) - هشام نشاي ، المؤسسات التعليمية في المدينة الإسلامية ، اليورسكو، السيكومور ، 1983 ص71.

(3) - كامل حيدر ، المرجع السابق ، ص10.

ج-الكتاتيب:

لم تكن موجودة قبل الإسلام ، والكتاب هو موضع تحصيل المبادئ الأولية لفنون المعرفة والكتابة وكان رواه غالبا من الصبيان (1) وقد أشار إليها ابن خلدون بقوله: "وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ، ولا أدري لما عنايتهم منها والذي ينقل لنا عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشيبية ولا يخلطونه بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على إنفراده كما تتعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان " (2).

وكان هناك نوع آخر يعرف بدور القرآن، يدرس فيها القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامي (3).

د- دور الحكمة : وهي نوع من المكتبات وتنقسم إلى :

د-1- دور العلم :

هي المكتبات الكبيرة حيث أنشأت في مختلف أرجاء العالم الإسلامي وقد احتوت رفوفها على آلاف الكتب العربية والأعجمية والمترجمة. وأولها دور العلم التي أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة (395هـ /1006م) (4).

د-2- بيوت الحكمة :

تعد من أهم المنشآت التعليمية التي لعبت دورا هاما في نشر التعليم والثقافة في بعض مدن العالم الإسلامي. لقد أوردت المصادر أن عبد الله ابن أم مكتوم عند مهاجرته إلى المدينة نزل دار القراء وهذا دليل على وجود هذا النوع المخصص للقراءة والدرس (5).

ومن هذه الدور المشهورة (دار الحكمة) التي أنشأها الخليفة العباسي هارون الرشيد في بغداد حوالي سنة (185هـ/801م) والتي لاقت شهرة واسعة .

ومن مهامها أيضا ترجمة كتب الحضارات السالفة العلمية والأدبية إلى العربية وكانت تنسخ منها عدة نماذج لتكون في متناول القراء (6).

(1) - محمد منير مرسي ، التربية الإسلامية ، عالم الكتاب ، القاهرة ، 1985 ، ص226.

(2) - عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، تحقيق. أ.م. كاترمير، المجلد3 ، طبعة بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص262.

(3) - أحمد شليبي، تاريخ التربية الإسلامية ، المكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1960 ، ص41.

(4) - محمد منير عيسى ، المرجع السابق ، ص240.

(5) - أحمد عبد الرزاق ، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ، ط1 1411هـ/1991م ، ص22.

(6) - علي كرد ، خطط الشام ، مطالع دار القلم ، بيروت ، ط2 ، 1392هـ/1972م ، ج6 ، ص71

هـ - اليمارستان⁽¹⁾ (المستشفيات) :

وهو مكان مخصص لمعالجة المرض ، وقد استخدم أيضا في تدريس كل ما يتعلق بالطب والصيدلة ، أول من أنشأها هو الوليد بن عبد الملك الذي أقام ييمارستانه في دمشق حوالي سنة (86هـ/705م) ، بالإضافة إلى اليمارستان الذي بناه الخليفة العباسي المنصور في بغداد⁽²⁾ . إلى جانب هذه المؤسسات المذكورة ظهرت أنواع أخرى محدودة الفعالية ، لأن عملها لم يقتصر على التعليم فقط ومن أبرزها :

- الزوايا :

الأصل فيها هي مكان في أحد أركان المسجد يتخذها العلماء أثناء التدريس ويواظبون على الجلوس فيه مع طلبتهم على هيئة حلقات تتخذ شكل نصف دائري حول المعلم أو المدرس ، فلما انتشر التدريس خارج المساجد وأصبح لكل عالم أو أكثر بناء مستقل يحضر فيه الطلاب اصطلاح الناس على إطلاق اسم الزاوية على هذا البناء كما اصطلاحوا على تسمية من يلزم الحضور إلى الزاوية أو التجرد لخدمتها باسم الزاوي أو الزاوي⁽³⁾ . فعرف مثلا مكان دراسة الإمام الشافعي بزاوية الإمام الشافعي ، لأنه كان يدرس فيه الفقه⁽⁴⁾ وهي نفس الطريقة في المساجد.

- حوانيت الوراقين :

مهمتها الأولى تجارية ولكنها اتخذت أيضا مهمة علمية وثقافية حيث كان يؤمها الكثير من الأدباء والعلماء واتخذوا منها مكان لاجتماعهم ومناظراتهم وقد ازدهرت خاصة في بغداد التي عرفت تطورا كبيرا في مختلف المجالات⁽⁵⁾ .

- الخوانق :

معناها البيت والدار وأصلها فارسي وتعتبر من الأماكن المخصصة لإيواء الفقراء والصوفية وهي عبارة عن أوقاف ، نظامها المعماري يتكون من مجموعة غرف بالإضافة إلى قاعة للصلاة وأخرى للدرس⁽⁶⁾ .

(1)- ييمارستان كلمة فارسية مركبة من مقطعين "يما" مريض ، و"ستان" أي دار .

أنظر :مصطفى عبد الكريم الخطيب ،معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة بيروت ط1 1996 ، ص96 .

(2)- أحمد عيسى ، تاريخ اليمارستانات، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981 ، ص4 .

(3)- طه الولي ، المساجد في الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1409هـ / 1988م ، ص91 .

(4)- محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني ، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت ، ص105 .

(5)- شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية ، ط11418هـ/1997م ص198-199 .

(6)- عبد الله عبد الدايم ، التربية عبر التاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1973 ، ص160 .

كما جعلت فيها خزائن للكتب ، لم يعرف هذا النوع في بلاد المغرب ⁽¹⁾ وكانت الدولة تتكفل بالمقيمين بها.
- الربط:

جمع مفردة رباط ، وهي في الأصل الثكنة العسكرية التي كان المسلمون يرابطون فيها في الثغور وحدود الدولة الإسلامية ، لمراقبة الثغور والدفاع على التخوم ، وعندما توقف المد الإسلامي وبدأت قوة المسلمين بالتراجع وهيبتهم بالانحصار والتقلص ، تغير مفهوم الرباط وأصبحت هذه الكلمة تعني شيئا قريبا من مفهوم الزاوية ، أي تطلق على المكان الذي يأوي أهل الطرق الصوفية والزهاد ⁽²⁾ .

وكانت الربط تحتوي على مكتبات بها عدد كبير من الكتب في مختلف فنون المعرفة أهمها الكتب الدينية وكانت هذه الربط كثيرة في العالم الإسلامي وبلاد المغرب والأندلس، ولكنها قلت بعدما ضعف المسلمون وهدم أكثرها وما ظل منها تحول إلى التصوف والزهد وفي بلاد المغرب ما زال أهم رباطين في الإسلام هما رباط سوسة والمنستير بتونس .

لقد لعبت كل هذه المراكز السالفة الذكر دورا كبيرا في نشر العلم والمعارف بين المسلمين وكونت رجال علم شهد لهم التاريخ بمعجزاتهم في الإبداع والابتكار في كثير من فنون المعرفة.

3- ظهور المدارس المدارس :

يعتبر المؤرخون مطلع القرن 5هـ / 11م نقطة تحول قمي تاريخ الدولة الإسلامية مشرقا ومغربا سببتها جملة من التحديات السياسية والاجتماعية والدينية في الداخل والخارج وكذا تراجع حركة الفتحات والجهاد ، الشيء الذي أدى إلى طمع الأعداء كالبيزنطيين والغرب المسيحي الذي بادر بالهجوم على المسلمين فيما يعرف بالحروب الصليبية .

ففي غربه سقطت الخلافة الأموية بالأندلس سنة 422هـ ، وفي المشرق ضعفت الدولة العباسية وسيطر عليها الأعاجم من فرس وترك ، في الوقت الذي قامت فيه خلافة شيعية فاطمية فتية تسعى للسيطرة والنفوذ والحلول محل العباسيين ، وتحولت الخلافة السياسية التقليدية إلى صراع بين السنة والشيعية وإلى تناحر مذهبي شديد متخذاً للعلم وسيلة للإقناع وسبيلا لإضعاف الخصم ، في ظل هذه الظروف لجأ العلماء المسلمون إلى استحداث نظام المدارس كسبيل للإصلاح والتجديد الداخلي ومواجهة الأعداء خارجيا ⁽³⁾ .

(1) - طه الولي ، المرجع السابق ، ص 104-406.

(2) - محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 105.

(3) - عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرنية في إمارة تلمسان الزبانية دراسة أثرية معمارية فنية ، ج 1 ، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1999 ، ص 296.

أ- تعريف المدرسة :

لقد أورد المقريري تعريفا للمدرسة نقلا عن ابن سيدة وابن جبير أنها مشتقة من الفعل (درس الكتاب) يدرسه درسا وكتابة ، إذ كرره للتمكين منه ، والمدرس هو الموضع الذي يدرس فيه⁽¹⁾ وهي أي المدرسة عند آخرين كلمة عبرية عرفت لها اللغة العربية قبل الإسلام ، والمدرسة منشأة من مستحدثات الإسلام فلم تكن معروفة قبله كما لم تكن معروفة قبل الربع الثالث من القرن 5هـ / 10م فالمقريري يذكر مما يلي : "المدارس مما حدث في الإسلام ... وإنما حدث عملها بعد المائة الرابعة من سني الهجرة وأول ما حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية⁽²⁾ .

والمدرسة في الإسلام هي المكان الذي يدرس فيه الفقه الإسلامي بالدرجة الأولى وفيها أيضا يدرس التفسير والحديث والرياضيات والطب والصرف والنحو والآداب ، ويقوم مدرس أو من ينوب عنه بأعمال التدريس، وبما أن هذه المؤسسات جاءت خصيصا لتحصيل العلم وتعليم المذاهب الفقهية⁽³⁾ .

تعد المدارس من بين دور العلم والمعرفة ، وأكثرها تخصصا في ذلك وظهرت إلى جانب المساجد وأدت وظيفتها بموازات معها.

إن المدرسة في المصطلح هي مؤسسة لتدريس العلوم الإنسانية ودراسة علوم الشريعة بصفة خاصة التي تضم مجموعة من العلوم المساعدة كالآداب والفلسفة وعلوم اللغة ، كما يمكن أن تدرس بها علوم الطبيعة والطب وما إلى ذلك. وتعتبر المدرسة نتاج لثلاث مراحل تطويرية للمؤسسة التعليمية في الإسلام :

- 1 - كانت فيها عملية التعليم تتم داخل المسجد أو الجامع الذي يتخذ بدوره للصلاة.
- 2 - مؤسسة تجمع بين المسجد والخان الذي يستخدم لإيواء الطلبة الأجانب عن المدينة.
- 3 - وهي المدرسة بصريح العبارة بأسسها ونظامها تستجيب لوظيفة المسجد والخان اللذان يجتمعان فيها وهي قائمة وقف أو عدة أوقاف ، يجد فيه الطلبة مأوى لهم⁽⁴⁾ .

(1) - المقريري ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروفة بكتاب الخطط ، ج3 ، دار التحرير للطبع والنشر 1967-1968 ، ص313-314.

(2) - المقريري ، الصدر السابق ، ج3 ، ص314.

(3) - كريبز كلوس وآخرون ، معجم العالم الإسلامي ، ترجمة ج. كتورة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ط2 ، 1998 ، ص589.

(4) - عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية : دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها ، عن مجلة "دراسات إنسانية"

دار الحكمة ، الجزائر ، العدد الأول ، 1421هـ / 2001م ، ص116.

عوامل نشأة المدارس :

لقد أعطى الدين الإسلامي نصيباً كبيراً للفكر من حيث نظريته الشاملة للكون وما يشتمل عليه من مضامين علمية وفكرية ، الشيء الذي أدى إلى تطور العلوم هو ارتباط العلم بالدين إذ بدأ لصيقاً بالمسجد حيث لعبت المساجد دوراً هاماً في تطور العلوم عند المسلمين وازدهار الحياة الثقافية والفكرية⁽¹⁾ .

- لقد ساهمت الأمة في إنجاح الحركة الإصلاحية باستحداث مؤسسات جديدة في هياكلها واستخداماتها ووظيفتها وأهدافها ، تعاون فيها العلماء والحكام والأثرياء على تأسيسها والتوسع في إنشائها والإنفاق عليها فظهرت المدارس للتدريس وتلقين العلوم المختلفة وبدأت كمؤسسات جديدة تستجيب لتحديات الأوضاع المستجدة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي في العالم الإسلامي ، وتحقيق أهداف ومرامي الحركة الإصلاحية . وواكب ظهور فكرة المدرسة قيام حركة معمارية نشيطة ساهم فيها (الحكام والأمراء والوزراء والأثرياء) بالنصيب الأكبر، بل يمكن القول أنها قامت على عاتقهم بناءً وتعهداً وإنفاقاً.

ب- نشأة المدارس وتطورها في بلاد المشرق الإسلامي:

وفيما يتعلق بنشأة المدارس فقد ذكر الزركشي أن أول من بنى مدرسة في الإسلام هو الوزير قوام الدين نظام الملك الطوسي الحسن بن علي وزير السلطان (ألب أرسلان) السلجوقي ، حيث بنى سلسلة من المدارس في إيران عرفت باسمه فسميت المدارس النظامية منها مدرسته النظامية في نيسابور⁽²⁾ . والواقع أن المدرسة الأولى التي ظهرت في المشرق الإسلامي كانت في نيسابور ومرو ، وبيخارى خلال فترة محمود الغزنوي (421/391هـ)⁽²⁾ وبقيت مقتصرة على بلاد فارس حتى عهد الوزير نظام الملك الذي شرع في بنائها في خراسان ثم انتشرت غرباً حتى وصلت مصر وبلاد المغرب والأندلس وخصصت لتدريس المذهب السني ومواجهة المذهب الشيعي القادم من مصر⁽⁴⁾ .

ومن هذا المنطلق فإن نشأة المدارس في القرن 5 هـ/11 مشرقية الأصل، وذلك رغبة من السلاجقة في الحد من انتشار المذهب الشيعي الذي أخذ في التوسع والانتشار منذ حلول الفاطميين بمصر سنة 362هـ وذلك بتشجيع التحصيل العلمي على المذاهب السنية ، وعلى غرار ما بنى نظام الملك من المدارس في إيران أنشأ مدارس أخرى في بغداد نسبت إليه فعرفت باسم المدارس النظامية.

(1) - صبحي الصالح ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، 1976 ، ص 195 - 196

(2) - محمد الزركشي ، أعلام المساجد بأحكام المساجد ، ترجمة أبو الوفاء مصطفى المرغي ، القاهرة ، ط3 ، 1992 ، ص 32-33.

(3) - عبد النعيم محمد حسن ، إيران والعراق في العصر السلجوقي ، دار الكتب المصرية ودار الكتاب اللبناني ، القاهرة بيروت ، 1982 ، ص 87-88.

(4) - حيدر كامل ، العمارة العربية الإسلامية ص 24-25.

بعد أن كثرت المدارس وممرت بعدة مراحل ظهرت مدارس أخرى شيدها الحكام والخلفاء منها مدرسة قام بإنشائها الخليفة العباسي المستنصر بالله (625هـ/1228م) عرفت باسم "المستنصرية" باعتبارها النموذج الأكمل لنظام المدارس ، وفي نفس الوقت تمثل جهازا حكوميا رسميا (1) .

وقد قامت هذه المؤسسة بتدريس المذاهب الأربعة (المالكي - الشافعي - الحنبلي - الحنفي) بالإضافة إلى علوم أخرى ، كما اشتهرت بعلمائها الذين ذاع صيتهم (2) .

انتشرت المدارس بعد ذلك في كافة البلدان الإسلامية وقد أرفق الذين بنو أضرحتهم بالمدارس ففي سوريا كانت المدارس تشمل على إيوانين أو إيوان واحد فهي مخصصة لمذهب أو مذهبين ، وكانت تتميز بخلوها من المآذن واشتمالها على ضريح مؤسس المدرسة (3) .

ومن أكبر المشجعين على بناء المدارس صلاح الدين الأيوبي (1174/1193هـ) حيث شيد المدارس في سوريا و مصر و الحجاز (4) ، فبالنسبة لمناطق الشام فقد بدأت مرحلة بناء المدارس على يد نور الدين محمود زنكي ، وقلده فيها أقاربه وأمرائه ورجال دولته ، وشملت تلك الحركة مذاهب السنة الأربعة ، وكذا جميع الدراسات المعروفة آنذاك من قرآن وحديث و شريعة وطب (5) .

أما في مصر فقد وصل إليها نظام المدارس في أواخر العصر الفاطمي ، فشيدت بها أول مدرسة للمالكية سنة 532هـ/1137م على يد وزير الخليفة الفاطمي الحافظ رضوان بن ولحشي ، وما إن اعتلى صلاح الدين الأيوبي وزارة الخليفة العاضد لله حتى وضع خطة لمواجهة الفكر الشيعي فبنى مدرستين سنة 566هـ/1170م (المدرسة الناصرية والمدرسة القمحية) ، وواصل صلاح الدين سياسة إنشاء المدارس وتدعيم المذاهب السنية بغرض القضاء على التشيع ومحو أفكاره ، بعد أن تولى حكم مصر (6) .

(1)- Janine sourdel(THOMIME) , locaux d'enseignements et medersas dans l'islam) revue d'étude islamiques, tome XIX, imprimée en France, 1976 , p 185 – 197.

(2)- حسين أمين ، المرجع السابق ، ص ص26-30.

(3) - أسامة عنوتي، المدارس و التدريس من خلال كتاب سلك الدر للمرددي، عن مجلة "الفكر العربي" مايو حزيران يوليو العدد 21 ، السنة الثانية ، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1981، ص 146 – 156.

(4) - عبد العزيز سالم ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1992 ص 332-364.

(5) - عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية ، ص117.

(6) - أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965 ، ص 49-50.

وتعتبر مصر من أكثر المناطق التي أقام فيها المدارس وتميزت بتكوينها من إيوان واحد مخصص لمذهب واحد فقط وكان عددها يزيد عن ثلاث عشرة مدرسة ، وتعتبر المدرسة الصالحية المؤسسة سنة (641هـ-1243م) أول مدرسة في مخصصة لتدريس المذاهب الأربعة وفي العصر المملوكي أصبحت تشمل على أربعة أو اوين متقابلة .

وفي بعض المدارس ذات الأهمية الخاصة كان يلحق بها بيمارستان كما هو الحال في مدرسة السلطان قلاوون⁽¹⁾.

ج- نشأة المدارس وتطورها في بلاد المغرب الإسلامي:

إن المدارس ظهرت وتطورت في بلاد المشرق الإسلامي قبل أن تصل إلى مغربه وسنحاول التطرق إلى ظهور المدارس وتطورها في المغرب الإسلامي :

لعل ظهور المدارس في المغرب من حسنات ما نقله الرحالة الذين جاؤوا بلاد المشرق وترددوا على معاهده العلمية وأعجبوا بالمدارس النظامية في إيران وبغداد والتي عمت شهرتها الآفاق ، ففي المغرب والأندلس فإن سيادة مذهب واحد جعلها بمنأى عن الاختلافات المذهبية والفكرية المثيرة للجدل ، إذا ما استثنينا الاختلافات في وجهات النظر المتعلقة بسبل إصلاح المجتمع ومواجهة الانحرافات ، والمحافظة على نقاوة العقيدة وتطبيقها في حياته العلمية وهي الأسس التي قامت عليها دولتي المرابطين (448-541هـ / 1147-1267م) والموحدين (541-667هـ/1147-1267م) ، وبذلك اختصت مدارس المغرب منذ قيامها بنشر العلوم الشرعية على المذهب المالكي ، وقد أشار ابن مرزوق إلى ظهور المدارس في عهد أبي الحسن المريني⁽²⁾ .

إن انتقال المدارس من المشرق إلى بلاد المغرب والأندلس كان بعدما يقرب القرن من بداية ظهورها في الإسكندرية في مصر (532هـ-/1137م) ، ويشير بن أبي زرع الفاسي إلى وجود المدارس في المغرب منذ العهد الموحيدي⁽³⁾ .

(1) - أحمد فكري ، المرجع السابق ، ج2 ، ص50-59.

(2) - ابن مرزوق ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق. ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص407.

(3) - علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب و تاريخ مدينة فاس ، راجعه . عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط2 ، 1420هـ/1999م ، ص143.

أنظر : عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرنية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية معمارية فنية ، ج1 ، ص306.

وذكر بن مرزوق أن إنشاء المدارس في المغرب كان بداية من عام (670هـ) على يد السلطان المريني أبي الحسن الذي دشن مشروعه الحضاري بمدرسة الصغارين ثم أتبعها بمدارس عدة وتابع ملوك الدول الذين تعاقبوا على حكم المغرب هذه المسيرة العمرانية بتأسيس مدارس أخرى وتوسيع ما ورثوه من إنشاء ملوك سابقين ولهذا يلاحظ في المدارس البوعنانية بفاس تشابه واضح في الهندسة والترقيم مع مدارس المشرق (1).

المدارس الحفصية :

تعود أولى المدارس المنشأة عند الحفصيين إلى تلك التي أقامها أبي زكريا الحفصي (624-647هـ/ 1227-1249م) ، حيث شيد بقصبة الموحدين بإفريقيا جامعا ومدرسة عرفت باسم المدرسة الشماعية خصصها لتعليم مذهب التوحيد أو تعاليم إمام الموحدين المهدي بن تومرت ، وهو المذهب الرسمي للدولة (2) وكان ذلك سنة 633هـ/1235م ، وقد توالى بعد ذلك بناء المدارس بناء المدارس في إفريقية لتدريس العلوم الدينية والنفعية منذ النصف الثاني من القرن 7هـ/13م ، وتواصل تشييدها طيلة القرن 8هـ/14م (3).

المدارس الزيانية :

كانت المدارس الزيانية تقوم بالتعليم ونشر العلوم والمعارف باختلافها على مذهب الإمام مالك وكان حكام بني عبد الواد يشجعون العلم والعلماء أمثال أبناء الإمام وأبي عبد الله الشريف التلمساني (4) . أول مدرسة بنيت في تلمسان هي المدرسة التي أسسها أبي حمو موسى الأول (707-718هـ / 1308-1318م) سنة 710هـ/1310م ، وكذا المدرسة التاشفينية نسبة لمؤسسها أبي تاشفين (718-737هـ/1313-1336م) وفي حدود (763-765هـ / 1361-1365م) بنيت المدرسة اليعقوبية الزيانية على يد أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ / 1358-1388م) وذلك بعد أن ملك تلمسان . يذكر ابن مريم إلى أنه الشريف من فاس فانطلق إلى تلمسان وتلقاه أبو حمو براحتيه وأصهر له في إبنته فزوجها أياه وبني له مدرسة وأقام الشريف

(1) - ابن مرزوق ، المصدر السابق ، 405.

(2) - عبد العزيز الدولاتلي ، مدينة تونس في العهد الحفصي ، تعريب. محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي ، دار سراس للنشر 1981 ، ص78.

(3) - عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية ، ص119.

(4) - عبد الحميد حاجيات ، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان ، الجزائر في التاريخ ج3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984 ، ص436-437.

يدرس العلم بها إلى وفاته ، وسميت المدرسة باسم والده يعقوب بعد أن دفن بها ، حيث اكتملت عمارتها فدعيت المدرسة اليعقوبية ، لاشك أن هناك مدارس أخرى بتلمسان لم تذكرها النصوص التاريخية ، إضافة إلى المدارس التي شيدها السلاطين المرينيين عندما استولوا على مدينة تلمسان (1) .

المدارس المرينية :

ظهرت المدارس في المغرب الأقصى بعد حوالي ثلاثين سنة من ظهورها في تونس وارتبطت وظيفة المدرسة بها بنشر العلوم والمعارف الدينية اعتمادا على مذهب الإمام مالك ، تعتبر الدولة المرنية بالمغرب الأقصى أكثر دويلات المغرب الإسلامي حيوية ونشاطا في مجال التشييد العمراني بصفة عامة وتشييد المدارس بصفة خاصة ، وأنفق سلاطينها وأمرؤها على عمارتها وتزيينها أموالا كثيرة ، فجاءت على درجة كبيرة من الأبهة والفخامة (2) .

اشتهرت مدينة فاس المغربية بأنها الحاضرة العلمية والثقافية التي احتضنت كثيرا من المعاهد العلمية الدينية والأكاديمية ، وقد قامت بفاس جامعة القرويين التي اعتمدوا عليها في نشر أفكارهم وأنه كان للموحدين مدارس كثيرة تأوي الطلاب لكن يد الزمن عبثت بها (3) .

ويذكر الخطيب بن مرزوق أن إنشاء المدارس لم يكن معروفا بالمغرب إلى أن جاء مؤسس الدولة المرينية أبي يوسف بن عبد الحق ، فأسس مدرسة الحلفائيين بفاس أي الصفارين الحفصي (4) .

(1) - للمزيد أنظر : عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية ، ص 118-119 .

(2) - Marçais (G.), l'architecture musulmane d'occident (tunisie,Algerie,Maroc),espagne et socile, arts et métiers graphiques, 2eme trimestre, T. VI , paris, 1954. P.285.

(3) - عبد الهادي التازي، جامع القرويين، المسجد الجامعة بمدينة فاس، المجلد 2، ط1، 1973 ص 122.

(4) - عبد الله العمراني ، جامعة القرويين ، عن مجلة "البحث العلمي" ، المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط، العدد 11-12 ماي ديسمبر ، 1967 ، ص 163 .

وكانت هناك مدارس عامة وخاصة بالأمرء ومساكن للطلبة ومجامع علمية ، كل ذلك كان عاملا من عوامل نشر المعارف بالبلاد ، بل أن المرء ليأخذ العجب حينما يجد أن المغرب الإسلامي قد عرف في عهد الموحدين النظام الداخلي للمدارس بأدق تفاصيله ، وأنه عرف المدارس الإدارية التي تعنى بتخرج الحكام وموظفي الدولة (1).

اشتد التنافس على قدم وساق بين السلاطين المغاربة في مضمار تشييد المدارس والإنفاق على مرتاديهما من الطلبة ، وعلى شيوخها الذين كانوا يتلقون الجراية ، مستعنين بها على شؤون الحياة ، وكان الملوك المغاربة يهتمون بترتيب الأساتذة للتدريس. مجرد ما ينتهون من بناء مدارسهم كما اهتموا بفخامة البناء وزخرفته فهذه المدارس لم تكن في الحقيقة تمد الطلبة بالعلم والسكن فحسب ، وإنما كانت تطالعهم صباح مساء بزخرفتها الفنية الرائعة أيضا (2).

يعتبر العصر المريني من أزهى العصور في مجال تشييد المدارس والإنفاق عليها من طرف السلاطين المرينيين خاصة في القرن الثامن الهجري ، ويمكن تقسيم الفترة المرينية في مجال تشييد المدارس إلى ثلاث مراحل : المرحلة الأولى: فترة حكم السلطان أبي سعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب 710-732هـ / 1310-1331م. ففي عهده نجد مجموعة كبيرة من المدارس أهمها :

مدرسة المدينة البيضاء بفاس الجديدة أو دار المخزن (720هـ/1320م) ، وكذا مدرسة الصهريج (721هـ/1321م) ، ومدرسة السبعين المعاصرة لها ، إضافة إلى مدرسة تازا التي شيّدت قبل مدرسة الصهريج وأشهر المدارس التي شيّدت هي العطارين بفاس (723 - 725هـ/1321 - 1325م) قرب جامع القرويين بفاس (3).

(1) - محمد المنوني، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ، عن "مجلة البحث العلمي" ، العدد الأول جانفي 1962 ص134.

(2) - السلاوي الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج1 ، طبعة مصر ، د. ت ، ص 101.

(3) - عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون التطبيقية، ج4، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1993م ص 208.

المرحلة الثانية : فترة حكم السلطان أبي الحسن (732-749هـ/1331-1348م) ، فقد تميزت فترة حكمه بأنها أهم الفترات من حيث إنشاء المدارس ، حيث يذكر ابن مرزوق تلك الأعمال كاملة في قائمة طويلة "...مدرسة تازا ، ومدرسة كل من مكناسة وسلا وطنجة وسبتة وأسفي وأغمات ومراكش والقصر الكبير والعباد بظاهر تلمسان ، وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع باختلاف البلدان ..." (1). بالإضافة إلى مدرسة الطالعة (742هـ/1350م) وكذلك المدرسة المصباحية (751هـ/1346م) ، كما شيد المدرسة العظمى التي أعيد بناؤها في عهد الدولة السعدية (2) .

المرحلة الثالثة : حكم فيها السلطان أبو عنان فارس المتوكل (732-749هـ/1348-1357) وقد قام بعدة إنجازات في مجال التعليم أبرزها : أنه أتم المدرسة التي أنشأها أبو الحسن بمراكش وذلك سنة (751هـ/1350م) كما شيد المدرسة المتوكلية بالطلعة الكبرى المعروفة بالبوعنانية (756هـ/1355م) والتي تعتبر ذروة الفن المعماري المغربي (3) .

(1) - ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص406.

(2) - عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 359 .

(3) - Terrasse (Charles) , Madrasa du Maroc , Paris , Morance , S.D , p28.

4- التعليم في الجزائر في العهد العثماني:

كان التعليم وما يزال الأساس الحقيقي لكل ثقافة ولأي تقدم في المجتمع الإنساني ، ولقد تحدثت المصادر التاريخية عن انتشار التعليم في الجزائر قبل العهد العثماني وخاصة في المراكز الكبرى كتلمسان و قسنطينة وغيرها من المناطق التي لعبت أدوارا هامة في هذا المجال ، أما في العهد العثماني فقد انتشر التعليم في الجزائر انتشارا كبيرا حتى غطى كل المناطق ، وقد كانت الأوقاف هي المورد الرئيسي للتعليم ، وقد تحدثنا عن بعض مؤسسات التعليم من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا (1).

كما ساهم في تطور العلم تلك السياسة التي انتهجتها الدولة التي لم يكن لها دخل في التعليم فلم يتواجد شخص تابع للدولة ويكون مكلفا بالتعليم ، إذ أن الدولة في هذه الفترة كان همها الوحيد المحافظة على الاستقرار السياسي ومواجهة الغزوات والحملات الأوروبية المتكاملة على الجزائر باعتبارها ثغر للإسلام و ثغر الدولة العثمانية في المغرب الإسلامي ، ولم تكن الدولة توجه أي نفقة للتعليم من خزنتها بل كانت توجه للأعمال الحربية وكذا تقديم الهدايا للسلطان العثماني (2).

كان التعليم خاصا يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية ويدخل في هذا العموم رجال الدولة أيضا كأفراد (3).

ومن هذا المنطلق فالدولة لم تكن لها أي سياسة تجاه العلم والتعليم في الجزائر ولعل الصحيح أن سياستها تقضي بعدم التدخل في شؤون التعليم .

(1) - محمود عباس حمودة ، الوثائق العثمانية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت ، ص 34 .

(2) - عبد القادر حلوش ، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1871-1914 ، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف . محمد خير الدين فارس ، دمشق ، 1985 ، ص 01 .

(3) - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ ، ج4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984

لما دخل العثمانيون الأقطار العربية وتمت لهم السيطرة على أنظمة حكمها وعلى جميع شؤونها السياسية والاقتصادية وحتى التعليمية منها تغيرت اللغة الرسمية لدواوين هذه الدول وأصبحت اللغة التركية هي اللغة الرسمية للدولة. وعلى الرغم من اتخاذهم لهذا الإجراء إلا أنهم لم يستطيعوا تغيير البنية اللغوية في الولايات العربية ، ويتضح ذلك في المظهر الأهم في الحياة الفكرية لهذه الدول ألا وهو التعليم ، الذي هو نبض الحياة الفكرية ومكونها الأول ، لقد حافظ في هذه الفترة على المؤسسات التقليدية التي كانت تقوم بمهمة التعليم⁽¹⁾ .

يلي هذا التعليم الأولي مرحلة التعليم العالي ، وقد كان يسير هو الآخر في جميع الولايات العربية على نسق واحد ، كما كان عليه تعليم المرحلة السابقة وكان يجري في (الجوامع - المساجد - المدارس - الزوايا - الخوانق - الربط) ، وكانت هذه المؤسسات تختلف عن بعضها البعض في حجمها ومعلميها ، وطلابها ومناهج تعليمها ويرتبط هذا بصفة خاصة بالأوقاف المخصصة لها من الهيئة التي أنشأها وبمستوى تدريسها من العلم والمعرفة⁽²⁾ .

كما كان التعليم العالي موحدًا ويسير على نسق واحد في الولايات العثمانية مع اختلافات جزئية في المستويات التنظيمية وكانت المساجد والزوايا والخوانق والمداس والربط موكلاً إليها تنظيم التعلم وتثقيف الناشئة وكانت هي ذاتها مختلفة في حجمها ومستواها وحجم مدرسيها ومعلميها وطلبتها ، كما كانت تختلف في مناهجها وبرامجها ومستوى تدريسها ونوعية العلوم والمعارف التي تزود بها طلبتها⁽³⁾ .

(1) - صالح سعداوي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، تقديم . إكمال الدين إحسان أوغلي ، إريسكا استانبول ، 1999 ص 332 .

(2) - نفسه ، ص 309 .

(3) - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعيدلي ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 203 .

أ - التعليم في العاصمة :

لقد خلت الجزائر من معاهد التعليم العالي بالمعنى المتعارف عليه مثل المدارس قديما التي تقوم بالإشراف عليه وتوحيد نظمه والمحافظة على مستواه ، وتعكس نشاط واتجاه العلماء ، وتحفظ قدرا معينا من أساليب اللغة والذوق الأدبي العام ، ولم يكن للجزائر جامعة إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة ، غير أن فانطور دي بارادي قد تحدث في القرن 12هـ/18م عن وجود ثلاث جامعات لتعليم المذهب المالكي في مدينة الجزائر وحدها ، وقد كانت تلقى فيها دروس تفوق ربما تلك التي كانت تلقى في الجامعات الإسلامية الأخرى وكذلك تنوع الدراسات فيها وقد تردد عليها الأساتذة من مختلف أرجاء العالم الإسلامي (1).

إن أبرز مركز لتلقين العلوم في الجزائر في الفترة العثمانية هو الجامع الأعظم وزاويته ، فكان من أبرز المظاهر التي تميز خلال الفترة العثمانية ، ويذكر أن تسعة عشر أستاذا وثمانية حزابين وثلاثة عشر موظفا (2) كانوا يشرفون على نشر العلم وتنشيط الوعي الديني للمواطنين والمحافظة عليه أكثر من الدراسة المعمقة الجديدة والمبتكرة وهذا ما اصطاح عليه بالطابع التقليدي النقلي للدراسات الإسلامية يومئذ ، وقد لخص أحد العلماء ذلك العصر هذه الظاهرة بقوله (3) :

خير عنى المرید بأنني كافر بالذي قضته العقول
ماقضته العقول ليس من الدين بل الدين ماحوته النقول

- وقد وجدت بالجامع الأعظم مكتبة كبيرة زاخرة بالكتب والمخطوطات لتغذية الجو التعليمي ، إن المكتبة من شأنها أن تعطي بعدا مهما لازدواجية دور الجامع الأعظم الديني والتعليمي ثم السياسي خلال الفترة العثمانية وعلى الرغم من ضعف مستوى التعليم الذي كان قائما على العموم ببلاد الجزائر والذي سبب إنتعاش الطرق الصوفية على اختلاف اتجاهاتها (4).

إن الرحالة جون بول وولف (Jhon Poul Woulf) ذكر هذه المدارس الثلاثة العليا وسمها (كوليج) حيث يتعلم فيها الأولاد القرآن وبعض الثقافة الأدبية ربما بنفس النمط الذي ما يزال الأولاد المسلمون يتعاملون به إذ يجلسون في حلقة حول المعلم ويحفظون القرآن عن ظهر قلب .

(1) - عبد الرحمان محمد الجيلالي ، الجامع الكبير بمدينة الجزائر ، عن "مجلة الأصالة" ، وزارة الثقافة العدد 8 ، ماي 1972 ص 114.

(2) - Devoux (A) , Le édifices religieux de l'ancien Alger, revue Africaine , TXI, année 1867

Alger, 1866, p.205.

(3) - محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحمية ، تحقيق وتقديم . محمد بن عبد الكريم الجزائر ، 1972 ، ص 48.

(4) - علي عبد القادر حلمي ، الجزائر نشأتها وتطورها قبل سنة 1830 ، الجزائر ، 1972 ، ص 271.

وبالإضافة إلى ذلك كان يوجد عدد من المدارس الصغرى خاصة بالأولاد حيث يمكن للطفل أن يتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب⁽¹⁾.

ومهما كان الأمر فإن المدارس الابتدائية كثرت ، حتى كان لا يخلو حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف إلا ووجدنا بها مدرسة⁽²⁾.

وهذا ما جعل كل من زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان⁽³⁾.

وقد عد بعضهم العشرات من المدارس لكن العدد الحقيقي لهذه المدارس يبقى مجهولا ، ويبدو أن هذا الغموض حول عددها يعود بالأساس إلى أن بعضهم كان يدخل الزوايا والمساجد في عدد المدارس والبعض لا يفعل ذلك والعدد الذي اتفق عليه مجموعة من الرحالة الغربيين هو وجود ثلاث مدارس كبرى ، بالإضافة إلى حوالي مئة مدرسة بين ابتدائية ، بالإضافة إلى الكتاتيب "مسيد" وقد تحدثنا عن الجوامع والزوايا حيث اختلطت وظيفتها بالمدرسة في ميدان التعليم⁽⁴⁾.

ب - التعليم في تلمسان:

عرفت تلمسان بمدارسها ومعاهدها في العهد الزياني نظرا لكونها كانت عاصمة دولة ، أما في العهد العثماني فقد كانت بها خمسة مدارس ثانوية كبيرة ، بالإضافة إلى المدارس الابتدائية فقد وصفها الحسن الوزان وأبرز مدى اهتمام الزيانيين بتشييد المدارس والإنفاق عليها⁽⁵⁾ ، والمعروف أن الباي محمد بالكبير هو الذي أعاد لمدارس تلمسان أوقافها وجددها.

ج - التعليم في قسنطينة:

ازدهر التعليم في الفترة العثمانية بهذا الإقليم ولم يكن هذا وليد يوم وليلة بل كانت بوادره قبل العهد العثماني بكثير ففي العهد الحفصي كانت مدارسها الابتدائية كثيرة جدا ، وظلت كذلك في العهد العثماني⁽⁶⁾.

(1) - جون بول وولف ، الجزائر وأوربا ، ترجمة وتعليق .أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ص 154 .

(2) - ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي ، المرجع السابق ، ص 204 .

(3) - نفسه ، ص 204.

(4) - عبد الرحمان الجيلالي ، الجامع الكبير بمدينة الجزائر ، ص 11

(5) - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2 ، ترجمة . محمد حجي و محمد الأخضر ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، ص 21 .

(6) - سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1

1406 هـ - 1986/ م ، ص 28 - 29.

وقد كان البايات يؤسسون المدارس الابتدائية والثانوية ، ويبدو أن الأسر الكبيرة البورجوازية في قسنطينة كانت تعمل هي الأخرى على إنشاء المدارس خلال هذه الحقبة ، بالرغم من أن الورثيالي انتقد تدهور العلم في الإقليم وانعدام الأوقاف على هذه المؤسسات مما أدى إلى تدهورها (1) ، وقد تغيرت هذه النظرة للتعليم بحكم صالح باي للبايلك ، وعلى كل حال فقد كان عدد المدارس الابتدائية في قسنطينة عند دخول الفرنسيين حوالي تسعين مدرسة(2) . وهو عدد كبير لمدينة في حجم قسنطينة.

5- العلوم المدرسة :

لقد كانت العلوم التي تعطى للطلبة تختلف من مؤسسة لأخرى ، ومن المدرسة إلى الزاوية ، ومن حلقة في مسجد أو جامع إلى حلقة ثانية ، هذا مع العلم أن بعض المدارس السابقة للعهد العثماني بل وبعض المدارس المستحدثة قد نص واقفها على أنواع العلوم التي يجب أن تدرس فيها (3) . لا بد من التأكد أن التيار الفكري الديني الإسلامي السني هو التيار السائد ببلاد المغرب خلال هذه المرحلة والمراحل السابقة علما وتعلما وتأليفا وأثرا (4) . ولا شك أن التأليف لعب في هذه المرحلة وغيرها من المراحل السابقة لها دورا كبيرا في تزويد الطلبة بمادة علمية ووعاء ثقافي يستند عليه التكوين العلمي في هذه المدارس ، وكان كل من يؤلف كتابا يهدف من ورائه إلى تعليم الطلبة العلم الذي يدرسه ، وقد تنوعت مواد التدريس في المدارس والمساجد والزوايا وهي على النحو التالي: - لقد درست في هذا العهد جميع العلوم الدينية الشرعية في المؤسسات التعليمية خلال هذه المرحلة ، وقام على تدريسها علماء ضليعون في اختصاصاتهم وفي معارفهم العامة. - لم تقم المدارس على تعليم العلوم الشرعية فقط بل تعدتها إلى علوم اللغة العربية كالصرف والنحو و البلاغة ذلك بما تتضمنه من علم البيان والمعاني والبديع وكذا علم العروض.

(1) - الحسين بن محمد الورثيالي ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، 1917 ص686.

(2) - سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص275.

(3) - نفس المرجع ، ج1، ص389.

(4) - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ ، وزارة الثقافة والسياحة والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984 ، ص169.

- إضافة إلى العلوم السابقة فقد درست العلوم العقلية ويقصد بها: علوم الرياضيات ، الفلك الطب ، الفيزياء الكيمياء ، النبات والحيوان ... (1).

6- أهم المدارس في العهد العثماني :

أ - **المدرسة القشاشية بالعاصمة** : وهي ملحقة بجامع القشاش فسميت باسمه يرجح الباحثون أنها تعود إلى العهد السابق للعثمانيين ، فالمعلومات حول هذه المدرسة قليلة جدا رغم أهميتها في نشر العلم ، لا سيما تلك المؤسسات الموصوفة بالتعليم العالي ، والظاهر أنها متصلة بالزاوية التي تحمل نفس الاسم وأقدم وثيقة تتحدث عنها تعود إلى سنة 1162هـ / 1748م ، وهكذا استمرت هذه المدرسة في تغذية التعليم الثانوي والعالي في مدينة الجزائر، وقد حولت بعد دخول الفرنسيين مباشرة إلى مخزن للجيش الاستعماري (2).

ب - **مدرسة الأندلس في العاصمة** : حيث كان أصلها عبارة عن زاوية وقد شيدها الأندلسيون القادمون من الأندلس ، حيث جعلت " مدرسة عليا " لتعليم علوم القرآن ودراسة مختلف العلوم الأخرى ، ومن المتوقع أن التعليم في هذه المدرسة كان على مستوى راق ، لأن الأندلسيين قد عرفوا بإجادة فن التدريس وحسن التربية ومراعاة التطور العقلي للتلاميذ (3).

ج - **مدرسة شيخ البلاد بالعاصمة** : الظاهر أن اسمها مستمد من اسم الحي ومؤسسها هو محمد خوجة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي ، كانت أرض المدرسة عبارة عن وقف أوقفها صاحبها محمد خوجة لبناء مؤسسة تعليمية (مدرسة عليا) ، وكان لها مسجد للصلوات الخمس ، وقد نصت الوقفية على تخصيص مبالغ من المال لأساتذة المدرسة والطلبة المقيمين فيها (4).

(1) - يحي بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، عن "مجلة الثقافة" ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، العدد 63 ، 1981 ، ص 12-13.
- أنظر صالح سعداوي ، المرجع السابق ، ص 338-339.

(2)- Devoulx (A) , le édifices religieux de l'ancien Alger , revue Africaine , TXI, année 1867

Alger ,1866 ,p.53.

(3) - سعد الله أبو القاسم ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 2003 ، ص ص 504-506.

(4) - سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 282-283.

د - مدرسة الخنقة بيسكرة: وقد أسست سنة 1171هـ/1757م ، وتدعى أيضا بالناصرية نسبة إلى مؤسسها "أحمد بن الناصر" ، اشتهرت بعلوم النحو والفقه والحديث ، وكانت مقصد طلبة الزيان ووادي سوف والأوراس وحتى قسنطينة وعنابة ، وقد وصفها الورثياني وصفا دقيقا⁽¹⁾

هـ - مدرسة مازونة : اشتهرت في غرب البلاد ، وتعتبر من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني وكان لها أثر قوي في مناطق الغرب ، تأثرت المدرسة بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى ، وتميزت بتدريس الفقه والحديث وعلم الكلام ، وكانت مقصد طلاب النواحي الغربية ولاسيما مستغانم وتلمسان ووهران ، بقيت المدرسة تشع بالعلم والمعرفة حتى بعد انتقال عاصمة الإقليم من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران⁽²⁾ .
ومر عليها كثير من المدرسين والعلماء خلال مرحلة نشاطها كم تخرج منها عدد كبير من الطلبة الذين تبوؤوا مكانة مرموقة ، وتحول بعضهم إلى مدرسين وأساتذة بها وبغيرها من مدارس وزوايا القطر.

(1) - الحسين بن محمد الورثياني ، المصدر السابق ، ص 117 .

(2) - عن مدرسة مازونة : أنظر : ناصر الدين سعيدوني ، المهدي البوعبدلي ، المرجع السابق ص ص 191-198 .

7- الإنفاق على المؤسسات الثقافية :

لقد كانت المؤسسات الثقافية من مدارس ومساجد وزوايا فضلا عن المكتبات سواء في المدن أو الأرياف مستقلة عن السلطة المركزية وتابعة لمؤسسة الأوقاف ، حيث كانت هذه الأخيرة تتحمل الإنفاق على هذه المؤسسات وسير وظائفها ، وكانت الأحباس عبارة عن عقارات وأراضي وبساتين ومحلات حرفية وتجارية إضافة إلى الحمامات والمخابز⁽¹⁾.

وكان يديرها وكلاء معينون من الداي والباي ، ولم تكن لهم مرتبات محددة بل كانوا يتقاضون مبالغ رمزية ، كما كانوا يأخذون من المداخل التي يشرفون عليها المبالغ اللازمة لمصاريفهم⁽²⁾.

كانت مداخل المؤسسات المحبوسة أو الموقوفة توظف في دفع رواتب الأئمة وقراء الأحزاب والمؤذنين وشراء الزرابي والأفرشة ، كما كانت تخصص للخدمات والصيانة والترميم وشراء الزيت للمصاييح ، وكان القاضي يشرف على إدارة ومراقبة هذه المصاريف على شكل هيئة إدارية مكونة من عشرة أشخاص من الموثوق في دينهم وأخلاقهم ونبههم وهم أحسن شخصيات المدينة ، كما وظفت مداخل الأحباس في الإنفاق على إنارة المدينة والعناية بها والإنفاق أيضا على المؤسسات الثقافية ، فبقدر ما كانت المؤسسات الثقافية هامة ومتعددة بقدر ما ارتفعت وتعددت أحباسها.

من ذلك تتجلى أهمية الأحباس ودورها في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية ، فهي مصدر الحياة والدوام لكل المؤسسات العلمية والثقافية ، كما أنها مصدر لصيانة المساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة العلماء والطلبة ومن جهة أخرى لعب هذا المصدر دورا في حياة كل المجتمع⁽³⁾.

(1) - الأرشيف الوطني ، سجلات المحاكم الشرعية ، علبه 108-109 ، وثيقة 30-47.

(2) - سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 230-233.

(3) - نفسه ، ص 231.

8- ضريح صالح باي ومقبرته العائلية :

الضريح كلمة مشتقة من فعل "ضرح" بمعنى حفر القبر ، جمعها أضرحة ويقال للميت حفر له ضريح ويقصد به المعنى الذي يقام على قبر الميت ، إلا أننا نجد عدة مصطلحات تطلق على الأضرحة باختلاف أشكالها ومواقع وجودها (1).

وفي العصر العثماني استعملت كلمة تربة للدلالة على المدفن (2) كما اصطح الناس على إطلاق كلمة "مقام" على المقام الذي فيه الضريح لأحد الأنبياء أو الأولياء من أهل الصلاح والتقوى .
أما الكلمة الشائعة التي تطلق على الضريح في العالم الإسلامي فهي القبة وهذه الأخيرة من المظاهر العمرانية التي لفتت النظر في الأبنية الإسلامية ، فقد ورثوها عن الساسانيين والبيزنطيين . وأكثر ما تكون القباب فوق الأضرحة لاسيما التي دفن فيها العظماء أو العلماء أو الزهاد والمتصوفون.
والدارس للأضرحة يلاحظ أنها ذات أشكال مختلفة من منطقة لأخرى ، وقد وضع النقيب كيفيت (Cauvet) تقسيما للأضرحة (3).

شيدت الأضرحة في العصور القديمة وفق الاعتقادات الدينية لشعوب تلك الفترة ، وذلك عكس ما نجده في الإسلام الذي عارض من حيث المادة أي نوع النصب ، لأن في ذلك تجاوزا لمبدأ المساواة ، والذي يعد أساس الدعوة الإسلامية ، بالرغم من ذلك شيدت الأضرحة على قبور الحكام والأولياء في كل الفترات الإسلامية ويعود ذلك لأسباب أهمها:

- ظهور حركة التصوف وانتشارها ما بين القرنين السادس والسابع ، أدى إلى تشييد الأضرحة على قبور الأولياء والمتصوفين ، إلى جانب انتشار المذهب الذي يقدر الشخصيات الشيعية (4).
- فحولت أماكن دفنهم إلى أماكن مقدسة - رغبة الحكام والأمراء المسلمين في تخليد أنفسهم بتشيد الأضرحة قبل وفاتهم - تشجيع الحكام بناء الأضرحة لاستغلال عاطفة شعوبهم المتعلقة بالعلماء والأولياء.
لم ترد في القرآن الكريم آيات تمنع بناء الأضرحة ، إلا أننا نجد العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي عارضت بناءها ، واتخاذها أماكن للعبادة والصلاة ، فيقول بن تيمية جاء عن عائشة أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقع عنه يقول " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ولولا ذلك أبرز قبره .

(1) - Diez , L'art de Islam , Index générale , Paris , P.51

(2) - مصطفى صالح لمعي ، القباب في العمارة الإسلامية ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ، ص23.

(3) - Cauvet , Les marabouts petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique , in .(R.A) , 1923 , P34

(4) - Burchard (Titus.) L'art de l'islam , 1965 , P.140.

وفي الصحيحين أيضا عن عائشة قالت : لما كان مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر بعض نسائه كنيسة رأيتها بأرض الحبشة ، يقال لها "مارية" وذكرن من حسننها وتصاوير فيها فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه وقال :

"إن أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله" (1).

وكان الضريح بشكله المعروف في مقدمة ما دخل مع الأتراك السلجوقيين عندما كانوا في آسيا ، وكانت الأضرحة عندهم عبارة عن بنايات مقدسة ، وكان ذلك على شكلين :

قبر على شكل برج وقبر على شكل قبة وكانت القبور بإيران على شكل أبراج أسطوانية وقد يعلوها أحيانا سقف مخروطي الشكل.

وكانت في بعض الأضرحة على شكل قاعدة مربعة لها باب من كل جانب كما في ضريح السبع بنات بمصر (400هـ/1010م) (2).

- كان اهتمام السكان والحكام كبيرا ببناء الأضرحة في بلاد المغرب الإسلامي ، أما في الجزائر فقد عرف هذا النوع من العمائر منذ العهود الأولى ، وتوجد عدة شواهد مثل ضريح سيدي بومدين الذي يرجع إلى القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي وغيرها من الأضرحة ، وعند قدوم العثمانيين سنة 1518م أكثروا من بنائها وتجديد الكثير منها (3).

- فحضيت هذه الأخيرة باهتمام العثمانيين فبنوها بتصاميم كثيرة ومختلفة وزينوها بزخارف متنوعة ومميزة لعهدهم (4).

وكما كانت المساجد مكانا مختارا لخزائن الكتب فإن المسلمين اتخذوا كذلك من الأضرحة مكانا توضع فيه الكتب لاسيما بعد أن تحولت بعض الأضرحة إلى مدارس لطلب العلم والتفقه في الدين ، وقد شاع اتخاذ الأضرحة لهذا الغرض في منتصف القرن الخامس للهجرة ، إذ أخذت هذه الأضرحة ترتدي ثوبا علميا وتنطبع بطابع المؤسسات الثقافية.

(1) - ابن تيمية ، الزيادة ، جمع وترتيب .عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف ، المغرب ، ص ص155-158.

(2) - طه الولي ، المرجع السابق ، ص126.

(3) - مصطفى صالح لمعي ، المرجع السابق ، ص 30 .

(4) - Cauvet , Op.cit. ,P34.

كان يضاف للضريح مدرسة لطلب العلم أو مكتبة للمطالعة ، أو مكتب لتعليم أيتام المسلمين وأطفالهم ، أو مسجد للصلاة يكون فيه درس للعلم أو لقراءة القرآن⁽¹⁾.

ومن ذلك ضريح صالح باي والمقبرة العائلية له ، فقد بني هذا الضريح من قبل وكان به قبر سيدي الكتاني الذي يعد من شيوخ المنطقة وتاريخه غير معروف ، وقد أخذ الحي اسم هذا الضريح ويعتبر نواة لتكوين الحي. إن ضريح صالح باي هو امتداد لنظرة الملوك والأمراء والشخصيات البارزة أن تكون لهم عند موتهم مقبرة خاصة بهم وبأسرهم حتى تميزهم عن غيرهم من العامة ، ويشترطون أن تكون أضرحتهم غاية في الجمال الزخرفي والفني وهذا ما نجده في ضريح صالح باي ومقبرة عائلته.

(1) - طه الولي ، المرجع السابق ، ص127.

إن الغاية من التعرض لهذا المحور أي الحياة الثقافية هو إبراز دور المؤسسات الثقافية في توسيع العلاقات الاجتماعية بين مختلف الفئات ، حيث شكلت هذه المؤسسات مراكز يلتقي ويتبادل من خلالها الأفراد والجماعات ، بل هي مراكز للحياة الاجتماعية عموما ، والشيء الذي حاولنا إبرازه هو كيف ساهمت هذه المؤسسات أو ساهم العامل الثقافي في إبراز وبلورة الحياة الاجتماعية .

لاشك أن أبرز هذه المؤسسات الثقافية هي المدارس التي لعبت دورا هاما في إثراء الجو العلمي العام للجزائر بصفة عامة ولقسنطينة بصفة خاصة ، هذا الجو الذي ساهم في نشر المعارف بين العامة ، كما أدت إلى بروز علماء ومفكرين في مختلف المناطق من الوطن.

لعل الجو الثقافي العام في الجزائر كان عكس ما أبرزه المستشرقون والدارسون الغربيون من أن الجزائر في الفترة العثمانية كانت تعاني من الركود الفكري وأن أغلب الجزائريين كانوا أميين ، وإذا قارنا نظرة الغربيين بفترة حكم صالح باي بقسنطينة أبرزنا مدى خطأهم في هذه النظرية.

الفصل الأول :

مدرسة صالح باي

بقسنطينة عاصمة

بايالك الشرق ومقبرته

الفصل الأول : الجانب التاريخي

I - مدينة قسنطينة

1- جغرافية المدينة

أ- الموقع الفلكي

ب- الموقع الإقليمي

ج- مناخ المنطقة

2- قسنطينة من خلال النصوص التاريخية

3- التطور التاريخي للمدينة

أ- قسنطينة قبل الإسلام

ب- قسنطينة في العهد الإسلامي

ج- قسنطينة في العهد العثماني

ج-1- تكوين البايك

ج-2- تطور البايك

ج-3- أهم المراحل التاريخية للبايك

ج-4- بايات قسنطينة

4- التطور العمراني للمدينة

أ- قسنطينة قبل الإسلام

ب- قسنطينة في العهد الإسلامي

ج- قسنطينة في العهد العثماني

د- قسنطينة في الفترة الإستعمارية

II - معلومات عن المدرسة

1- مؤسس المدرسة

1-1- حياته

1-2- نشاطاته السياسية

1-3- المجال العمراني والاقتصادي

1-4- أعماله الثقافية والدينية

2- موقع المدرسة

3- تاريخ المدرسة

4- نظام سير المدرسة

5- المدرسة في الفترة الاستعمارية

III - مؤسسة صالح باي للأوقاف

1- نسخة وثيقة أوقاف صالح باي

2 - أوقاف مركب سيدي الكتاني

3- محتوى الأوقاف

I - مدينة قسنطينة :

1- جغرافية المدينة :

أ- الموقع الفلكي :

تقع مدينة قسنطينة على خط طول 7.35° شرقا و دائرة عرض 36.26° شمالا ، وهي بذلك تحتل منطقة متميزة بالنسبة للشرق الجزائري ، وترتفع على مستوى سطح البحر بعلو يتراوح بين 621م إلى 740م⁽¹⁾ .

ب- الموقع الإقليمي :

تتوسط المدينة إقليم شرق الجزائر ، وهي واقعة خلف الأطلس التلي جنوب غرب عنابة ، لقد كان لها امتداد واسع في العهد العثماني ، فهي تمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة ووادي سوف في حوض ريغ جنوبا ومن الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء إقليم ونوغة وبرج حمزة وسفوح جرجرة غربا⁽²⁾ .

- أما موقع المدينة فهو على شكل مدرج يرتفع في الشمال الغربي عند سفوح جبل المنصورة الذي يفصله عنها انهدام متعرج تشكله مياه وادي الرمال ، هذا الوادي الذي يلتقي بواد بمرزوق الآتي من الجهة الشرقية في المكان المعروف بدار الأقواس (الحنايا القديمة)⁽³⁾ .

وفي الشمال الشرقي للمدينة ينتصب جبل المنصورة في اتجاه جنوبي شرقي إلى شمالي غربي ، ومع أن هذه الجبال جرداء من الأشجار إلا أنه يمكن استغلالها في الزراعة ، وفي أعلى هذه الهضبة (هضبة المنصورة) ، نجد بها تنوعا إحداها شرقي يشرف على المدينة يعرف بـ (سيدي مبروك) ، أما الثاني الواقع في الشمال الغربي لهضبة المنصورة فيحمل اسم (ضريح سيدي مسيد) .

(1) - محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، د.م.ج ، بن عكنون ، الجزائر ، 1984 ص 14 .

(2) - محمد الصالح بن العنتري ، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة مراجعة يحي بوعزيز ، د.م.ج ، بن عكنون الجزائر ، 1991 ، ص17.

(3) - ناصر الدين سعيد وني، وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت 1832 ، عن مجلة "الأصالة" وزارة الشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة ، عدد جوان - جويلية 1979م / 1399 هـ ، ص 8 .

وتقع المدينة على كتلة كلسية ذات شكل مثلث غير منتظم الأضلاع قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوب يطوقها وادي الرمال ، و تتربع الكتلة الصخرية على العدو الغربية لوادي الرمال يقول العبدري : " ... وقد دار بها واد شديد الوعران بعيد القعر ، أحاط بها كما يحيط السوار بالمعصم ، ومنعها كما يمنع النوق الأعظم " (1)

وتحتل المدينة بذلك موقعا أعلى خط التل ، الذي يشكل المحور الذي تتلاقى فيه شبكة الطرق الممتدة عبر المدن الجزائرية في مختلف الاتجاهات ، وهو أحد الأقاليم الاقتصادية والسكانية الرئيسية الهامة في المنطقة منذ القدم إلى وقتنا الحالي ، فقد كانت محطة مرور القوافل التجارية ، إذ تلتقي فيها معظم المسالك التجارية المتنقلة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب والعكس ، وهو الأمر الذي أكسبها طابعا مميزا في التكوين الحضاري .

ج- مناخ المنطقة :

بحكم موقع المدينة في منطقة الهضاب العليا تتميز بجل الخصائص المناخية العامة للمناطق الداخلية في الجزائر الخاضعة لتأثير الانخفاضات الجوية القادمة من الغرب إلى الشرق ويحد الإقليم من الجنوب الصحراء مما يجعلها تتميز بمناخ شبه قاري تداخلت في تكوينه المؤثرات الصحراوية جنوبا والمؤثرات البحرية شمالا. تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر خلال شهور الشتاء ويبلغ المدى الحراري السنوي 18.35° م⁽²⁾ لكونها تقع في منطقة الهضاب العليا المتكونة من سلاسل جبال نوميديا والبابور التي تحجبها عن المؤثرات البحرية.

(1) - محمد الهادي العبدري ، الرحلة المغربية ، ت أحمد بن جدوا ، الجزائر ، 1965 ، ص 23 - 29.

(2) - عبد العزيز فيلاي و محمد الهادي العروق ، مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية ، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة ، ط1 ، 1404 هـ / 1984 م ، ص 148.

2- قسنطينة من خلال النصوص التاريخية :

تحدث العديد من المؤرخين والرحالة والجغرافيين عن مدينة قسنطينة حيث أبرزوا موقعها وأهم ما تتميز به من خصائص في مختلف المجالات ، وأبرز من تكلم عليها :

ومن أبرز من تحدث عنها ابن حوقل حيث حدد موقعها وأهم المناطق التي تحدها (1) .

في حين تحدث البكري عن حصانة المدينة وموقعها المنيع ، كما ذكر الأودية التي تتصل بها ومدى روعتها الطبيعية وكذا أهم القبائل التي كانت تسكنها (ميلة - نزاوة - قسطيلة) بالإضافة إلى ذكر أسواقها (2) .

- أما الإدريسي فيصف أسواقها وأهم المنتجات التي تباع فيها ، بالإضافة إلى موقعها وتكوينها الطبيعي ، كما تحدث عن كيفية البناء وأهم المواد المستعملة في تشييد المنازل في المدينة ووصف وديانها وتحصينها الطبيعي بالإضافة إلى السور المقام جهة ميلة والمزارع الممتدة في جميع جهاتها (3) . ومن جهته أبرز ياقوت الحموي موقع قسنطينة بالتحديد وأهم المناطق التي تحيط بها ، كما تكلم عن مزارعها ومناطقها الرعوية ثم أورد بعد ذلك وصف البكري بأكملها (4) .

- ومن وصفها أيضا ابن سعيد الذي حدد موقعها الجغرافي كما ذكر أو ديتها (5) .

(1) - ابن حوقل، صورة الأرض، القسم الأول ، ط2 ، 1967، ص 95

(2) - أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك ، ج2 ، حقيقة. أدريان فان ليوفن و أندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، بيروت 1992، ص 729 - 730

(3) - الشريف الإدريسي ، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق صححه .هنري بيرس ، الجزائر، 1957، ص 67 - 71.

(4) - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الرابع ، دار صادر ، بيروت ، ط2 ، 1995 ، ص 349 .

(5) - بن سعيد المغربي ، الذخائر الجغرافية ، حققه . إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، 1970 ص 142 - 145 .

وأبرز أبو الفدا روعة الوادي المحيط بالمدينة كما بين المسافة التي بينها وبين المسيلة⁽¹⁾.
في حين حدد القلقشندي موقعها واهم المناطق المجاورة لها كما أخذ عن السابقين له⁽²⁾.
وأشار الحسن الوزان (ليون الإفريقي) إلى تحصين المدينة بالإضافة إلى نسيجها العمراني وتحدث عن أسواقها
وأوصاف سكانها وعاداتهم وحكامهم ، كما وصف أراضيها الزراعية التي تمتاز بالخصوبة ، وكذا بعض المعالم التي
تتميز بها المدينة⁽³⁾
و وصف الورثيلاي في رحلته عن تحصينات المدينة فقال " ...وعليها سور كبير ... وعسكر من الترك بقدر حالها
وباي سطوته عظيمة وحاله كبير ، وعساكره كثيرة ، ومددها قوي ... " ⁽⁴⁾ .
ومن النصوص الآنفة الذكر نستنتج أن المدينة كانت تتوفر على جميع الشروط التي أوصى بها الفكر العمراني
للمسلمين في بناء المدن والمتمثلة في : الميرة المستمدة ، اعتدال المكان ، جودة الهواء ، الحصن المنيع ، القرب من
المرعى والاحتطاب ووفرة المياه .

(1) – أبي الفدا ، تقويم البلدان ، تصحيح . رينو والبارون ماك كوكين دوسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840
ص138-139.

(2) – القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المجلد الخامس ، صححه. محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية
بيروت لبنان ، د.ت ، ص 105.

(3) - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2 ، ص ص55-60.

(4) - الحسن بن محمد الورثيلاي ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1974
ص686.

3- التطور التاريخي لمدينة قسنطينة :

تعتبر قسنطينة من أهم المدن الجزائرية بتاريخها وتراثها وحضارتها ، حيث تعد من أقدم المدن ، وقد مرت بجل الفترات التاريخية وعاشت مختلف الحضارات التي مرت على الجزائر.

أ - قسنطينة قبل الإسلام :

اختلف الدارسون في الجذور الأولى للمدينة ، لكن الأبحاث الحديثة والمكتشفات الأثرية والجيولوجية أكدت استقرار الإنسان في هذه المنطقة ، لأن الوادي المحيط بالصخرة يعود في تكوينه إلى الزمن الجيولوجي الرابع (عصر البلايستوسين الحديث Pléistocène Moderne) ، إن هذه المخلفات اكتشفت في محيط المنصورة وكان ذلك على يد العالم الأثري فيليب توماس سنة 1884م ، وأكد ذلك الباحث جلود (Gloud) سنة 1912م والبعض من هذه المكتشفات توجد في متحف سيرتا الأثري (1) .

لكن البداية الحقيقية للمدينة كانت عندما استوطنتها قبائل الماسيل^{*} واتخذتها كعاصمة لها وذلك خلال الفترة الممتدة بين القرنين 4 - 3 ق . م ، إذ بدأت قسنطينة كقرية صغيرة ثم تطورت مع مرور الزمن إلى مدينة وأصبحت فيما بعد عاصمة سياسية وإدارية ومركزا تجاريا هاما .

وقد أطلق عليها عدة تسميات كيرطا أو سيرتا وذلك في عهد الملك ماسينيسا بالإضافة إلى أسماء أخرى (بلد الهوى ، مصامرة سيوس ، قسنطينة) (2) .

وقد نسبت إلى قسطنطين^{2*} ، وقد سماها المغاربة في كتبهم التاريخية قسم طنية تبين على أن اسمها في العصور الماضية حصن طنية (3) ، وبغض النظر عن التسمية فإن قسنطينة تعتبر من المدن العريقة في بلاد المغرب عامة والجزائر خاصة .

(1) - محمد الصغير غانم، قسنطينة عبر تاريخها القديم، عن مجلة "العلوم الإنسانية"، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، عدد 12 1999 ، ص 140.

*1 قبائل الماسيل : هي قبائل كانت منتشرة في الإقليم الشرقي للجزائر والإقليم الغربي للديار التونسية اشتهرت بتربية المواشي والرعي وخدمة الأرض ، كما ساعدتها الظروف التاريخية والجغرافية على النمو والازدهار.

(2) - محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، 2003 ، ص 227.

- أنظر: أحمد بن المبارك العطار ، تاريخ بلد قسنطينة ، تحقيق. رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ص 17.

*2 قسطنطين : إمبراطور بيزنطي ابن قسطنطين تولى الحكم ما بين 306 م - 337 م ، ويعد أول إمبراطور يسمح بحرية ممارسة الدين المسيحي في ظل حكم الإمبراطورية الرومانية .

(3) - سليمان الصيد ، نفع الإزهار عما في قسنطينة من الأخيار، الجزائر، ط1، 1984، ص 9.

ففي العهد النوميدي تميزت بالرخاء والثراء وبلغ عدد سكانها آنذاك حسب تقدير قرال (Gsel-s) ما بين (150 - 180 ألف نسمة) ، حيث كانت مركز للتجارة لمختلف المناسبات غير أن هذا الرخاء الذي بلغ ذروته في عهد ماسينيسا لم يدم طويلا وذلك لطمع الرومان بها ، فسيطروا عليها عام 112 م⁽¹⁾ ، وفي بداية حكمهم لم تعرف المدينة الاستقرار بسبب ثورات أهل المدينة والقبائل النوميديّة المجاورة لها والتي كانت ترفض الاحتلال الأجنبي ، وقد تزعم يوغرطة هذه المقاومة ، إضافة إلى عدم استقرار الحكم الروماني بها بسبب الصراع المتباين بين الطبقة الحاكمة من قادة وضباط وأصحاب النفوذ بالمدينة وأهل البلاط ، فهذه الأمور كلها كانت السبب في إثارة الاضطرابات السياسية والفوضى الاجتماعية لفترة طويلة من الزمن ، وهذا ما أدى أخيرا إلى تدمير منشآت المدينة وتخريب عمراها وهدم أسوارها سنة 308م. وبقيت على هذا الحال مدة أربع سنوات إلى أن أمر الملك الروماني قسطنطين الأكبر (271-337م) بإعادة بنائها سنة 311م وأعطاه اسمها⁽²⁾ . وقد خلدت المدينة ذكرى هذا الملك بإقامة تمثال له يوجد اليوم أمام محطة السكة الحديدية⁽³⁾ .

ونظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي والاقتصادي أصبحت فريسة لأطماع المحتلين والغزاة ، فخضعت بعد ذلك لحكم الوندال قرابة القرن من الزمن (432 - 534 م) ، لكنهم لم يتركوا آثارا حضارية بها ماعدا المجموعات النقدية التي عثر عليها بالحمامة وبولهيلات وهي معروضة بمتحف سيرتا⁽⁴⁾ . وتلاههم الروم البيزنطيون (534 - 634 م) وبذلك عادت إلى حاضرة الدولة الرومانية ، إلا أن ثورات زعماء النوميديين لم تهدأ حتى أخذها البيزنطيون بعد جهد كبير ، لكن نار الغضب ظلت تلهب الأهالي حيال هذا التواحد الغير المرغوب فيه واستمر العداء حتى ظهور الإسلام في إفريقيا⁽⁵⁾ .

ب- قسنطينة في العهد الإسلامي :

إن تاريخ فتح المدينة على يد المسلمين من الصعب تحديده ، لأن المصادر القديمة لم تشر إلى ذلك باستثناء ما ذكره المؤرخ محمد المهدي شعيب أن عقبة بعد عودته إلى المشرق في المرة الأولى خلفه أبو المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر و هذا الأخير بقي قائد للجيش العربي الفاتح وحل بمنطقة ميلة واستقر مدة عامين (55 - 56 هـ / 674 - 675 م).

(1) - عبد العزيز فيلاي ، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط دراسة سياسية عمرانية ثقافية ، مطبعة دار البعث ، قسنطينة ، 2002 ص 11.

(2) - عبد العزيز فيلاي ومحمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص 25.

(3) - عبد الرحمن محمد الجليلي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1965 ص 72.

(4) - رشيد بورويبة ، قسنطينة ، سلسلة الفن و الثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، 1978 ، ص 49.

(5) - عبد العزيز فيلاي و محمد الهادي العروق ، المرجع السابق ، ص 31 .

فقد كانت ترسل منها بعوثة ودعائه فاتصلوا بسكان قسنطينة وأبلغوهم بالدعوة إلى الإسلام فيكون بذلك بداية ظهور الإسلام بها (1).

ولاشك أن سكان قسنطينة كانوا ناقلين عن البيزنطيين كبقية سكان شمال إفريقيا كلهم لما كانوا يلقونه من عنف وقوة ومغارم ، فاستغلوا الفرصة المناسبة لاستقبال المسلمين الفاتحين وانتقامهم من أعدائهم الروم ، ولهذا كان دخول المدينة تحت راية الإسلام بدون قتال يذكر (2).

أصبحت المدينة بعد ذلك تابعة إداريا وسياسيا للقبروان عاصمة ولاية المغرب الإسلامي ، ففي العهد الأغلي والفاطمي كان دور المدينة ثانويا لأن الأغلبية اهتموا بالقبروان وتونس وأنشؤوا مدنا أخرى كالعباسة وراقدة (3) وأثناء العهد الزييري بقسنطينة انتشرت الثورات والصراعات على السلطة وذلك عند نهاية القرن 4 هـ / 10 م حيث اشتد الصراع عليها بين الحماديين وبنو عمومتهم الزييريين وخاصة بعد انتقالهم من القلعة إلى بجاية ، حيث قام المنصور خليفة الناصر بني علناس بمحاصرة قسنطينة ، ودخوله إليها كان في نهاية القرن 7 هـ / 11 م وبذلك بقيت تابعة لبجاية الناصرية إلى غاية القرن 8 هـ / 12 م (4).

أما في العهد الموحي فإن المدينة خضعت لهم بعد سنة (548 هـ / 1154 م) وبالرغم من المحاولات المتعددة من طرف المرابطين للسيطرة عليها إلا أنهم فشلوا بسبب حصانتها ، وبقيت موالية للموحدين 70 سنة إلى غاية سقوط دولتهم وانقسامها ، وقامت على أنقاضها الدويلات الثلاث الحفصية ، الزيانية ، المرينية ، ولأن المدينة كانت قريبة جغرافيا للدولة الحفصية فقد تمكن الحفصيون بقيادة أبو زكريا من الإستلاء عليها وعلى جميع الشرق الجزائري ودخوله لها سنة 628 هـ / 1230 م وأسره لأصحاب النفوذ فيها وإرسالهم إلى تونس (5). وقد ذكر المؤرخ ابن خلدون حادثة سيطرة أبي زكريا على قسنطينة وكيفية إستلائه عليها (6).

(1) - محمد الهادي شعيب ، أم الحواضر في الماضي و الحاضر أو تاريخ قسنطينة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1985 ، ص 230 - 231.

(2) - نفس المصدر ، ص 17.

(3) - عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير في العصر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ج 2 ، 1981 ، ص 414 .

(4) - PAUL(LOUIS CAMBUZAT),l'évolution de cites de tell en Ifriqiya , o.p.u.II, p 75 -78.

(5) - عبد الرحمن الجليلي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ص 12 .

(6) - عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، المجلد 6 ، د ت ، ص 336 - 386.

عمل بنوا حفص على تقسيم ممتلكاتهم إلى أقاليم ، فكانت قسنطينة من بين هذه الأقاليم واعتبرت القاعدة الثانية للحفصيين بعد تونس و عدت العمق الإستراتيجي والاقتصادي للسلطة المركزية وإحدى قلاعها العسكرية المنيعة لقد اتسع عمران المدينة في هذه الفترة وكثرت مساكنها و مساجدها وكتاتيبها وشيدت بها الحمامات والفنادق والأسواق حتى أصبحت تضاهي الحواضر المغربية الكبيرة (1).

أثناء حكم الحفصيين للمدينة شهدت عدت حملات من طرف المرينيين أهمها: حملة أبو الحسن المريني (748 هـ / 1337 م) وحملة أبو عنان المريني (758 هـ/1356 م) والتي وصفها المؤرخ بن الحاج النميري وصفا دقيقا (2).

ج- قسنطينة في العهد العثماني :

لقد اختلف الباحثون حول تاريخ دخول العثمانيين لمدينة قسنطينة وهذا للافتقار إلى الوثائق المعاصرة لهذه الفترة ، وللخروج بتاريخ محدد قام عدد منهم أمثال : ميرسي (Merçies) و لمبري (Lambri) و دافيني (Davini) بإعطاء تاريخ لهذا الأخير فنجد أن ميرسي حددها عام 1519 – 1522 م ، ودافيني عام 1522 م ولومبري عام 1526 م أما فاسيت (Vayssette) فقد حدده عام 1520 م (3) و ذلك اعتمادا على وثيقة تعود إلى سنة 935 هـ / 1520م تقول أن قسنطينة تمردت على حكم خير الدين بربروس فأرسل إليه قائده قارة حسن الذي أعادها إلى الحكم العثماني أما الكاتب الإسباني (مارمول) فإنه يقول أن مدينة قسنطينة آلت إلى الأتراك العثمانيين بعد وفاة آخر القادة الحفصيين أي سنة 940 هـ / 1534 م (4).

ومن مختلف الآراء السابقة يمكن الوصول إلى نتيجة و هي أن دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة لم يكن مرتبطا بتاريخ معين بل كان على مراحل وبعد محاولات عدة . ورغم وصولهم عدة مرات إلى مشارف المدينة وإقامتهم حاميات بالقرب منها ، إلا أن الدخول الفعلي كان ما بين (940- 960 هـ / 1534 – 1554 م) فالوجود العثماني قبل هذه الفترة كان رمزيا وغير مستقر (5).

(1) - عبد العزيز فيلاي و محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي، ص 68 – 69.

(2) – أنظر : ابن الحاج النميري ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعدية إلى قسنطينة و الزاب ، ت. محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1990، ص 289.

(3) - Vayssttes(E) , Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837 Constantine, in (R . C) , 1867, p 256.

(4) – BERBRUGGER(A), Epoque de l'établissement de turcs à Constantine , in(R . A) 1986 P 401-42.

(5) - MERICIER(E) ,Histoire de Constantine, Constantine, 1903 , p 193.

أنظر : محمد الصالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 7 .

عقب دخول العثمانيين إلى المدينة ظهر تياران متناقضان ، الأول رفض الوجود العثماني بالمدينة وكان على رأسه أسرة عبد المؤمن من شيوخ الإسلام في العهد الحفصي ، ساندها في ذلك عرب أولاد بن صاولة وقد كانت المعارضة شديدة ، أما التيار الثاني فقد ساند دخولهم إلى المدينة وتزعمتهم أسرة الفكون ، وقد كان إتصال العثمانيين بهذه العائلة للوقوف معهم مبكرا ويرجع إلى سنة (928 هـ / 1522 م) (1).

ج-1- تكوين البايك :

قرر حسن باشا بن خير الدين تقسيم الجزائر إلى ثلاثة أقاليم كل منها يحمل اسم البايك وذلك من أجل ضبط السلطة وإقامة إدارة محكمة ، وكانت على النحو التالي : بايك الجزائر أو دار السلطان ، بايك الغرب (عاصمة مازونة ثم معسكر ، وبعد تحرير وهران من يد الإسبان أصبحت هي عاصمة البايك) ، بايك التيطري (عاصمته المدية) ، بايك الشرق (عاصمة قسنطينة) ، وكانت هذه الأخيرة هي الأوسع مساحة والأكثر عمرانا وعين عليها نائب عن الداوي يحمل اسم الباوي (2).

وعند إنشاء البايك أصبحت حدودها تمتد شمالا من البحر ابتداء من طبرقة شرق القالة إلى حدود مدينة بجاية ، ومن الشرق حتى الحدود التونسية ابتداء من طبرقة وتمتد حتى الجنوب عبر تبسة إلى غاية واحات وادي سوف (3).

ج-2- تطور البايك:

أول من عين في هذا الإقليم هو رمضان تشولاق وذلك بين (1567 - 1574 م) وقد قضى هذا الباوي على ثورات القبائل ضد الحكم العثماني (4) ، كما شارك في الحملة على ملك المغرب سنة 1576 م ، أما في عهد حسين باي (1608 - 1622 م) فقد أبرمت اتفاقية لضبط الحدود مع تونس سنة 1614م وقاموا برعاية مصالح الفرنسيين في القالة بأمر من الباشا .

(1) - جميلة معاشي، الأسرة المحلية الحاكمة في بايك الشرق الجزائري من القرن 10هـ - 16 م/13هـ - 19 م، دراسة

اجتماعية سياسية ، رسالة لنيل ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة ، 1990-1991، ص 99 .

(2) - عبد المهدي بن علي شعيب ، المصدر السابق ، ص 213 .

(3) - محمد الصالح بن العنتري ، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة مراجعة بوعزيز يحي ، د.م.ج ، بن عكنون الجزائر ، 1991 ، ص 17 .

(4) - لقد قامت اضطرابات كبيرة في بداية الحكم العثماني للمدينة ، حيث ثارت مجموعة من القبائل على العثمانيين ، وأهم تلك الثورات قام بها الحنانشة في شرق البايك وثورة أولاد أمقران في غربه.

للمزيد من التوضيح حول هذه الثورات أنظر :

- محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 31.

أما مراد باي^{1*} (1622-1647م) فقد اهتم بحفظ الأمن في البايع كم ساعد على أمن الرعايا الفرنسيين في مراكز صيد المرجان ، وعندما قام التونسيون بحرق معاهدة ضبط الحدود وجهت الجزائر حملة عسكرية ضد تونس اشترك فيها مراد باي بقوات البايع⁽¹⁾ . أما فرحات بن مراد فقام بترميم الجامع الكبير بقسنطينة ، وقد تولى البايات على حكم قسنطينة وأهمهم : رجم باي (1077 – 1084 هـ / 1666 – 1673 م) ، إبراهيم العليج (1114 – 1119 هـ / 1702 - 1707 م) ، حسين باي بوكمية (1125 – 1150 هـ / 1713 – 1737 م) وهو باي جامع سوق الغزال ، صالح باي (1185 – 1207 هـ / 1771 – 1792 م) وهو الذي شيد جامع الكتانية ومدرسته⁽²⁾ .

أما آخر البايات فهو الحاج أحمد باي بن محمد الشريف ، ويتميز هذا البايع بشخصيته القوية وحنكته في إدارة أمور البايع ، حيث شارك في العديد من الحملات التأديبية ضد القبائل ، وباحتلال فرنسا للجزائر في سنة 1830 م ظهرت قوته ، حيث أثبت مقدرته في مقاومة الفرنسيين ، إذ عرف البايع مقاومة شديدة للاستعمار ولم يستطع الفرنسيون الدخول إلى المدينة إلا في سنة 1837 م⁽³⁾ . وفي عهده أصبحت المدينة حاضرة من حواضر الجزائر كما امتازت بأنها منبع لثقافة راقية ، وأهم بناء معماري قام به أحمد باي هو قصره الذي عرف باسمه⁽⁴⁾ .

ج-3- المراحل التاريخية للبايع :

وللتعرف على الأحداث التي شهدتها البايع منذ وضع العثمانيين أقدامهم الأولى به ، نقوم بتقسيم تاريخ الحكم العثماني بقسنطينة إلى أربعة مراحل :

- الأولى : وتبدأ من سنة 1522 م إلى غاية 1567 م والتي تتلخص في تمركز الحامية التركية بالمنطقة ووضعها لسياسة تجعلها تتقرب من السكان فمنحت ألقاب شرفية لبعض رؤساء القبائل محاولة لإدماجهم وإتباعهم للحكم العثماني⁽⁵⁾ .

(1) - محمد الصالح بن العتري ، نفس المصدر ، ص 34-35.

^{1*} - البايع الذي خلع بعد ثورة أحمد بن الصخري .

(2) - للمزيد من الإيضاح : أنظر: عبد المهدي بن علي شعيب ، المصدر السابق ، ص 213 ، 258 ، 266 .

- Vaysstes , Opcit , p 114

(3) - بوعزة بوضرساية ، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826 – 1848 م ، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، د.ت ، ص 78 .

(4) - أنظر : فندرين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي ، ترجمة أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د.ت

ص 73 – 74 .

(5) - محمد الهادي شعيب ، المرجع السابق ، ص 17.

- الثانية : وهي إبتداءا من 1567 م حتى سنة 1791 م وعرفت خلالها قسنطينة إنشاء البايك وتنظيمه إداريا واستقرار عدة حاميات في المناطق الإستراتيجية للإقليم (1) .
- الثالثة : 1791 - 1830 م وتمثل بداية ظهور ضعف على مستوى البايك وكذلك على مستوى الحكم المركزي ، وذلك بسبب الممارسات السيئة المتمثلة في قتل السكان واحتكار مصادرة أموالهم ، هذا ما أدى بهم إلى التخلي والابتعاد عن الحكم (2) .
- الرابعة : وتمثل في الوضعية والحالة التي آل إليها البايك بعد سنة 1830 م ، والتي عرفت تدخل المستعمر الفرنسي ومقامة الحاج أحمد باي حتى وفاته سنة 1848 م ، وبذلك يكون هو آخر باي على قسنطينة (3)

(1) - عبد العزيز فيلاي ومحمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص79.

(2) - محمد الهادي شعيب ، المرجع السابق ، ص17.

(3) - بوعزة بوضرساية ، المرجع السابق ، ص78.

ج-4- بايات قسنطينة: وهذا جدول يبين رزنامة تعاقب حكم بايات قسنطينة منذ إسناد البايك حتى دخول الاستعمار الفرنسي .

1708م - 1120هـ	18- علي باي بن حمودة	1528م - 935هـ	1- رمضان باي
1709م - 1121هـ	19- حسني الشاوش	1567م - 975هـ	2- جعفر باي
1710م - 1122هـ	20- عبد الرحمان	1588م - 975هـ	3- محمد بن فرحات باي
1710م - 1122هـ	21- حسين دنجلزي باي	1608م - 997هـ	4- حسن باي
1710م - 1122هـ	22- علي بن صالح	1622م - 1000هـ	5- مراد باي
1713م - 1125هـ	23- عليان حسين بوخيمة	1637م - 1047هـ	6- صخيروي
1746م - 1149هـ	24- حسين باي بوحنك	1648م - 1057هـ	7- فرحات باي
1753م - 1167هـ	25- حسين بن زرق عينو	1652م - 1063هـ	8- محمد باي بن فرحات
1756م - 1170هـ	26- احمد باي القلي	1667م - 1077هـ	9- رجم باي
1771م - 1185هـ	27- صالح باي بن مصطفى	1673م - 1083هـ	10- خير الدين باي
1792م - 1207هـ	28- إبراهيم باي بوصبع	1676م - 1087هـ	11- دالي باي
لا توجد معلومات عنه	29- صالح باي ثاني	1679م - 1090هـ	12- عمار بن عبد الرحمان
1792م - 1207هـ	30- حسين بن حسين بوحنك	1687م - 1099هـ	13- شعبان باي
1794م - 1209هـ	31- مصطفى باي الوزناجي	1692م - 1104هـ	14- علي خوجه باي
1797م - 1212هـ	32- الحاج مصطفى انكليس	1700م - 1112هـ	15- أحمد باي بن فرحات
1803م - 1218هـ	33- عثمان باي	1702م - 1114هـ	16- إبراهيم باي

1804 هـ - 1219 هـ	34- عبد الله باي	1707 م - 1119 هـ	17- حمودة باي
1817 م - 1233 هـ	42- أحمد باي مملوك	1806 م - 1222 هـ	35- حسين بن صالح باي
1817 م - 1233 هـ	43- محمد باي المليبي	1808 م - 1223 هـ	36- علي باي بن يوسف
1818 م - 1234 هـ	44- إبراهيم باي الغربي	1808 م - 1223 هـ	37- أحمد شاوش القبائلي
1819 م - 1235 هـ	45- أحمد باي المملوك الثاني	1808 م - 1223 هـ	38- أحمد طوبال
1821 م - 1237 هـ	46- إبراهيم باي القرطلي	1811 م - 1226 هـ	39- محمد باي نعمان
1713 م - 1125 هـ	47- محمد باي ماناماني	1813 م - 1229 هـ	40- محمد شاكر
1824 م - 1241 هـ	48- الحاج أحمد باي	1817 م - 1233 هـ	41- قارة مصطفى باي

(1)- Kaddache (mahfoud.), L'Algerie Durant la période ottomane ,office des publication ,universitaire ,ben Aknoun ,Alger , 1992 , p.162-163.

للمزيد من التوضيح أنظر :

- محمد المهدي شعيب ، أم الحواضر في الماضي والحاضر.

- محمد الصالح بن العنتري ، تاريخ قسنطينة.

4- التطور العمراني لمدينة قسنطينة:

أ- قبل الإسلام:

لقد استوطن الإنسان في مدينة قسنطينة منذ أقدم العصور ، فنجد أن إنسان ما قبل التاريخ قد اتخذ من كهوفها ومغارها وأدغالها بيوتا ليحتمي بها من الظواهر الطبيعية ومن الوحوش البرية ، وقد اختار العيش على ضفتي الوادي (1).

بعد مرور فترة زمنية معتبرة طورتها قبائل الماسيل وانتقلت بها من العصر الحجري إلى العصر التاريخي ففي عهدهم أصبحت عاصمة سياسية بعد أن كانت قرية صغيرة فتطور عمرانها وازدادت مساحتها ، فأصبحت تتوفر على مراكز للتخزين ومصانع وأسواق رئيسية ومرافق للخدمات الاجتماعية والدينية ، إضافة إلى كونها مقرا للحكم والسلطة المركزية (2).

استمرت المدينة بالرقى والازدهار على يد النورمانيين حيث بلغ عدد سكانها حسب تقدير ستيفان قرال (Gsell -S-) ما بين (150-180 ألف نسمة)، وهذا الرقم الكبير يدل على ما بلغته المدينة من اتساع عمراني ، إلا أن هذا الاستقرار لم يدم فبعد احتلالها من طرف الرومان سنة 112م (3) قامت مقاومة شديدة من طرف السكان المحليين أدت إلى تهدم المدينة بالكامل حيث أعاد كما ذكرنا قسنطينيين بنائها ، ومن خلال دراسة مخططها في هذه الفترة يتضح بأن المدينة الرومانية بصفة عامة في بلاد المغرب ، وقسنطينة خاصة ماهي إلا صورة طبق الأصل لمدينة روما في مؤسساتها ومبانيها ومعابدها ، وفي شكلها وتخطيطها المعماري (4).

لقد تلى الرومان الوندال الذين لم يخلفوا آثارا معمارية تدل على توسعات في المدينة أو في عدد سكانها ، نفس الشيء ينطبق على البيزنطيين الذين تميزت فترتهم بالفوضى والثورات.

ب- في العهد الإسلامي :

لما استدب الأمر للمسلمين في المنطقة أصبحت قسنطينة تابعة للقيروان ، لقد تميزت فترة الأغالبة بالازدهار فاستفادت المدينة من ذلك خاصة في الجانب التجاري فازدهرت أسواقها ، هذا ما أدى لتوسيع المدينة خاصة المساحات المخصصة للتجارة (5).

(1) - دليل قسنطينة ، ولاية قسنطينة ، ص4.

(2) - محمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص45.

(3) - عبد العزيز فيلالي ، مدينة قسنطينة ، ص11.

(4)- Grimal (P) , Les villes Romanes , Paris,1945, p,15.

(5) - عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص54.

أما في خضم الصراع المذهبي بين الفاطميين والعباسيين (الأغالبية) ، فقد عرفت بلاد المغرب في هذه الفترة نهضة حضارية شاملة في ميدان الصناعة والتجارة والفلاحة والعمران بإنشاء المدارس والقصور والمصانع حيث ازدهرت صناعة الخزف في مدينة تديس (بوابة قسنطينة) (1).

لقد استرجعت المدينة مكانتها في الفترة الزيرية والحمادية ، وأصبحت من أهم المراكز الحضارية في بلاد المغرب بعد مدينة القيروان ، حيث شجعوا العلم والعلماء فكثرت بها مراكز الثقافة من كتاتيب ومعاهد ومساجد وقد ساعدت هذه الأوضاع على الازدهار الصناعي والاقتصادي والعمري بالمدينة (2).

كما أن الفترة الحمادية تمتعت بنهضة اقتصادية كبيرة ونشاط تجاري دؤوب وحركة علمية واسعة ساعدها في ذلك شبكة الطرق التي تربطها مع مختلف الاتجاهات والمدن الساحلية والموانئ البحرية ، إلى جانب هذه النهضة فلا شك أن المدينة عرفت تطورا معماريا ونشاطا عمرانيا كبيرا ، سواء في الجانب المدني أو الديني ، فقد بني في هذه الفترة الجامع الكبير الذي شيده الأمير الحمادي يحيى بن عبد العزيز سنة 530هـ/1236م (3).

فالمدينة كانت تتكون من القصبة وهي المحور الذي يتطور حوله العمران وتحيط به سلسلة من العمران ، بما بجان باب ميلة في شرقها وباب القنطرة في غربها ، بهذا فالمدينة احتفظت بمخططها القديم باستثناء التغييرات التي فرضتها العادات الإسلامية والتأثيرات الإقليمية وكذا الزيادة الديموغرافية الملحوظة ، ومن أهم المعالم المنتشرة (دار الإمارة الجامع - السوق) ، إلى جانب هذه المركبات نجد الدكاكين والمحلات التجارية وكذا الشوارع التي حافظت على طابعها القديم القائم على تقاطع الطريقتين الرئيسيتين ، إلا أنها تغيرت فيما بعد واتسعت وكثرت بها الشوارع الرئيسية (4).

وكانت المدينة مقسمة إلى ثلاث مناطق أو أحياء : الحي الخاص بالصناعة ، الحي الخاص بالسكن الكثيف والحي الثالث وهو الضاحية أو الأطراف (5). (الخريطة 03)

لم تعرف المدينة تطورات كبيرة في الفترة الموحدية وذلك راجع إلى الصراع (المرابطي الموحدية) حول امتلاك المدينة . وبعد انقسام الدولة الموحدية أصبحت قسنطينة تابعة للحفصيين ، وبذلك صارت عاصمة لإحدى المقاطعات التابعة للحفصيين (6). وبسبب مكانتها لدى بني حفص فقد قصدتها الناس من كل الأماكن فاتسع عمرانها بتشييد القصور الحفصية والمنازل العامة ، وزيد في عدد مساجدها وأسواقها وحماماتها وخاناتها فازدهرت

(1) - محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص33.

(2) - عبد العزيز فيلاي ومحمد الهدي لعروق ، المرجع السابق ، ص54.

(3) - رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص17.

(4) - محمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص55.

(5) - عبد العزيز فيلاي ومحمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص61-62.

(6) - عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ص54

أسواقها ، إن هذا التوسع العمراني أدى إلى فتح باب ثالثة بالمدينة وهو باب الجابية بالجنوب لتسهيل حركة المرور في المدينة وخارجها (1).

د- في العهد العثماني :

تعتبر قسنطينة في العهد العثماني المدينة الثانية بعد العاصمة ، فهي عاصمة بايلك الشرق ، حيث امتدت على رقعة شاسعة ، ويعتبر الحكم العثماني بها ملازما لازدهار الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والتطور العمراني.

لقد بلغت المدينة أقصى إتساعها في الفترة العثمانية ، حيث ازدهر عمراتها وراجت تجارتها وتغيرت شبكة المواصلات بها ، وبسبب هذه الزيادة العمرانية الكبيرة زادت عدد أبوابها فأضيف لها باب الرحبة ويعرف كذلك باسم الباب الجديد يقع بالجهة الغربية تنتهي إليه طريق الجزائر ، كان في السابق يؤدي دورا ثانويا (2) ، بالإضافة إلى باب الوادي الذي يقع غير بعيد عن باب الرحبة ، حيث يبعد عنه بحوالي 100 م ، يؤدي إلى الجهات الجنوبية. أما باب القنطرة وباب الجابية فقد حافظت عليهما المدينة من العهود السابقة ، ولم تذكر المصادر مصير باب ميله (2).

والملاحظ على هذه الأبواب أنها ترتبط بالأطراف الأخرى المقابلة للمدينة عبر جسور ومن أبرزها جسر القنطرة الذي كان في الأصل جسرا رومانيا ، بالإضافة إلى جسر سيدي راشد. (الخريطة 08).

- من علامات التقسيم في المدينة الإسلامية بصفة عامة وفي قسنطينة خاصة هو تقسيمها إلى أحياء كبيرة ، يحتل كل حي حيزا مكانيا بأحد أطراف المدينة ، وتتكون الأحياء في حد ذاتها من وحدات سكنية متلاصقة ببعضها البعض .

ويبدو في قسنطينة أن المدينة الحضرية قد تكونت بصورة ماثلة للمدن الكبرى الموجودة في العالم الإسلامي فقلب المدينة المشكل للكثافة العالية ، وغالبا ما يكون مركزها ذو طابع تجاري لما يمثله الجانب الاقتصادي من أهمية.

وقد قسمت المدينة في الفترة العثمانية إلى أربعة أحياء رئيسية ذات طابع سكني وهي على التوالي:

1- حي القصبة : يقع بالجهة الشمالية الغربية من المدينة ويغطي مساحة معتبرة ، يمر بجانب هذا الحي الطريق الرئيسي الرابط بين باب الجديد وباب القنطرة ، كما يحتوي هذا الحي على عدد من الجوامع أشهرها جامع القنطرة

(1) - عبد العزيز فيلاي ومحمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص 68-69.

(2) - عن أبواب المدينة أنظر : فاطمة الزهراء قشي ، قسنطينة المدينة و المجتمع ، ج 2 ، رسالة دكتوراه في التاريخ ، جامعة قسنطينة ، 1998 ، ص 240.

وجامع سيدي لخضر ، وبازدهار المدينة في فترة صالح باي أخذ هذا الحي يأخذ أهمية إستراتيجية حيث أصبح حيا عسكريا ، أقيمت به عدة منشآت وسكنى للقادة ، يرجع الاهتمام بهذا الحي لأنه يشغل الجهة الأكثر تحصينا بالمدينة.

2- حي القنطرة : يقع بالجهة الشمالية الشرقية ويشغل مساحة متوسطة ، يقطعه الطريق الرئيسي الذي يربط باب القنطرة بالأبواب الثلاثة الأخرى بالجهة المقابلة مما يكسبه حركة ونشاطا دائمين ، يضم حي القنطرة عدة مرافق عامة تضمن قضاء الحاجة للسكان دون عناء كالمساجد ، حيث كان يحتوي على ثلاث مساجد بالإضافة إلى زاوية وكوشة خبز وحمام ومراكز لبيع المستهلكات اليومية ومدرسة قرآنية ، أما الجهة الغربية فهي محاذية للأسواق الكبرى وأقربها إليه سوق الجمعة ورحبة الصوف.

3- حي الطابية : يقع بالجهة الجنوبية الغربية يعتبر أصغر الأحياء مساحة ، توجد به عدة مساجد أكبرها مسجد علي بن مخلوف ، يتكون هذا الحي من وحدات سكنية متلاصقة ببعضها البعض .

4- حي الجابية : يشغل الجهة الجنوبية الشرقية ويعتبر أكبر الأحياء مساحة وكثافة ، وقد أنشأ في منحدر صعب على حافة الوادي . يضم في وسطه حي السوقية والزلايقية ورحبة الجمال ، كما يضم مجموعة معتبرة من المساجد يبلغ عددها 14 مسجدا ، أكبرها الجامع الكبير الذي يعود للفترة الحمادية و04 حمامات بالإضافة إلى بعض الشوارع التجارية الحرفية.

- إضافة إلى هذه الأحياء الأربعة الكبيرة السالفة الذكر يوجد بالمدينة حي خامس يحتل مركز المدينة وهو سوق التجار الذي يعتبر أكبر لأحياء نشاطا (1).

- وما يمكن قوله أن هذه الأحياء لا تغطي كل مساحة المدينة فتوجد مساحات أخرى غير مسماة ولا يشملها التقسيم ، والشيء الذي لمسناه خلال تطرقنا لدراسة أحياء المدينة في الفترة العثمانية هو الاستقلالية التي يحظى بها كل حي ، فإذا أخذنا أي نموذج من هذه الأحياء ندرك مدى استقلاليتها ، واحتوائه على كل المؤسسات الضرورية لأفراده ، فالحي الواحد نموذج مصغر للمدينة يضم مسجدا يقوم بوظيفة المسجد الجامع وكوشة ومخزن للمياه وسوق ومدرسة قرآنية وحمام.

لقد ربطت الأحياء السالفة الذكر بمجموعة من الطرق (الشوارع) ، لأن نظام المواصلات له مكانة هامة وأساسية في تخطيط المدن وأهمها : أ- الطرق الرئيسية (الشوارع العامة) :

(1) - للمزيد عن أحياء المدينة أنظر :

-Bernard (Bagand) , La midina de Constantine de la cete traditionnel au centre de la glomeration , universitè de Poitiers , 1989 , P.164.

- الطريق الأول: ينطلق من الباب الحديد ليصل إلى حي القصبة التي تضم العديد من المساكن الخاصة.
- الطريق الثاني: ويدعى طريق الموقف ، يؤدي إلى سوق العصر مروراً أمام دار الباي مخترباً سوق الغزل.
- الطريق الثالث: يمثل الشريان الرئيسي للتجارة والحرف ، حيث ينطلق من باب الوادي ويؤدي إلى رحبة الصوف ، ولهذا فإن هذا الطريق يعتبر تجارياً.
- الطريق الرابع : ينطلق من باب الجابية قاطعاً في ذلك حي الجابية مروراً بحي السوق ليصل في نهايته إلى باب القنطرة .
- بالإضافة إلى هذه الطرق الرئيسية ، نجد أيضاً طرقاً ثانوية وكذا ممرات محدودة لربط الأحياء ببعضها ، حيث تكون متصلة ببعضها البعض وكذا بالطرق الرئيسية.
- كانت قسنطينة سوقاً كبيرة تغطي مطالب الشرق الجزائري برمتها ، وكانت أسواق القبائل في الشرق الجزائري ضعيفة وعليه يتم بيع البضائع المصنعة في المدينة⁽¹⁾ . إضافة إلى ارتفاع عدد السكان بالمدينة وتوسع عمرانها أدى بطبيعة الحال إلى زيادة عدد أسواقها ، فنجد في فترة صالح باي ستة أسواق وهي :
 - سوق الجمعة : يقع بالناحية الشمالية الشرقية للمدينة على حافة واد الرمال ذو مساحة واسعة.
 - سوق العصر : يقع جنوب سوق الجمعة وهو أقل اتساعاً من سابقه .
 - رحبة الصوف : هي عبارة عن مساحة فسيحة كانت ملتقى تجار الصوف والوبر القادمين من الصحراء والشرق وهو يتوسط الصحراء.
 - سوق الغزل : يقع شمال شرق قصر أحمد باي ، و التجارة الممارسة فيه هي الغزل والصوف.
 - رحبة الجمال : تقع بين باب الواد وباب الجابية على حافة الصخرة
- إضافة إلى عدة سويقات اختصت في تلبية الحاجيات اليومية لقطاع صغير من المدينة ، وكذا بعض الشوارع الحرفية والتجارية كسوق العطارين والصياغين و القصاعين⁽²⁾ .
- أما فيما يخص الجانب الدفاعي و التحصيني للمدينة فقد عرفت إضافات معتبرة في هذه الفترة ، فإلى جانب السور إشتتمل النظام الدفاعي على بطاريات (مدافع) تنتصب فوق الأبواب ، كما زودت بأبراج للمراقبة واستعملوا في تحصينهم للمسافة الممتدة بين باب الجابية وباب القنطرة نبات الصبار بكثافة لتسهيل اجتياز ذلك المكان ، لقد أفادنا الورثياني بمعلومات حول تحصين قسنطينة حيث قال (... وعليها سور كبير ... وعسكر من الترك بقدر حالها ، وبأي سطوته عظيمة وحاله كبير وعساكره كثيرة ومددها قوي ...) ⁽³⁾ .

(1) - فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص267.

_ أنظر : فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص242-243.

(2) - أنظر : فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص245.

(3) - الحسن بن محمد الورثياني ، المصدر السابق ، ص686.

هـ - في الفترة الاستعمارية:

عرفت قسنطينة خلال فترة الاستعمار الفرنسي جملة من التحولات أثرت بشكل واضح على طابعها الأصيل فمن بين أهم التغييرات هو استبدال أسماء الأحياء وتقسيماتها ، فقد استبدلت مسميات الشوارع بأسماء أخرى لظباط فرنسيين توفوا أثناء احتلال قسنطينة ، إضافة إلى أن هذه التغييرات أتلفت الطابع العمراني الإسلامي للمدينة وكانت انطلاقته الأولى من المساجد حيث قام بتحويلها إلى ثكنات وإستبلاط ولم يكتفي بهذا فراح يهدم المنازل والبيوت وشق بدلها ممرات وطرق ، وعلى مستوى الأبواب فقد تم غلق باب الحديد وباب الوادي و هذا الأخير أعيد فتحه فيما بعد ، بحيث لم يعد لقسنطينة سوى ثلاثة أبواب (1) .

أما فيما يخص الأحياء فقد تعرضت لتغييرات كثيرة ، حيث أعيد البناء الكلي للقصبة والطايبية ابتداء من سنة 1837م ، ذلك بعد تهديم كامل للمنطقة المرتفعة وأقام بدلها مساكن كما قسم حي الطايبية طوليا ، أما حي القصبة فقد أحيط بحزام متصل وهو جدار مرتفع طويل ، كما وسع سوق العصر و أصبح يسمى بساحة العبيد وسوق الجمعة ثم تم تعويضه بمدرسة ، وأكبر تشويه تعرضت إليه قسنطينة هو شق طريق يقسم المدينة ككل إلى قسمين يسمى هذا الطريق أو الشارع بـ "شارع فرنسا Rue de France" يمر بمحاذات الجامع الكبير وقد مست التغييرات قصر أحمد باي ودار الباي (2) .

في الأخير نشير إلى أن حي الجابية قد حافظ على طابعه المعماري الأصيل ولم يتعرض لتغييرات بحكم موقعه إلا أنه وفي الآونة الأخيرة بدأ الحي يتعرض لعدة تهديمات وكذا ترميمات أفقدته طابعه العتيق . كل هذه العوامل مشتركة ساهمت بقسط وفير في نمو المدينة ، فعمرت في وقت وجيز وعرفت توافد مختلف الأجناس مما أثر إيجابا على النمو العمراني بالمدينة واتخذت بذلك طابعها المعماري الأصيل والمحلي ، كما أثرت العوامل السابقة الذكر في استمرار المدينة على مر الزمن فلم تعرف الركود أو التوقف أو الفناء . - كما أن الدارس للنسيج العمراني لمدينة قسنطينة يدرك استجابة المدينة لشروط اختيار موضع وموقع البناء مراعية في ذلك جلب المنافع ودفع المضار .

(1)- Jeleud , (L.) , Son Passè , Son conteriaire , R.C , Vol , IX , P.12.

(2)- IBID , P. 54 .

II - المدرسة الكتانية :

1 - مؤسس المدرسة :

1-1 - حياته :

أسس المدرسة صالح بن مصطفى إزميري ، ولد بمدينة آزمير⁽¹⁾ غرب الأناضول سنة (1137 هـ / 1725 م) فهو تركي الأصل .

لم تذكر المصادر الشيء الكثير عن نشأة صالح بن مصطفى ، لكن كل ما يعرف عنه أنه ولد ونشأ في أسرة متوسطة الحال وهاجر إلى الجزائر ، هذه الهجرة لم تكن بمحض الصدفة ، بل أرغمه حادث مؤلم على الفرار من بيت أبيه وبلده وخوض مغامرات البحر ، كان قد تسبب في مقتل أحد أقربائه خطأ فهاجر دون رجعة⁽²⁾ . نزل واشتغل كمساعد في مقهى للإنكشارية ، وقد سمح له هذا العمل رغم بساطته بالتعرف على أوضاع هذا البلد الذي وفد إليه حديثا ، كما أن عمله في مقهى يرتاده أفراد من مختلف الطبقات سمح له أيضا بالتعرف على رجالات يعملون في الأوجاق⁽³⁾ ، تمكن من التقرب منهم وبفضل مساعدتهم له ، انخرط في التنظيم العسكري أي الجيش الإنكشاري .

تميز في منصبه الجديد بانضباطه ، وامثاله للأوامر التي كان يصدرها العسكر وقد أظهر شجاعته وقوته في جميع الفنون القتالية التي عرفت في عصره⁽⁴⁾ .

(1) - آزمير : هي سميرونا القديمة مرفأ هام في تركيا على بحر إيجه ، استولى عليها العثمانيون عام 1422م.

(2) - Vayssttes: l' histoire de Constantine de puis l'invation turque jusqu'à l'occupation de 1835-1837, l'arndet Paris , 1900 , p 333.

(3) - الأوجاق : كلمة تركية ويقصد بها الدولة التركية في الجزائر .

(4) - GAID (M.),Chronique de Beys de Constantine, O.P.U, Alger S.D , p 38.

ثم انخرط في الجيش (المليشيا التركية) (1) ، قبل أن يوجه إلى مدينة قسنطينة لدعم الفرقة التركية المعسكرة بها وشارك في حملة الباي زرق عينو (2) ضد تونس (3) .
ونظرا لما أبداه الرجل من مهارة وقوة في تلك الحروب ، فقد أثار انتباه أحمد القلي الذي أعجب به ، وتكونت بينهما صداقة حميمة ، وجعل أحمد القلي من صالح بن مصطفى مساعده ورفيقه ، وعندها ظهر صالح بن مصطفى في الواجهة بجانب الباي الجديد وفي مناصب هامة كقائد على الحراكتة (4) .
واستمر مسار صالح بن مصطفى في اتجاه الصعود نحو المراتب العليا ، نتيجة لاحتكاكه بالباي ، وقد ساعدته أيضا قوته العسكرية أثناء الحملات المختلفة ضد بايات تونس وكذا الحملات الموسمية للمحلة (5) إلى أن استطاع تولى منصب زعيم الحراكتة بالأوراس عام 1762 - 1765 م (6) .

(1) - المليشا : هي الشرطة التي تتكون من الأتراك خاصة ، وتكون على قسمين : مليشا منتظمة ومليشا غير منتظمة ، وقد كان لها وزن في تعيين المسؤولين وعزلهم .

(2) - زرق عينو : هو حسن باي ، حكم المقاطعة بين (1754 - 1756 م) ، تركي المولد برز أثناء الحملة على تونس وهو صهر بوحنك ، كانت فترة حكمه قصيرة .

(3) - للمزيد حول هذا الخلاف مع أيلة تونس ، أنظر :

- Cherif (M.H) . pouvoir et société dans la Tunisie de Husayn Bin Ali (1705-1740) Tunisie Publ, fac de Tunisie ; 2 vol 1984-1986.

(4) - هناك قبائل رحل بالمنطقة الجنوبية كالحراكتة وأولاد سحنون ، حيث كانت هذه المنطقة مسرح للحملات العسكرية التي شنها البايات لإجبار سكانها على دفع الضرائب .

(5) - المحلة أو الأحمال ، جمع محلة وهو اسم يطلق على مجموعة كبيرة من العسكر ، كانت تخرج مرتين كل سنة تحت إمرة الباي أو من ينوبه وذلك لجمع الجباية .

(6) - فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص 90 .

ومن المعروف عند الأتراك أن منصب الباي لا يرتقي إليه سوى من عرف بالحروب والشجاعة وحسن التدبير والسياسة⁽¹⁾ ، لقد اتصف صالح باي بكل الصفات الحميدة التي أهلتها لكي يرتقي لهذا المنصب .
فقد أشاد بربوجر (BERBRUGGER) بصفاته " إن أخلاق صالح باي صفة نادرة لدى كبار موظفي الأتراك آنذاك " .⁽²⁾ وفايست (VAYSSETTES) الذي قال عنه: " إن كان يوجد ما ينافسه كرجل حرب إلا أنه كرجل إدارة لم يدرك شأوه أحد فهو بحق متقدم على زمانه وعلى من حكمهم من الأهالي " ⁽³⁾ كما عرف أيضا بسرعة انتقامه وبحقده وقسوته الشديدة على أعدائه⁽⁴⁾ .
تزوج صالح باي ابنة أحمد القلي⁽⁵⁾ ، وذلك نظرا لإعجاب أحمد بصفات صالح وهكذا توطلدت أواصر العلاقة أكثر بينهما ، وبعد ثلاث سنوات أصبح خليفة له (1765 - 1777 م)⁽⁶⁾ .

(1) - محمد المهدي بن علي شعيب ، المصدر السابق ، ص 374 .

(2) - BERBROGER, documents sur Alger a l'époque du consulat et de l'empire, (R.A) N° 32 / N°

38 , p 35 .

(3) - Vayssttes : OP . CIT . p 352.

(4) - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، دار المغرب الإسلامي ، الجزائر ، 1999م ، ص 305.

(5) - تعد هذه العائلة من أكبر العائلات آنذاك وتعرف بعائلة المقراني (أنظر) :

- GAID : op . CIT , 39

(6) - الخلافة : هي أعلى وظيفة في المقاطعة بعد الباي ، وتمتد سلطته على كامل المقاطعة وهو الذي يقوم بدفع الدنوش الصيفي أو الخريفي بالجزائر .

ثم تزوج من امرأة بلدية من أعيان قسنطينة ، وهي ابنة رفيقه القديم أحمد الزواوي بن جلول (1) ويذكر مرسى (MERCIE) بأن صالح باي تزوج إمرة ثالثة (2) ، وقد رزق بمجموعة من الأولاد والبنات (3) .
وبدأ صالح باي يوقف الأملاك لصالح أبنائه ابتداء من سنة 1193 هـ / 1779 م (4) وقد امتلك صالح باي ثروة ضخمة أثارت حوله عدة تساؤلات : من أين له بهذه الثروة ؟ وكيف يمكن التفريق بين مال الدولة وماله ؟
ربما يعود مصدر ثروته لغنى المدينة خاصة المناطق الجنوبية منها ، كما أن ثروته ليست بالخرافة ، خصوصا إن علمنا أنها في معظمها كانت تذهب وتصرف في تمويل الأعمال الخيرية (5) .
وبعد ولايته التي دامت اثني وعشرين سنة ، قتل شنقا بقسنطينة في أوائل سنة 1207 هـ / 1792 م بأمر من الداوي حسن باشا ، والذي يظهر من أقوال المؤرخين أن السبب في ذلك هو تخوف حاكم الجزائر من نفوذ صالح باي والصيت العظيم الذي أحرز عليه في أنحاء البلاد بحسن إدارته وعدله ، فدخله الشك أنه سيثور عليه يوما من الأيام وبهذا خسرت الجزائر بوفاته حاكما خيرا في شتى المجالات (6) .

(1) - أحمد الزواوي بن جلول الصديق القديم لصالح باي ، ضابط قديم في معسكر الزواوة ونظرا لأمانته وإدارته لأعمال صالح باي توطدت العلاقة بينهما ، حيث أصبح صالح باي صهره له وبقي سنده المالي والمعنوي طيلة فترة حكمه (أنظر) :

-GAID : op . CIT , 39

(2) - MERICIER(E.) ,Histoire de Constantine, édition braham Constantine 1903 ,p380.

(3) - يذكر سعيدوني بأن صالح باي خلف عشرة أولاد لكن العقود لا تثبت ذلك .

- ناصر الدين سعيدوني ، نفس المرجع ، ص 309 .

(4) - الحاج أحمد المبارك، تاريخ حاضرة قسنطينة، ت. رابح بونار، د.ط، د.ت ، ص 28 .

(5) - فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص 112 - 113 .

(6) - أحمد توفيق المدني ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974

ص 64 - 65.

1-2- نشاطاته السياسية والعسكرية :

اهتم صالح بن مصطفى بعد توليه منصب الباي بسلطته بالإقليم حيث غزا عدة مناطق أولها أولاد نايل^{1*} الذين شقوا عصا الطاعة وتمردوا ضد الداوي ، فافتحم الجلفة وبوسعادة سنة (1187هـ / 1773 م) وألحق بهم شر هزيمة⁽¹⁾ .

وفي عام 1773م - 1187 هـ شن صالح باي حملة على أولاد عمور^{2*} وكان هؤلاء قد جاهروا بالعصيان لسلطة الدايات⁽²⁾ واقترح آفلو وتاجموت و الأغواط ، وفي إطار حملاته الفصلية لاستخلاص الضرائب حمل على قبيلة الزمول جنوب قسنطينة وتتبع عشيرة السقنية^{3*} ، كما هاجم أولاد بن عاشور بفرجيوة (1776م - 1190هـ)⁽³⁾ .

أما على صعيد آخر فقد ساهم بذكائه وحنكته من خلال الدور الهام الذي أداه في صد الهجوم الإسباني على مدينة الجزائر سنة (1775م - 1189 هـ) التي قام بها ملك إسبانيا مدعما ببعض القوات الأوربية⁽⁴⁾ . كما أجرى (عام 1782 م) مفاوضات مع والي تقرت باءت بالفشل فقام بمحاصرتها سبعة أسابيع إلى أن استسلمت ، كما توجه أربع مرات إلى بسكرة بسبب الفتن التي كانت تثيرها القبائل هناك . بالإضافة إلى ما حمله صالح باي من شجاعة وصرامة وتجنّد ، فقد كان في نفس الوقت منظما ماهرا فأثناء الحرب التي شنت بيني أولاد عكان وبن قانة في منطقة الزيبان تدخل واستطاع أن يرجع السلم⁽⁵⁾ .

^{1*} - أولاد نايل : قبائل تسكن بين بوسعادة و مسعد ، المدينة الأثرية والجلفة في الجنوب .

(1) - ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 61 .

^{2*} - أولاد عمور : قبيلة تقع قرب باتنة ومنها قرية النميلة

(2) - صالح نور ، مساهمة في دراسة بعض الجوانب التاريخية للعهد العثماني بقسنطينة من 1517 - 1837 ، رسالة ماجستير في التاريخ ، الجزائر ، 1978 ، ص 185 .

^{3*} - السقنية: قبيلة تقع في سهول عين مليلة .

(3) - محمد الصالح بن العنتري ، مصدر سابق ، ص 63 .

(4) - GAID , op. CIT , p163 , et Feraud (L.ch.) , l'expédition d'oriell , R.A N°27, 1865 , p 47.

- محمد الصالح بن العنتري، مصدر سابق ، ص 63 .

(5) - Féraud(L.CH),la Sahara de Constantine, notes et souvenirs, Alger 1887, p 65.

1-3- المجال العمراني والاقتصادي :

شجع صالح باي المشاريع العمرانية والاقتصادية ، حيث أنشأ حي سيدي الكتاني، فبنى به مسجدا ومدرسة وأقام بالقرب منه منازلها الخاصة وبيوتا لحاشيته (1) ، كما فتح طرق المواصلات وأسس مرسى سكيكدة وأنشأ بساتين ومزارع مثالية في سهول عين مليلة وعناية ، كما أجرى المياه بالصحراء وربط شبكات المياه ببعضها (2) . كما اهتم صالح باي بالصناعات ومن أبرزها الجلود ، النحاس ، الحدادة ، الحلي ، النسيج ، أدوات الطين الخياطة كما شجع التجارة الداخلية ، حيث تحولت قسنطينة ملتقى للقوافل التجارية ، كما شجع التجارة الخارجية وذلك بإصلاحه للموانئ التجارية .

وقام بجمع اليهود في منطقة واحدة و أقاموا دكاكينهم بهذا الشارع الذي كان يصل من باب الواد لباب القنطرة (3) .

كان من بين أهم المشاريع التي قام بها هو ترميمه لجسر القنطرة 1206هـ / 1792 م ، وهو أحد أهم منجزاته ، وقد وصف عملية الترميم بيونسال حينما زار المدينة (4) ، وكان يهدف من وراء هذا المشروع لتسهيل المواصلات في النواحي الشرقية للبايلك (6) .

1-4- أعماله الثقافية والدينية :

زيادة عن المنشآت الاقتصادية والاجتماعية اهتم صالح باي بالمنشآت الثقافية والدينية ، حيث انشأ مسجد ومدرسة سيدي الكتاني (1202هـ-1787م) ومدرسة سيدي الأخضر (1203هـ-1789م) وتبين هاتان المدرستان مدى اهتمام الباى برفع مستوى رعيته (6) . أما المناطق النائية فقام الباى ببناء زوايا بها لتحفيظ القرآن الكريم .

(1) - LAKHDAR (GUABI) , The place of Sahara Bey in the Constantine . Constantine , 1988 p 07.

(2) - محمد المهدي شعيب ، أم الحواظر في الماضي والحاضر ، ص 384 .

(3) - رشيد بورويبة ، قسنطينة ، سلسلة الفن و الثقافة ، وزارة الإعلام ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، جوان 1978 ، ص 117 - 118 .

(4) - MORELEVE , Les Maures de Constantine , dison , 1975 , p 72.

- كما تطرق بيونسال إلى عملية الترميم التي جلب لأجلها الحجارة من البلبار لكن لم يصل منها إلا القليل شحنة واحدة من ستورة (STORA) نظرا لتكلفتها الباهضة ، كما استعمل أحجار قوس النصر والذي يعرف بقوس القولة .

(5) - أحمد الشريف الزهار ، مذكرات ، ص 65 .

(6) - Vayssttes : OPCIT , p 352.

- أنظر : عبد الرحمان محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 3 ، ص 278-279

لقد أصدر عدة قوانين فيما يخص التعليم والمتعلمين ، كان يهدف من ورائها إلى نشر العلم بين الناس على نطاق واسع وليتمكنوا من أمور دينهم ولإعداد رجال يتولون أمور الإفتاء والقضاء والإمامة والتدريس وكذا لحفظ علوم الدين من الإهمال والضياع والنسيان (2).

كما اهتم صالح باي بإنشاء المساجد فقد بلغ عدد المساجد ثمانية وسبعون (78) مسجداً و ذلك حسب سجله ، أما عن الزوايا فقد بلغت ثلاث عشرة (13) زاوية أما خارج أسوار المدينة فنجد سبعة (7) مساجد (3).

2- موقع المدرسة:

تقع مدرسة سيدي الكتاني في الجزء الثاني للمدينة العتيقة (قسنطينة) أي أعلاها قريبا من جسر سيدي مسيد المعلق والمؤدي إلى المستشفى الجامعي (ابن باديس) وكذا بمحاذاة السوق الشعبي المسمى بسوق العصر الذي سمي بعد الاستقلال بساحة بوهالي السعيد ، يجدها من الشمال دار الإمام حاليا ومن الجنوب جامع سيدي الكتاني وبهذا فهي جزء من مركب سيدي الكتاني (اللوحة 06).

3- تاريخ المدرسة:

أسس صالح باي مدرسة سيدي الكتاني سنة 1202هـ / 1787م بالجانب الشرقي من الجامع المعروف بسيدي الكتاني (4). واشتهرت منذ تأسيسها باسم المدرسة الكتانية نسبة إلى ولي صالح اسمه الكتاني دفن بتلك البقعة من أهل القرن 12هـ / 18م ، وذلك لما جرت عليه العادة في ذلك الوقت على تسميت المساجد والمدارس والزوايا ، حيث تحمل أسماء رجال اشتهروا بالعلم تبركا ورغبة في الاقتداء بهم مثل مدرسة سيدي لخضر ومدرسة عمر الوزان ومداس أخرى (5). وكانت المدرسة تلقن الطلبة التعليم في مختلف الفنون والعلوم (الفقه - الحساب النحو والفلك.. (6).

(1) - Vaysstes , OPCIT , p 352.

- أنظر : عبد الرحمان محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 3 ، ص 278-279.

(2) - عبد القادر حلوش ، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1871-1914 من تسيير في الحديث والمعاصر ، دمشق

1985 ، ص 11.

(3) - Freud , OPCIT,(R.A),p.29-30

(4) - أمقران السحنوني ، المعهد الكتاني بقسنطينة قرنان في خدمة الثقافة العربية الإسلامية (1787-1987م) ، عن

"مجلة التراث" ، تصدرها جمعية التاريخ شركة الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1989 ، ص 128.

(5) - محمد المهدي شعيب ، المصدر السابق ، ص 385.

(6) - رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 126.

4- نظام سير المدرسة :

عمل صالح باي على تحسين المستوى الثقافي للامة فأنشأ عدة مدارس ، حيث كانت مدرسة سيدي الكتاني تحوي عدة أساتذة يعينهم الباى بنفسه ، ويتم الدفع لهم من ميزانية المساجد ، يدرسون مختلف العلوم (النحو - الفقه - تفسير القرآن - التوحيد - علم الحديث و الحساب) (1).

وقد استحدث صالح باي نظاما دقيقا يسمح لهذه المدارس بتأدية دورها ، وقد تقييد به الطلبة والمدرسون وذلك في شوال (1194هـ - 1780م) ، بلغ عدد الطلبة الداخلين ثمانية ، خصصت لكل طالبين حجرة واحدة كما كان لها وكيل مكلف بالميزانية بأجرة تقدر بثمانية ريالات ، وحارس للمدرسة الذي يقوم بكنس الفناء وإنارة قاعة الصلاة وأجرته سبعة ريالات ، أما المدرسون فأجرتهم ثلاثون ريالا ، بينما يدفع لكل طالب مبلغ قدره ستة ريالات ، وكان الأجر يدفع سنويا (2).

كان الطلبة يستكملون التعليم بدراسة علم الحساب وقراءة المؤلفات الطيبة مثل مؤلف ابن سينا ، وكان برنامج التعليم مسطرا ، فعلى المدرسين إلقاء ثلاثة دروس في اليوم :

-الدرس الأول : يبدأ عند مطلع الشمس ويدوم إلى الساعة الحادية عشرة.

-الدرس الثاني : يبدأ من منتصف النهار حتى وقت العصر.

-الدرس الثالث : يبدأ من العصر إلى غروب الشمس (3).

وكان على التلاميذ قراءة أربعة أحزاب كل يوم : اثنان عند صلاة الصبح ، واثنان بعد صلاة العصر يحتمونها بصلاة لله يدعون فيها لمؤسس المدرسة .

(1) - تقرير الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم التاريخية ، الدائرة الأثرية لولاية قسنطينة - ميله- جيجل رقم 280، قسنطينة 1999 ، ص3.

(2) - رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 127.

(3) - عبد القادر حلوش ، المرجع السابق ، ص 11-12 .

ومن أبرز القوانين التي أصدرها الباى فى مجال التعليم وذلك بمساعدة أكبر علماء ذلك الوقت كالشيخ عبد القادر الراشدي مفتي الحنفية ، وشعبان جلولى قاضي الحنفية ، والعباسي قاضي المالكية ، الذين وحدوا معارفهم لتزويد الناس بالفتاوى . وهذه القوانين تتمثل فى (1):

- لا يمكن لأى طالب أن ينام خارج المدرسة دون عذر أو سبب مقنع يستلزم ذلك ، أو زيارة أهله وتكون العطل الممنوحة من عشرين إلى ثلاثين يوما ، وإذا لم يعد الطالب إلى المدرسة بعد انتهاء العطلة مباشرة يطرد ويعوض بطالب آخر .

- لا يسمح للطلاب والعاملين غير المقيمين فى المدرسة من المبيت فيها .

- أى طالب لا يولى اهتماما بالدروس يكون جزاؤه الطرد .

- لا يمكن إدخال المواد الغذائية وأدوات الطبخ إلى المدرسة إلا الضرورى منها .

- كما يمنع غسل الملابس داخل المدرسة .

إن القوانين التى طبقت فى عهد صالح باى ما تزال الأنظمة التعليمية والمدارس الداخلية تعمل بها إلى اليوم وهذا دليل واضح على بعد النظر والتطور الكبير التى وصلت إليه المدينة بصفة عامة والنظام التعليمي ممثل فى المدارس بصفة خاصة .

(1) للمزيد حول هذه القوانين أنظر:

^Vaysstes , Histoire De Constantin,In (R .C) , p 355-357.

5- المدرسة الكتانية في الفترة الاستعمارية:

لقد ضمت هذه المدرسة إلى أملاك الدولة بعد الاحتلال الفرنسي لقسنطينة صباح يوم الأربعاء (14-7-1253هـ/13-10-1837م) بدعوى أنها من أملاك الباي الخاصة غير داخلة في الوقف العام في المسجد وتوقف بها كل نشاط تعليمي وثقافي⁽¹⁾.

وبمناسبة الذكرى الواحدة والستون للثورة الفرنسية في 14 جويلية 1850 فتحت الإدارة الاستعمارية ستة مدارس أطلق عليها (المدارس الفرنسية العربية) في مدن: الجزائر- وهران- عنابة- البليدة- مستغانم- قسنطينة أين يكون فيها التعليم مزدوج⁽²⁾.

وبموجبه أعيد فتح المدرسة الكتانية في 30 سبتمبر 1267هـ/1850م ، يجعلها مقرا للمدرسة العربية الفرنسية وذلك بهدف تخريج موظفين عرب في مختلف المجالات (القضاء-الإفتاء- الترجمة)⁽³⁾، كما وضعت نظاما خاصا بالمدرسة وهو نظام إداري سلمي مالي وصحي وتم توظيف المدرسين الفرنسيين في هذه المدرسة إلى جانب المدرسين الجزائريين أمثال محمد الشاذلي^{*}1.

إن هذه السياسة التعليمية الفرنسية قد أدت إلى ظهور طبقة منغلقة على نفسها تجاه المجتمع الجزائري متكررة لوطنها وتاريخها وقوميتها ، ومتفتحة على الثقافة والحضارة الأوروبية.

ورغم ذلك حصلت نتيجة عكسية خلال إنشاء هذه المدارس العربية الفرنسية ، حيث كان الكثير من طلابها دعاء للإصلاح ، كما التحق العديد منهم في صفوف جبهة التحرير الوطني بعد اندلاع الثورة التحريرية الكبرى .

وقد تحولت المدرسة الكتانية خلال الحرب العالمية الثانية إلى مقر للاتصالات ، لتصبح تابعة لجمعية العلماء المسلمين سنة 1947م .(اللوحة 05)

وبعد الاستقلال عادت إلى وظيفتها الأولى وهي التعليم ، لتندرج في السقوط فأصبحت مقرا للنظافة تابع للمجلس الشعبي البلدي ، ثم مركز عبور يأوي 19 عائلة ، وفي المدة الأخيرة تكفلت السلطات بترميمها وأعادت بعثها من جديد⁽⁴⁾.

(1) - أمقران السحنوني ، المعهد الكتاني بقسنطينة ، عن "مجلة التراث" ، ص 129.

(2) - خمري الجمعي ، حركة الشبان الجزائريين 1900-1930م ، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر ، إشراف حماد حسين ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسنطينة ، 1994 ، ص 45.

(3) - أمقران السحنوني ، المرجع السابق ، ص 139.

^{*}1 الشيخ محمد الشاذلي بن عيسى البوزيدي : هو أول مدير للمدرسة الكتانية بعد إعادة فتحها سنة 1850م حيث لعب فيها دورا كبيرا كمدرس ومدير ، توفي سنة 1877.

-انظر: محمد المهدي شعيب ، أم الحواظر ، ص ص 293-299.

(4)- للمزيد من المعلومات حول الوظائف شغلتها المدرسة أنظر : نفس المصدر ، ص 386.

III – مؤسسة صالح باي للأوقاف:

لقد أقام صالح باي مؤسسة الأوقاف حيث سيرها بنفسه ، وذلك بسبب التدهور الذي وصلت إليه أوقاف المؤسسة الدينية قبل عهده وأثناء فترة حكمه الأولى. لكن قبل الحديث عن مؤسسة الأوقاف التي أقامها صالح باي لابد من التطرق إلى تاريخ الوقف الإسلامي وأهميته؟.

يرجع الكثير من الباحثين المعنيين بتاريخ الأوقاف نشأة نظام الوقف إلى أصول إسلامية وإن كان يصعب تحديد بداية التعامل به بدقة ، إلا أنه تبلور نتيجة الاهتمام بتنظيم الصدقات والحث عليها منذ صدر الإسلام (1). كما يعتبر وجود الأحاديث النبوية التي تحدثت عن مفهوم "الصدقة الجارية" لأعمال البر، الغرض منها استمرارية العملية الخيرية واستمرار مصدر الرزق والثروة ، هنا ورد مفهوم جديد تمثل في "الحبس" أو "التحسيس" أي أن يتصدق المرء بما لديه من مال أو أن توقف غلته لغرض خيري حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حبس الأصل وسبل الثمرة) (2).

للتحسيس أغراض كثيرة منها رغبة المالك في تخليد ما يملك في خلفه من بعده ، وقد يكون اللجوء إلى الأوقاف خوفا من المصادر التي تلحقها السلطة السياسية. بمن يتمرد عليها أو المغضوب عليهم من موظفي المخزن أو الدولة (3).

وللتحسيس ميزة أساسية كونه لا يباع ولا يشتري لا يغير ولا يبذل ، أي تجسيد العقار في يد المنتفع به مهما كانت الظروف. لا يتحقق الحبس إلا بتوفر أركانه الأربعة ألا وهي:
- الواقف (الحبس): ويجب أن يكون عاقلا ، بالغاً ، حرا وله كامل التصرف في ملكه.
- الموقوف: هو مصدر الثروة أو منفعة ذات طبيعة دائمة كالعقارات والرياح والبساتين والحيوانات والكتب وغيرها من الأمور التي لها قيمة ومنفعة.
- الصيغة: ومن شروط الحبس أن يتم في عقد مكتوب ، ويعبر بوضوح بصيغة "وقفت" أو "حبست" أو "سبلت" وغيرها من الألفاظ.

(1) – كلوس كريس ، فارنيم جورج ماير، معجم العالم الإسلامي ، ترجمة ج. كتورة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1998 ، ص103.

(2) – أبو الوليد محمد بن رشد ، فتاوى بن رشد ، تحقيق. المختار بن الطاهر التليلي ، السفر الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 1987 ، ص355.

(3) – عبد العزيز أحمد أمبارك ، شرح تدريب السالك إلى أقرب الممالك ، تحقيق. أحمد بن محمد العزيز المبارك ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، 1995 ، ص250-251.

- الجهة الموقوف عليها: ألا وهي المؤسسة التي توقف عليها الأشياء الأنفة الذكر ، وتمثل هذه المؤسسات خاصة في المساجد والمدارس والأضرحة والزوايا ، لقد كانت تصرف عليها أموال الأوقاف من أجل صيانتها وكذا تسديد أجور العاملين بها (1).

وفي عهد صالح باي تطورت الأوقاف ووضع لها مؤسسة خاصة بما تسير وفق مشورته ، وأصبحت الأموال تتهاطل على هذه المؤسسات الدينية الثقافية مما أدى إلى تطويرها في شتى الميادين. إن ملف صالح باي للأوقاف الذي كونها ونظمها يعتبر من أهم الأعمال التي قام بها هذا الباي (2).

لقد جذبت مؤسسة الأوقاف كأداة لتنظيم الأعمال الخيرية والحفاظ على الأملاك الخاصة لذوي الجاه والمال اهتمام الباحثين منذ أكثر من قرن من الزمن ، وأصبحت مكانتها اقتصادية واجتماعية ، أما وظيفتها السياسية كأداة بيد السلطة فقد تجلت فيما أبداه الحكام من رعاية لها عبر القرون ، إلا أن المؤسسة بأوجهها المتعددة معقدة وتأثيراتها متشابكة في مجالات شتى من الحياة العامة والخاصة ، فالوقف كمؤسسة إسلامية لا تزال تستقطب اهتمام الباحثين ويكشف عن تأثيره العميق في بنية المجتمع.

لعبت مؤسسة الأوقاف مكانة هامة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر في العهد العثماني والتي ارتبط مصيرها بالمؤسسة الدينية والثقافية (3).

1- وثيقة أوقاف صالح باي :

قام صالح باي بتجربة نموذجية في قسنطينة والمتمثلة في إشرافه على تنظيم مؤسسة الأوقاف ورعايتها ورقابتها. كما أجمع المؤرخون على التنويه بما قام به صالح باي لتنظيم الأوقاف وحماتها ، وقد جسد سياسته بأمر يقنن تسجيل كل أملاك المساجد والمؤسسات الخيرية ويشرف على نظارتها ويراقب تسييرها (4).

لقد اطلعنا على هذه الأوقاف منشورة بالعربية في نصها الأصلي مع ترجمة للفرنسية على صفحات المجلة الفرنسي (R.A) العام 1866. وقد تم جرد تلك الأملاك في سجل كبير حسب وصف شارل لوي فيرو (ch.I. Feraud) دونت فيه قائمة المساجد والمؤسسات الدينية كلها بما لها من أملاك وأوقاف ، حيث أكد أن (1) - أنظر:

- أحمد شوقي بنين ، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي ، كلية الآداب ، الرباط ، ط 1 ، 1993 ، ص 45-46.

(2) - لقد كان أغلبية الجزائريين يتبعون المذهب المالكي ، بينما كان الحكام الأتراك يتبعون المذهب الحنفي ، ولهذا النقطة أهمية بالغة ، وذلك لأن المذاهب الأربعة تختلف في تفاصيل وشروط الوقف وكيفية استغلاله .

(3) - سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ، ص 213.

(4) - Feraud , (L.), Les anciens établissements religieux Musulmans de Constantine , (R,A)

N° 12 , 1868 , p130 .

محتواها مفيد دون شك للتاريخ المحلي الذي يفتقد إلى معلومات أصلية⁽¹⁾. بهذه العبارات علق شارل لوي فيرو على أمر صالح باي الهادف إلى إحصاء أحباس المساجد ورعايتها ، ولكن هذه السجلات قد ضاعت ، بل ولم نعثر لها على أثر في الدوائر الرسمية أو الخاصة ، باستثناء جزء من دفتر دونت فيه عقود أحباس الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه السيد صالح باي ، وقد يكون مصدر هذه العقود النسخة التي احتفظ بها قاضي الحنفية السيد شعبان بن عبد الجليل لأن بقايا هذا الدفتر محفوظة حاليا في الأرشيف الولائي لمدينة قسنطينة⁽²⁾.

وقد اطلعنا على هذه الوثائق في نسخة مصورة بلغ عدد أوراقها السبعين ورقة ، في ترقيم مضاف لا يحترم التسلسل الزمني لتواريخ العقود التي فاق عددها الستين ، وقد دونت الأوقاف الخاصة بالجامع والمدرسة الكتانية وفي غياب القوائم الكاملة لهذه الأوقاف تكون هذه العقود هامة للتعرف على المعاملات ونوعية الأملاك وموقعها في النسيج العمراني ، وعليه نلخص على الأقل إلى معرفة مدى مساهمة صالح باي في تغيير وجه المدينة العمراني ودعم أوقافها وحمايتها .

كما نستشف من تحليل هذه العقود سياسة الباي القوية في البيع والشراء والمعاوضة حتى بأملك الأوقاف ، وما أدت إليه هذه الأوقاف من توسيع عمراني وتنظيم لأملك العامة.

2 - أوقاف مركب سيدي الكتاني:

منذ تأسيس المدرسة والمسجد تتابعت مجموعة من عمليات الوقف على المؤسستين ، وكان صالح باي أول فاعلي الخير ، وسرعان ما حذا حذوه بعض أعيان المدينة من كبار الموظفين أمثال السيد رضوان خوجة⁽³⁾ وكييل بيت مال مصطفى قيساري⁽⁴⁾ وغيرهما ، إلا أن أملاك صالح باي الموقوفة على المسجد تمثل القسط الأكبر (في هذا الدفتر).

تمحورت العقود المتواجدة لدينا حول أملاك الباي وأحباسه وهذا لا ينفي وجود أحباس أخرى يبدو أنها وجدت هنا لرجوعها في المال الأخير لصالح "المدرسة والمسجد" ولارتباط أصحابها بالإدارة المركزية للبايلك وقريهم من الباي نفسه . مع هذا اتسم هذا الملف بالتناسق فأعطى الصورة النموذجية للعملية التي تبناها صالح باي فاتخذت طابعا رسميا ، فبأمره تم تسجيل أوقاف المؤسسات الخيرية ورقابة تسييرها ومواردها ورعايتها

(1) Feraud ,(L.), opcit , p.p126-131.

(2) دفتر صالح باي للأوقاف: توجد نسخة منه في الأرشيف الولائي لمدينة قسنطينة وهي نسخة مصورة ، وتوجد نسخة أخرى وهي مصورة أيضا في مديرية الشؤون الدينية لولاية قسنطينة ، أما النسخة الأصلية فهي مفقودة مع وثائق أخرى مهمة عن المدرسة والمرجح أن الإدارة الفرنسية أخذت النسخ الأصلية .

(3) السيد رضوان خوجة: شغل منصب قايد الدار سنة 1215هـ/1801م عند زواج حسين بن صالح باي ، حيث كان وكيلا عن الزواج.

(4) مصطفى قيساري : هو ناظر مسجد سيدي السبعيني ، يعد من مؤسسي الجزء الثاني من عمليات الأوقاف بعد صالح باي.

لقد ساعدت عمليات الوقف التي قام بها صالح باي على المدرسة والجامع في توسيع عمراني لم يسبق لقسنطينة أن وصلته . جل هذه العقود بالمدرسة والجامع ارتبطت إما على شكل مباشر حبس خيري مباشر أو في حبس ذري يؤول إليهم في نهاية المطاف (1).

ترجع مجموعة الأوقاف التي اطلعنا عليها إلى سنة 1187هـ/1773م ، ولكن لم تذكر تفاصيل اقتناء المكان الذي بنيت فوقه المدرسة والجامع . والمعروف أن المدرسة بنت فوق ضريح سيدي الكتاني (2).
-انطلق صالح باي في تعمير المنطقة من هذا المجمع الديني الثقافي الذي أصبح مركزا تجاريا نشيطا بفضل تواجد محلات تجارية تصرف غلاتها على المؤسساتين.

وهكذا أخذت منشآت صالح باي صورتها ومكانتها في السوق سنة بعد سنة ، وبالتدريج أصبحت مجموعة كبيرة من المحلات حبسا على الجامع (3).

وفي السياق نفسه نجد أحد الأوقاف حبس على ضريح الشيخ الكتاني وأمر واقفه أن تصرف غلته على الضريح ، وقد جاء على الشكل الآتي (جميع الحوانيت القبليّة عند الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه بالقرب جدا من ضريح الشيخ الكتاني ، تصرف غلة الحانوت لوكيل الضريح على أن يكون الوكيل متفقدًا للضريح ... في غلقه وفتحته...) (3) ، وتعد هذه الإلتفاتة نحو ضريح سيدي الكتاني استثناء لأن كل أوقاف صالح باي انحصرت في جامع ومدرسة .

(1) – الأوقاف الذرية : التي يوقفها صاحبها على ذريته أو نسله من بعده وهي لا تدخل حيز التنفيذ إلا بعد وفاة الورثة لها .

- للمزيد من التوضيح أنظر : كلوس كريس وآخرون ، المرجع السابق ، ص 104.

(2) – أنظر الصفحة رقم 282.

(3) – فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص 138 .

(4) – أنظر الصفحة رقم 286.

3 - محتوى الأوقاف :

معظم النسخ المتحصل عليها تدور مواضيعها حول أوقاف متمثلة في أراضي ومزارع وحوانيت ... وهذه الأملاك موقوفة من طرف باي الشرق (صالح باي) أو أحد الأعيان والشخصيات في مدينة قسنطينة⁽¹⁾.
فإذا محصنا هذا الملف وجدنا أن معظم هذه الأوقاف ابتدأت بالتعريف بنوع الوقف والأملاك الموقوفة ثم ذكر الأشخاص الذين يعود لهم الوقف في حالة وفاة الواقف الأصلي ، وإذا توفي جميع الأشخاص المعنيين بالوقف يؤول على ناظر المدرسة والجامع ، بحيث يصلح ما يمكن إصلاحه ويصرف الباقي في مصالح المؤسساتين (الجامع والمدرسة)⁽²⁾.

ويبرز القسم الثاني من الوقف أو الوثيقة أحكام الوقف وشروطه ومن أهمها الألفاظ الدالة على الوقف مثل (سبل وأبد وتصدق ..) ، كما يذكر تاريخ الوقف بالهجري وفي الأخير نجد ختم الواقف وهذا الختم يبرز لنا علامة السلطة أو البايك في الأوقاف الخاصة بصالح باي ، أما الأوقاف الخاصة بالشخصيات والأعلام فنجد بها ختم الواقف إضافة لختم الباي⁽³⁾.

ومن كل ما سبق فإن مراجعة هذه العقود تبرز لنا المعاملات في إطارها العام و ترسيم العمليات العمرانية و المشاريع التي نفذها صالح باي، وتظهر بصماتها في مختلف الأحياء ، وهكذا نلاحظ بأن أعماله العمرانية وإن مست جزءا كبيرا من المدينة إلا أنها تركزت بين سوق الجمعة وسوق العصر والشارع وكانت قليلة في القصبة والطابية وباب الوادي (الخريطة 06) .

وما يدل عليه وضع صالح باي جل أحباسه على المدرسة والجامع الكتابي هو اهتمامه بهذه المؤسسة ، فقد وضعت هذه الأحباس في خدمة المدرسة وتوفير أجر العمال والمدرسين وكذا المنحة التي تقدم للطلبة وأعمال الصيانة بها⁽⁵⁾. فصالح باي عند تأسيسه للمدرسة الكتابية أحاطها بمورد دائم للأموال ، وهذا ما جعلها تستمر بالعطاء وتكوين الطلبة وتخريج أجيال من المثقفين ، وبالرغم من موت مؤسسها فإن هذه الأوقاف بقيت تصرف ريعها على هذه المؤسسة التعليمية.

لقد نظم صالح باي مؤسسة الأوقاف الشيء الذي ساعد جل المؤسسات الثقافية والدينية في الاستمرار والمضي قدما نحو الأمام.

(1) - أنظر: دفتر صالح باي للأوقاف ، ص 288

(2) - عند تفحص دفتر صالح باي سنتبع جل هذه العمليات خاصة الأوقاف التي حبسها الباي.

- أنظر: دفتر صالح باي للأوقاف ، ص ص 286-290.

(3) - دفتر صالح باي للأوقاف ، ص ص 286-290-290.

(4) - رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 127.

الفصل الثاني :

الدراسة الوصفية

للمدرسة والمقبرة

- المكونات المعمارية للمدرسة

أ- الوصف المعماري

1- المخطط العام

2- المظهر الخارجي

أ - الواجهات

ب - كتلة المدخل

ج - المداخل

د - السقيفة

3- المظهر الداخلي

3-1- الطابق الأرضي

أ- الصحن

ب- قاعة التدريس

ب1- المحراب

ب2- النوافذ

ج- غرف الطلبة

د- الدرج

3-2- الطابق الأول

4- المقبرة

1- المكونات المعمارية للمدرسة :

تعتبر مدرسة سيدي الكتاني إحدى روائع الفن الجزائري في العهد العثماني ، ورد ذكرها مختصرة من طرف باحثين فرنسيين.

وتتميز المدرسة بطراز معماري ، أراد صالح باي أن يستوعب به حاجة الطلاب فبنى لهم في المدرسة مرافق مختلفة كالميضاة وحجرة التدريس (الصلاة) وكذا غرف الطلبة وكذا الحوض الرخامي الذي يتوسط صحن المدرسة ، وهكذا فإن صالح باي أنشأ مدرسة بكل المرافق التي تحتاجها . أما فيما يخص المقبرة فأهم ما يميزها هو روعة الكتابات التي تحتويها شواهد القبور وكذا التكبسية بالبلاطات الخزفية.

أ- الوصف المعماري :

1-المخطط العام :

تتخذ هذه المدرسة شكلا مستطيلا بتوجيه نحو الشمال ، أما الجهة الجنوبية فتحتها دار الإمام حاليا تتوزع على طابقين ويتوسط تخطيطها صحن مكشوف حول ميضاة ، يغطي المبنى مساحة إجمالية تقدر بـ 496م² ، بحيث يقدر طولها بـ 31م وعرضها 16م ، تفتح هذه المدرسة على شارع سوق العصر بواسطة مدخلين .

2- المظهر الخارجي :

أ- الواجهات :

تشرف المدرسة من الجهة الشرقية على حديقة مستطيلة يحيط بها صور مبني في الفترة الاستعمارية وهذه الحديقة مطلة على شارع سوق العصر، أما الجهة الشمالية فتحتها دار الإمام حاليا ، ويجاورها من الجهة الجنوبية جامع سيدي الكتاني ، والجهة الغربية مطلة على أحياء سكنية .
الباب الخارجي للمدرسة استحدث في العهد الفرنسي ، يقابل هذا الباب مباشرة باب المدرسة .

ب- كتلة المدخل :

ينقسم هذا الباب إلى ثلاثة أقسام ، يتقدم القسم الأوسط أربع درجات على جانبيه دعامتين مربعتين تعلوهما جليستين ، أما القسم الأيسر فبدوره ينحصر بين دعامتين تعلوهما جليستين أخريين ، بالإضافة إلى الجليستين السابقتين يصبح لدينا أربع جلسات تكون قاعدة تنطلق منها ثلاث عقود حدوية تتكون من ثلاث عشرة فصا غير أن هذين القسمين حاليا عبارة عن نافذتين نتيجة لما أدخل عليهما من تغيير فهي ترتفع عن القسم الأوسط

(1) - دار المعلم : مبني تم إنشائه في الربع الأخير من القرن 18م ، سكنه صالح باي هو وعائلته ، لقد حول في الفترة

الإستعمارية إلى محكمة ، ويتكون من ثلاث طوابق وبعد الإستقلال أخذت اسم دار المعلم ، وفي الفترة الحالية هي جزء تابع لمديرية الشؤون الدينية.

بجوالي 1م . يعلو هذه الأقواس طنف صغير يفصل بين الطابق الأرضي والعلوي ، ويطل هذا الأخير بثلاث نوافذ متماثلة على الخارج (سوق العصر) ، ويعلو هذه النوافذ شريط من البلاطات الخزفية بطريقة منكسرة ينطلق من الدعامتين الكبيرتين ، وبعد ذلك يأتي السقف الذي تعلوه زيادة تزين واجهة الباب من الخارج وهي عبارة عن شريط من البلاطات الخزفية ذات الأشكال النباتية والهندسية باللون الأزرق والأبيض ، وعلى جانبي هذا الشريط وفي مستوى واحد من الدعامتين اللتين تحصران الباب زخرفة بسيطة داخل مربعين متقابلين يشكل تقاطعهما نجمة ثمانية بداخلها زهيرة تتكون من اثني عشرة فصا وهي منحوتة من الحجر (اللوحة 06) و(الشكل 05).

أما على جانبي الباب من اليمين واليسار فتوجد في كل واحدة منهما نافذتين مستطيلتين ترتفع على أرضية الباب بجوالي 1.5م ، يعلوها قوس نصف دائري منحوت في الجدار ، زين في داخله بنصف دائرة من الخشب به خمسة أشرطة ، أما نوافذ الطابق الثاني فهي بسيطة سقفها هرمي الشكل مسقف بالقرميد الأحمر يعلوها جوسقين بهما هلال ، وأهم ما يميز هذه المدرسة أنها ملاصقة لجامع سيدي الكتاني وهي جزء من مركب صالح باي (1).

ج- المداخل :

للمدرسة مدخلين :

- المدخل الأول : حيث نجد الباب الرئيسي ينحصر بين دعامتين كبيرتين تستمران حتى الأعلى ، ونصل إلى هذه البوابة عبر الدخول من بوابة حديدية ذات مصراعين تشرف على حديقة مستحدثة في الفترة الاستعمارية وباب هذه الحديقة مفتوح على شارع موازي للبوابة الرئيسية.

- المدخل الثاني : فهو عبارة عن مدخل صغير في الحائط الشمالي مقابل للمقبرة مصنوعة من مادة الخشب وتوصل هذه البوابة عبر فناء آخر إلى دار المعلم (1).

يفصل بين البوابة الرئيسية والصحن حديقة تؤدي بدورها إلى باب آخر ذو مصراعين ومنه يلج الشخص الداخل عبر ثلاث درجات إلى رواق ، هذا الرواق توجد في نهايته من الجهتين اليمنى واليسرى باب توصل مباشرة عبر رواق آخر إلى صحن المدرسة.

تتكون مدرسة سيدي الكتاني من طابقين ، بها مدخل رئيسي واحد يتم الدخول عن طريقه إلى المدرسة كلها ويقع بالجهة الشرقية ، يقابله باب في نفس الاتجاه بينهما ردهة ثم سلام مكونة من أربع درجات .

(1) - مركب سيدي الكتاني: يتكون من الجامع والمدرسة والضريح ، وقد تم إنشاؤه في فترة زمنية واحدة وهذا ما يدل عليه النمط المعماري والعناصر الزخرفية للمؤسستين.

د- السقيفة :

ندخل من الباب إلى رواق طوله 11.26م وعرضه 1.85م ، به بايين في الطرفين في الجهة الشمالية والثاني في الجهة الجنوبية وشكل هذا الرواق مستطيل أعيد تسقيفه حديثا تتراوح مقاساتها ما بين 2.16م و2.18م ويرتفعان عن الأرض بـ25سم ، الأول شمالي والثاني جنوبي ، أرضيته مبلطة ببلاطات خزفية على علو 2.25م (اللوحة 08).

ثم نجد في نهاية طرفي الرواق بايين متقابلين يؤديان إلى غرفتين ، الغرفة الجنوبية استعملت كمخزن لحجر المياه والشمالية لمبيت الحارس ، والملفت للانتباه في هذا الرواق وجود كتابة في الجدار الشرقي وهي عبارة عن شريط يعلو نافذتين إضافيتين ، إضافة إلى نص آخر مكتوب بخط الثلث يتوسط هذا الجدار.

- أما النص فنجد به البسملة والصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام وآية قرآنية ، كما نجد بها أبيات شعرية (سيأتي وصفها في فصل لاحق) ، ندخل من الباب الشمالي إلى رواق آخر طوله 16.33م وعرضه 1.60م أرضيته مبلطة ببلاطات مربعة الشكل حمراء اللون ، وأول ما نجده في هذا الرواق سلم يؤدي إلى الطابق العلوي مربع الشكل تبلغ عدد درجاته تسعة عشر درجة من الرخام الأبيض تتراوح مقاساته ما بين 1.50م و1.05م يحيط بهذا السلم درابزين عبارة عن قضبان حديد لحماية مستعمليه. (اللوحة 09).

3- المظهر الداخلي:

إن التكوين الداخلي للمدرسة هو امتداد للكثلة الخارجية ، حيث نجد رواق يوصلنا للطابق الأرضي بالتحديد إلى الصحن.

3-1 الطابق الأرضي:

يؤدي هذا الرواق إلى الصحن ، يحيط بهذا الأخير من الجهة الشمالية والجنوبية غرف الطلبة وفي الجهة الشرقية قاعة تدريس (بيت الصلاة حاليا) ، وبالجهة الغربية المقبرة.

وفي نهاية الرواق الشمالي نجد ثلاث درجات ترتفع عن الأرضية بـ87سم ، تؤدي هذه السلالم إلى قبوين كان يستعملان في تخزين المئونة.

أ- الصحن : (1)

إن تخطيط الصحن في اغلب المدارس المغربية عبارة عن مستطيل يتقدمه من الجهة الجنوبية إيوان رئيسي (2) إلا أن صحن المدرسة الكتانية مربع الشكل طول ضلعه 8.29م يحيط به ثلاث أروقة تشرف عليه باثني عشرة عمودا رخاميا ثماني الشكل (اللوحة 10-11) ، قاعدته وتواجه ثمانية أيضا به أربعة أهلة في رقبته أربعة أزهار بين كل عمود وآخر قوس حذوي يبلغ عددها اثنا عشرة قوسا ، كما نجد روابط خشبية لتثبيت كل الأعمدة وظيفتها ربط وتمتين الأعمدة لمنع انفراجها المحتمل لثقل الحمولة على حواف الأقواس ، أرضيته مبلطة بالرخام الأبيض شكلها 30/30سم ، ويتوسط صحن المدرسة حوض رخامي به شجرة برتقال ، تحيط بها ثلاثة أروقة تشرف عليها بواسطة بوائك من ثلاث واجهات (الجنوبية والشرقية والغربية) يفصل بينها وبين الصحن صف من الأعمدة التي تحمل الطابق الثاني . ومن المحتمل أن هذا الحوض استعمل كنافورة وذلك سببه أن أغلب المدارس الإسلامية كانت لها نافورة في مركز الصحن ، وفي المدرسة الكتانية حذف هذا العنصر في عصور لاحقة واستبدلت بشجرة البرتقال حاليا (اللوحة 10) ، والملاحظ وجود جدار في الجهة الغربية للصحن يبلغ ارتفاعه 1.06م .

والجدار الغربي تتوسطه ثلاث مجموعات من البلاطات الخزفية المستطيلة الشكل يبلغ طولها 1.6م وعرضها 60سم تتكون كل واحدة من 24 بلاطة خزفية محاطة بقطع رخامية مشكلة الجدار الغربي للصحن ، يعلوها شريط من الدرابزين الرخامي جدد بالجبس مكون من (21 BALUSTES) يفصل بين كل سبعة منها عمود رخامي وخمسة أعمدة في الجوانب ، يعلوا هذه الأقواس في الجدار الخارجي بلاطات خزفية (2x34) في كل جدار (اللوحة 12).

ب- قاعة التدريس :

تعد من أهم عناصر المدرسة ، تقع هذه القاعة في الطابق الأرضي تتخذ شكلا غير منتظم الأضلاع ط 7.35 م ، ط 7.37 م ، ع 16.96 م ، ع 6.94 م ، ندخلها من باب خشبي ، يتميز هذا الباب بنقوشه المميزة ، يفتح في الجدار المقابل للمحراب على يمين ويسار الباب نافذتين تطلان على الصحن ترتفعان

(1)- من أبرز ما يميز العمارة الإسلامية بشكل عام والعمارة المغربية خاصة هو الصحن فقد اعتمده المعماري المغربي كمحور يستعمله في تخطيطه للعديد من المنشآت المعمارية كالمساجد والقصور وكذا المدارس ، ويعتبر الصحن منطقة اتصال وتوزيع بين قاعة التدريس وغرف الطلبة بجانب كونه منطقة إضاءة وتهوية مركزية.

(2)- محمد الكحلوي ، المدارس المغربية دراسة أثرية معمارية ، مجلد 6 ، عن مجلة العصور ، دار المريخ للنشر ، لندن ، 1991 ص88.

على مستوى الأرض بجوالي 75 سم طولهما 2.1م وعرض هاتين النافذتين 1.1م ، ويقابلهما نافذتين آخرين في الجدار الشرقي ، يكسو جدران القاعة بلاطات خزفية مربعة مقاساتها 20/20سم على علو 1.2م ، وفي الأسفل نجد شريط مكون من بلاطات خزفية ذات لونين (اللوحة 13) .

— والملاحظ أن سقف قاعة التدريس مجدد بالكامل ، وهو بسيط تتوسطه نجمة ثمانية منقوشة على الجص بها زخارف نباتية وهندسية تتوسطها ثريا مستحدثة .

ب1- المحراب :

يعتبر أحد العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية ، إذ لم يكن موجودا في المساجد الإسلامية الأولى وبالأخص في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث كان عبارة عن علامة في الجدار ترشد المصلين لاتجاه القبلة⁽¹⁾ ، لكن جاء ذكر المحراب في عدة آيات قرآنية^{1*} .

- وقد اختلف الباحثون في أصل نشأة المحراب الجوف^{2*} ، لكنهم أجمعوا على أن أقدم محراب مجوف يرجع إلى قبة الصخرة (72هـ/691م) ، ثم المسجد الأموي (88هـ/707م).

أما في المغرب الإسلامي فيرجع إلى مسجد القيروان (221هـ/836م) ، ومحراب جامع بوفتاته (223هـ/838م) ، وجامع الزيتونة (250هـ/864م)⁽²⁾ .

وفي الجزائر وجد مثل هذا المحراب في قلعة بني حماد ومسجد أبي مروان بعنابة والجامع الكبير بقسنطينة⁽³⁾ وأيضا قاعة التدريس التي نحن بصدد دراستها.

- يشغل محراب المدرسة منتصف جدار القبلة في قاعة التدريس ، ويقدر عمقه 55سم وارتفاعه 2.04م ، يتوجه عقد نصف دائري على هيئة صدفة يبلغ عرضها 89سم ، فجوة العقد شكلها مفصص تنطلق من مركزها نجمة تنتهي عند تلك الفصوص ويؤطر هذا العقد من الداخل شريط به كتابة قرآنية.
(اللوحة 14-15).

^{1*} القرآن الكريم ، قال تعالى "فخرج على قومه من المحراب فأوحى لهم أن سبحوا بكرة ومشيها" سورة مريم ، الآية 10-9.

^{2*} قال تعالى : "فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا ل كلمته" ، سورة آل عمران ، الآية 75

⁽¹⁾-Golvin (L.) , Essai sur l'architecture religieuse musulmane , klinek siek , Paris , 1970

P.65.

^{2*} - للمزيد من التوضيح أنظر : فريد الشافعي ، العمارة في مصر الإسلامية عصر الولاية ، مجلد 1 ، ص ص 224-227.

(2)- نفسه ، ص 414.

⁽³⁾-Bourouba (R.) , l'art religieuse musulman en Algérie , Alger , 1971 , P.37.

يكتنف المحراب عمودان رخاميان باللون الأسود يقومان على قاعدة مربعة ، ونجد هذه الظاهرة في معظم المساجد الجزائرية كالجوامع الكبير بتلمسان ومسجد سيدي بلحسن وجامع سيدي إبراهيم⁽¹⁾ ، وهذان العمودان على شكل مخروط مقطوع الرأس أو منتفخ الوسط أسود اللون وهو مصنوع من الرخام ، عرض قاعدته 15سم وارتفاعها 5م ، يعلو هذين العمودين تاجان ذا أوراق مفصصة على هيئة زهرة متفتحة يعلوهما مربعين بهما لفظ الجلالة كما تعلوهما جليستين يرتكز عليهما قوس نصف دائري شكل عليه شريط نقش به آية قرآنية.
(اللوحة 14-15).

ب2 - النوافذ :

تتميز نوافذ قاعة التدريس المطلة على الصحن بأنها مستطيلة الشكل تتكون من مصراعين خشبيين بسيطين (اللوحة 25) ، طولها 1,93م وعرضها 1,09م ، وهي مستحدثة من الفترة الإستعمارية.

ج- غرف الطلبة :

من أهم وأبرز ما يدخل في تخطيط عمارة المدرسة المغربية هي حجرات الطلبة ، فجاءت هذه الحجرات مكونة من طابقين أو ثلاثة أدوار شبيهة إلى حد كبير بالفنادق . وقد عرفت المدارس المغربية ثلاث أنواع من الحجرات أو الغرف :

-النوع الأول : يتمثل في توزيع الحجرات على جانبي الصحن.

-النوع الثاني : يتمثل في وجود كتل الغرف على هيئة طبقات متعددة تشغل زوايا متعددة بحيث توزع كل واحدة حول صحن داخلي مستقل.

-النوع الثالث : يتمثل في وجود كتلة الحجرات ممتدة على واجهة المدرسة الرئيسية من الخارج.

وهكذا جاءت غرف المدرسة الكتانية بحيث نجد ثلاث حجرات بالجهة الجنوبية وحجرتين بالجهة الشمالية تطلان على الصحن ، وفي الطابق الأول نجد ثلاث حجرات شمالية وأربعة جنوبية (اللوحة 17).

د- الدرج :

قبل الصعود من الطابق الأرضي لابد من المرور على درج للوصول إلى الطابق الأول وهو يتكون من تسعة عشر درجة مصنوعة من الرخام الأبيض يحيط بها درابزين لحماية الصاعدين من السقوط وهو مصنوع من الحديد.

(1)- Doukali (R.) , les mosques de la période turque aAlger , Alger ,1974 , P.50

3-2 الطابق الأول :

- أما في الطابق العلوي فنجد أربعة أروقة مطلة على الصحن ، ويوجد في الجهة الشمالية والجنوبية غرف للطلبة أما في الجهة الغربية فهي عبارة عن حائط للمقبرة ، وفي الجهة الشرقية نجد نادي للطلبة أو مكان الترفيه كما اصطلح تسميته.

- أول ما نجده عند نهاية الدرج المؤدي إلى الطابق الأول هو رواق تفتح عليه خمسة أبواب لخمسة غرف عند الخروج من هذا الرواق نجد أروقة تحتوي على غرف وزعت كالتالي:

أ- الرواق الشمالي: يتكون من ثلاث غرف تفتح عليه أبوابها ونوافذها والملاحظ هو وجود غرفة كبيرة منكسرة في نهاية الرواق فتحت نافذتها عليه من الجهة الغربية ، نصعد إليها بواسطة سلم مكون من ثلاث درجات مقاساتها ما بين 1.60 م ، 1.65 م وعرضها 29 سم.

ب- الرواق الغربي: بسيط ليست فيه فتحات لأن جداره تابع للمقبرة.

ج - الرواق الجنوبي: به ثلاث غرف ونافذتين.

د - الرواق الشرقي: يتوسط جدار هذا الرواق باب مركب من دفتين ، يبلغ طوله 2.17 م وعرضه 64 سم يحيط بهذا الرواق نافذتين ترتفعان عن الأرض بحوالي 75 سم عرضها 1.1 م ، طولها 2.05 م .

- أرضية الأروقة مبلطة ببلاطات حمراء اللون حديثة مربعة الشكل مقاساتها (20×20 سم) يفصل بين أرضية الأروقة أربعة أشرطة من الرخام ذات شكل مستطيل.

يشرف الطابق العلوي على الصحن من خلال درابزين يحيط بالرواق من جهاته الأربع ، يبلغ ارتفاعه 90 سم يعلوه اثني عشرة عمودا ، أربعة منها في كل جهة طولها 1.8 م تشبه تماما أروقة الطابق الأرضي (اللوحة 18).

نلاحظ أن سقف أروقة الطابق العلوي للمدرسة من الخشب مائل الشكل ، وهو حديث (اللوحة 19) ، كما نلاحظ بروز قواعد أسفل الأعمدة ارتفاعها 90 سم ذات شكل مربع ، أما الجدران الخارجية للغرف المطلة على الأروقة فهي مغطاة ببلاطات خزفية مربعة وحديثة ، يبلغ ارتفاعها على مستوى الأرض 1.6 م.

— كما نجد في الرواق الشرقي قاعة تعلو غرفة التدريس ، وهي في الوقت الحالي عبارة عن نادي مساحته 36.83م² ، لها باب ذو مصراعين ، وهي حديثة البناء.

— أروقة الطابق الثاني مغطاة ببلاطات خزفية متشابهة ومستحدثة ، مطابقة لبلاطات الطابق الأرضي.

غرف الطابق الثاني ذات مساحات مختلفة أصغرها 4.48م² ، وأكبرها 21.19م² .

4- الضريح: (1)

لقد كان القاضي والمحتسب من المكلفين بالإشراف على المقابر في المدن الإسلامية كما أنهما يقومان بإنشاء مقابر جديدة عند ازدياد عدد الوفيات بين المسلمين ، وكانت المقابر في المدن الإسلامية قبل القرن 6هـ / 12م تتموقع داخل المدن بالقرب من الأسوار ونظرا لما ظهر من عيوبها من الناحية الوقائية والصحية ، فقد أخذت أمكنة أخرى بعيدة عن التجمعات السكنية .

وعلى غرار ما سبق نجد بمدرسة سيدي الكتاني مقبرة نصل إليها من باب بالجدار الجنوبي ، وهذه المقبرة هي الشيء الوحيد الذي مازال على أصالته الأولى (لم تحدث به تغييرات كبيرة) ، المقبرة تتواجد في مستوى أعلى من أرضية الصحن ونصعد إليها بثلاث درجات توصلنا إلى باب مصنوع من الحديد ذو مصراعين وهي بوابة أصلية يوجد بها هلال وشفيفة من النحاس مكتوب عليها (مقبرة صالح باي) (اللوحة 20) ، ومساحة غرفة الأضرحة 30م².

وأول ما نجده عند دخولنا من البوابة أربعة عشر قبراً للقضاة والمعلمين الذين كانوا بها وكذا قبر صالح باي وعائلته وهذه القبور نجد تسعة منها 9 بلوحات شاهدية و5 مجهولة ، والملفت للنظر هو وجود بعض القبور مغطاة بالرخام الأبيض ، عكس قبور أخرى مغطاة بالخشب ، أما النوع الآخر فهي المغطاة بالبلاطات الخزفية ، أما الأرضية بين القبور فهي مغطاة بالرخام الأبيض وجل هذه البلاطات في المقبرة أصلية (اللوحة 21) .

لقد توزعت على الشكل الآتي : - في الواجهة الشرقية للمقبرة عبارة عن ثلاث تجميعات من بلاطات خزفية متناسقة ، وقد زخرفت الجدران الثلاث للمقبرة بمجموعة متناسقة من البلاطات .
أما القبور المكسية بالبلاطات الخزفية أو أجزاء منها فهي لا تشكل تجميعات بل هي عبارة عن بلاطات منفردة لكن بتناسق كبير وهذه القبور هي :

(1) - هي إحدى متطلبات المجتمع لدفن موتاهم ، وتعتبر من العناصر الضرورية لأي عمران بشري كما أنها من أقدم القضايا المرتبطة بالمجتمع التي واجهها الإنسان ماعدا في بعض الحضارات التي تقوم بحرق جثث الموتى وبعثرها في الماء كالهنود ، كان بناء المقبرة في الإسلام عاملا مرتبطا بالعقيدة له ثوابه في الآخرة مثل باقي الأعمال ذات الفائدة العامة .

1- قبر زهرة بنت السيد محمد.

2- قبر بجانب القبر الأول مجهول الاسم.

3- قبر خدوجة بنت عبد الله.

4- قبر آمنة بنت صالح باي.

كما نجد ثلاثة قبور محلات بنفس البلاطات مكررة مشكلة تجميعية وهي على التوالي :

1- قبر يا منة بنت محمد الخلف بن صالح باي.

2- قبر مجهول.

3- قبر خدوجة بنت صالح باي .

كما يحيط بهذه القاعة شريط كتابي على طول الجدران الثلاث (الشمالي - الشرقي - الغربي) ، ونجد في الحائط الشرقي نافذة تطل على الرواق ، وهذه النافذة مصنوعة من الحديد عبارة عن تشبيكة على النمط العثماني هذه الجدران الثلاث مغطاة ببلاطات خزفية تعلوا عن الأرض بـ 1.89م ، والملفت للانتباه أيضا هو وجود مجموعات خزفية مشكلة من عدة بلاطات يبلغ عددها سبعة تحتوي كل مجموعة على:

أ- في الجدار الشمالي : اثنان في كل واحدة ستة عشر بلاطة .

ب- في الجدار الغربي : أربع مجموعات ، الأولى بها عشرين والثانية ستة وخمسين ، والثالثة سبعة وأربعين والرابعة أربعة وعشرين.

ج- في الجدار الجنوبي : يحتوي على مجموعتين ، الأولى بها عشرين وحدة والثانية أعيد ترميمها وبذلك فإن عددها غير واضح . يعلوا هذه البلاطات الخزفية لوحة من الكتابة عبارة عن قصيدة من تسع أبيات مكتوبة بخط الثلث محفورة حفرا بارزا سنتحدث عنها في فصل لاحق.

تعلو هذه المقبرة قبة ترتكز على قاعدة مربعة محمولة على أربعة دعائم تحمل عقودا حذوية ، وفي أركان قاعدة القبة نجد أربع محارات تحتوي كل واحدة على عشرين فقرة وتعلوا هذه الأخيرة رقبة القبة ، في كل زاوية من زوايا أضلاع رقبة القبة تنطلق خطوط لتنتهي في مركزها ، وهي عبارة عن دائرة بها زخارف هندسية قوامها مثلثات ونجوم ، والقبة مجددة من الداخل (اللوحة 22).

- ويوجد بالجدار الجنوبي باب يؤدي إلى غرفة صغيرة فيها قبران أحدهما لزوجة صالح باي والثاني لإحدى بناته والقبر المتواجد في الجهة الشرقية مغطى ببلاطات خزفية من الخطاف التونسي من نفس النوع ، أما القبر الثاني فهو مغطى بمادة الخشب وفي منتصفه صندوق خشبي صغير ، وهذه الغرفة تحتوي على نافذة صغيرة في الجدار الجنوبي وهي مسدودة.

II - الزخارف المعمارية

أ- وسائل الدعم

1- الأعمدة

2- الدعائم

3- التيجان

ب- السواند الحائطية

ج- العقود

د- التسقيف

1- التسقيف الخشبي

2- القباب

3- الأقبية

هـ- الدروج

و- النوافذ

ي- الأبواب

ر- الكوة

II - الزخارف المعمارية :

تزين المدرسة الكتانية ومقبرة صالح باي مجموعة من الزخارف المعمارية المتنوعة من أعمدة و سواند حائطية و تيجان و عقود فضلا عن الأسقف الخشبية ، لقد اختلفت طبيعة هذه الزخارف وفق حاجيات ومستلزمات المدرسة وهي كالتالي :

أ- وسائل الدعم

1- الأعمدة⁽¹⁾:

العمود هو ما يحمل السقف ، وقد أخذ عدة تسميات فهو عمود في المشرق وسارية في المغرب ، ولقد اعتمد المسلمون على أنماط كثيرة من الأعمدة فمنها المضلعة والمثمنة التي شاع استعمالها في عصر قايتباي بمصر أضلعها مزينة بالزخارف النباتية⁽²⁾ .

أما العمارة في الجزائر فقد اعتمدت اعتمادا كليا على الأعمدة باختلاف مواد بنائها نظرا لتبنيها طريقة بناء الأروقة المتكونة عادة من صف أو صفين (أي الأعمدة) ، مع اختلاف عددها من مبنى لآخر حسب اتساعه أو ضيقه⁽³⁾.

(1) - الأعمدة : يمكن تعريف الأعمدة لغويا بأنها عبارة عن وسائل دعم ورفع ، مفردها عمود أو أعماد وهي بمعنى آخر عبارة عن ركيزة عمودية مكونة من جذع مستدير وملحقة بتاج وقاعدة . استعمل العمود في الفترات القديمة منها الإغريقية والرومانية بأشكال عدة وفي أماكن مختلفة.

أول ما استعمل في العمارة الإسلامية كانت عبارة عن جذع نخيل بسيطة وضعت ونصبت في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وتطورت بعد ذلك حيث استبدلت الأعمدة القديمة بأخرى من الآجر المحفف في الشمس ، ثم جاءت بعدها الأعمدة الجيرية.

أنظر:

-Bourouiba (R) , Apport de l'Algérie a l'architecture religieuse Arabo-islamique
O,P,U , Alger ,1985 ,pp73-78.

(2) - زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، ج3 ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، 1401هـ/1981م ، ص152-153.

(3) - ويمكن رؤية ذلك في قصور القصبة وبيوتها خاصة (قصر الداوي ، دار عزيزة ..) .

أما أعمدة المدرسة الكتانية فهي ثمانية الشكل خالية من أي زخرفة ، بسيطة لا تعقيد فيها ونجدها في الأروقة السفلية المطللة على الصحن وكذا الأروقة العلوية ، بالإضافة إلى وجودها في المقبرة وبالتحديد في الجهة المطللة على الصحن وهي من نفس النوع.
(اللوحة 16-24) و (الشكل 06).

2- الدعامات :

تعتبر من أهم وسائل الدعم ، التي تختص بحمل المبنى إذ اقترن ظهورها بظهور المنشآت الضخمة كالمساجد والقصور ، فالدعامة عنصر معماري وجد منذ القدم في المباني فهو ليس من ابتكار المسلمين ، إذ حلت محل السواري ونجد الدعامة في شكلها المنتظم في أمثلة متعددة كمباني جامع سامراء ومسجد مدينة سوسة ، ومنها انتشرت في جميع المباني المشرقية والمغربية ، حيث ظهرت في مسجد ابن طولون إذ استعير عنها بالدعامات فأصبح المسجد أكثر اتساعاً⁽¹⁾ .

ثم نجدها في جامع القرويين في المغرب الأقصى⁽²⁾ ، أما في الجزائر فنجدها في جميع المباني على اختلاف الفترات حيث فرض استعمالها ، ومن أبرز أمثلتها جامع الباي حسن بقسنطسة وجامع كنتشاوة .
جاءت الدعومات على شكل مربع ، ونجدها في المقبرة بحيث تركز عليها القبة ، وهي عبارة عن أربعة دعومات ذات شكل واحد وهي مرممة .

3- التيجان :

استعمل عنصر التيجان منذ القديم⁽³⁾ ، وابتكر المسلمون أنواع مختلفة من التيجان كالبصلية الشكل المزينة بالمقرنصات وبأوراق نباتية تتصل بالتاج من الأسفل⁽⁴⁾ .

(1) – أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج 1 ، دار المعارف ، مصر ، 1965 ، ص 8-9.

(2) - Ricard (P.) , Pour comprendre l'art musulman dans l'afrique du nord et en Espagne , hachette , 1924 , P.95.

(3) – اعتمد الرومان على طراز الإغريق مع التصرف في نسبها وتفصيلها ، فجعلوا لها طابعا رومانيا وجمعوا بين العناصر الرئيسية في كل من الأيوبي والكورنثي حيث برز النوع المركب .

(4) – أقدم تيجان في العالم الإسلامي تعود لجامع الكوفة ، الذي أنشأ من طرف حاكم العراق زياد بن أبيه تحت سلطة الخليفة الأموي معاوية ابن أبي سفيان ، بعدها ظهرت تيجان قبة الصخرة بالقدس والجامع الأموي بدمشق التي اشتقت من التيجان الرومانية ، أما التيجان العباسية التي تعود لسامراء فتشبه التيجان المصرية التي تتخذ شكل زهرة اللوتس ، أما تيجان الجامع الأموي بقرطبة فمعظمها ذات طراز مركب .

أنظر :

-Bourouiba (R.) , op.cit , p.94.

إلا أن صالح باي اعتمد على التاج الدوري الذي ظهر عند الإغريق ، وهو ثماني الشكل في جوانبه الأربعة زهرة ثمانية الفصوص وفي الجوانب الأربعة الأخرى هلال تعلوهما الأخاديد (اللوحة 24).

ب- السواند الحائطية :

ترتكز جدران المقبرة على ساندتين ، هاتان الساندتان هما الوحيدتين في المدرسة والمقبرة ، وهي بسيطة مستحدثة بعد الترميمات الحديثة التي تعرضت لها المدرسة والمقبرة.

ج - العقود (1) :

اتخذ المسلمون أقواسا كثيرة ذات أنواع وأشكال مختلفة فمنها العقد المزخرف بالمقرنصات ونجده في الطراز الإسباني المغربي (2) ، والعقد النصف دائري والعقد المدب بنوعيه:

العقد ذي المراكز الأربعة وظهر هذا النوع من العقود أول مرة في باب بغداد بمدينة الرقة والعقد ذي المركزين بالجامع الأموي بدمشق ، كما عرف المسلمون العقد الشبيه بحذوة الفرس (3) في الشام والمغرب ، وتعد العقود من أهم مميزات عمارة الجزائر خاصة وأن العقد المرتكز على الأعمدة له ميزة أكثر شيوعا في الفن المعماري الجزائري.

والملاحظ أن العقد الشبيه بحذوة الفرس هو الذي نجده في المدرسة الكتانية وكذا في المقبرة العائلية لصالح باي حيث أن هذا العقد هو نقطة اتصال بين الأروقة والصحن . ويبلغ عددها اثنتا عشر عقدا تحيط بالصحن (اللوحة 11-12) و (الشكل 07-08).

(1) - يطلق مصطلح العقود على كل مجموع حجري أو آجري أو ملاطي مخصص لاجتياز فضاء يكون كبيرا ، يتوسطه شكل منحني يعرف بالعقد . ومعماريا تعني قبو ذي شكل كامل برابطة قوية أو عدة أقواس لجزء من دائرة.

أنظر : فريد الشافعي ، العمارة في مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1976 ، ص115.

(2) - زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ج3 ، ص150-151.

(3) - يدعى بهذا الاسم أو العقد البيزنطي ، وهو النوع الذي له صلة بالاستدارة لأنه لا ينكسر في أعلاه وإنما يضيق في بداية أرجله ، ومركزه يكون تحت نقاط الإشعاع ، وقد شاع استخدامه بكثرة في عمارة المغرب الإسلامي . غير أنه لا يوجد بكثرة بالمباني في العهد العثماني.

انظر : - أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، ص136.

- Dictionnaire technique du battement et des travaux publics , Paris , 1988 , p.15

د- التسقيف :

1- التسقيف الخشبي :

تتميز السقوف بتجديدها خاصة الغرف وقاعة التدريس ، أما الأروقة فقد استعمل فيها التسقيف الخشبي الذي يتميز باستوائه ، وهذا باتخاذ ألواح مستوية تستند على روافد خشبية موضوعة بطريقة عمودية على طول الرواق ، بحيث يتم تثبيت طرفيها على حسب سمك الجدران ، وهذا مع احترام المسافة بين الرافدة والأخرى ونجد هذا التسقيف في الأروقة (اللوحة 18-19).

- لقد استعمل هذا الخشب كعنصر أساسي في هذه العملية ، وكان النوع الأكثر شيوعا هو خشب العرعار وخشب الصنوبر.

- أما بخصوص الروافد الخشبية التي كان يحترم نوعا ما البعد بينها بحيث يصل أحيانا طول القطعة الخشبية (الرافدة) إلى 2.69م وتتراوح بين 3م إلى 4م في بعض الأماكن ، أما سمك القطعة الواحدة فيختلف من قطعة لأخرى .

- أما فيما يخص المقبرة فقد استخدم الخشب في عملية التسقيف في الغرفة الصغيرة التي تحتوي على قبري بنت وزوجة صالح باي ، وهذا النوع من الخشب هو العرعار الذي استعمل بكثرة في الفترة العثمانية . (اللوحة 19)

2- القباب :

تعتبر القباب عنصرا معماريا يدخل في نطاق عملية تسقيف المباني المعمارية ، فظهر بأشكال وأحجام مختلفة منها المثلثة والدائرية والمستطيلة والبيضوية وذات القاعدة المربعة⁽¹⁾

أما في العصر العثماني فقد ظهرت القباب النصف كروية ، وهي عبارة عن قبة في الوسط تحيط بها قباب وأنصاف قباب صغيرة.

وبما أن مدرسة سيدي الكتاني بنيت في الفترة العثمانية فقد جاءت قبتها نصف كروية تعلوا مقبرة صالح باي العائلية ، مرتكزة على أربع دعائم يعلو كل دعائمين قوس حدوي⁽²⁾ . (اللوحة 22)

3- الأقبية :

إن التسقيف بالأقبية لا تختلف وظيفته عن وظيفة القبة سواء من الناحية المعمارية أو الجمالية ، لكنه يختلف عن القبة من حيث الشكل إذ يأخذ شكلا أسطوانيا محمول على جدارين متوازيين.

إن وجود هذا النوع من التسقيف ليس بابتكار جديد إذ أن التغطية به عرف منذ عصور قديمة حيث وجد لأول مرة في مدينة طيبة الفرعونية وتنسب إلى رمسيس الثاني(1225-1292ق.م)⁽³⁾ . كما وجد في آثار خورساد

(1) - محمد حسن زكي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص103-104.

(2) - أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص226.

(3) - فريد الشافعي ، المرجع السابق ، ص198-199.

في مدينة الموصل وهي تنسب إلى عصر الملك سرجون ، كذلك العمارة الساسانية في بغداد⁽¹⁾.
أما في العمارة الإسلامية فوجد في قبة الصخرة وأروقة المسجد الأموي ، كما غطيت بها بعض المرافق في
العمارة المدنية وبالضبط في القصور العباسية⁽²⁾.
أما في الجزائر فاستعمل في جامع سيدي لخضر حيث غطيت به الأروقة المحيطة بالفناء وكذلك في الجامع الجديد
بتقرت⁽³⁾.
- ونجد هذا النوع من التسقيف في المدرسة وبالتحديد في المخزن الذي يتموقع مقابلا للمقبرة تطل عليه بواسطة
نافذة وهو على شكل غرفتين غطيتا بهذا النوع من التسقيف.

هـ - الدرج :

هي بناء مركب من درجات تساعد على الانتقال من مستوى لآخر ونظرا لعدم إعطاء هذه النقطة الهامة
حقها في العمارة الإسلامية فقد كانت الدراسة والتحليل ناقصة في هذا المجال ، وبالرغم من أن استعمالها في
العمارة يعود إلى منشئي العمارة القديمة ومنذ قرون غابرة .
وقد شاع استخدام هذا العنصر المعماري بكثرة في العمارة الإسلامية بصفة عامة وفي الفترة العثمانية خاصة ، وهذا
بحكم التكوين الطبوغرافي ، زيادة إلى ربط الطوابق الأرضية بالطوابق العلوية (اللوحة 09).
أما فيما يخص سلام المدرسة الكتانية فهي تؤدي إلى الطابق الأول ، شكلها مربع تبلغ عدد درجاتها تسعة عشر
مصنوعة من الرخام الأبيض ، تتراوح مقاساته ما بين 1.5م-1.05م ، وسلام المدرسة من نوع السلام المنكسرة
وترتفع على دورات متعاقبة عموديا . وقد راعى المعماري في تطبيقه لهذا العنصر عدة نقاط تتمثل في عدة فتحات:
- الفتحة الأولى : يمثل مدخل السلام حيث يمكن الصعود إلى الأعلى.

(1) - ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1961 ، ص344.

(2) - كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987 ، ص32.

(3) - عبد العزيز شهبي ، مساجد أثرية في منطقة الزاب ووادي ربيع ، رسالة دكتوراه ، الحلقة الثالثة في الآثار الإسلامية ، جامعة
الجزائر ، 1986 ، ص250.

- الفتحة الثانية : تتمثل في النوافذ للإضاءة والتهوية.
- الفتحة الثالثة : هي باب الطابق العلوي أي منطقة الوصول (1).

و- النوافذ :

النافذة هي صفة للطاقة إذا كانت تخترق الحائط من جانب لآخر ، والطاقت من نوعين : صماء و نافذة فالأولى للزخرفة وحفظ المتاع والأدوات والثانية للتهوية والإضاءة والإشراف على الخارج لتوسيع الرؤية من جهة وتخفيف كمية الإضاءة ومنع الأشعة المباشرة من الدخول ، وفي المساكن الإسلامية كانت النوافذ الواسعة تطل على الصحن الداخلي والنوافذ الضيقة في الجدران الخارجية وذلك لأغراض مناخية واجتماعية فلا يجوز أن يتعرض داخل الدار لأنظار الفضوليين (2) .

- إن أهم ما تتميز به العمارة الجزائرية هو قلة النوافذ خاصة في الطابق الأرضي ، حيث اكتفى بفتحات صغيرة شأنها في ذلك شأن العمارة في بلاد الأندلس (3) .

كما هو الحال بالنسبة للمدرسة حيث أن نوافذ غرف الطابق المطلة على الصحن مستطيلة الشكل تتكون من مصراعين خشبيين بسيطين (اللوحة 25) ، كما توجد في المقبرة نافذة مطلة على المخزن مصنوعة من مادة الحديد على شكل تشبيكة ، بالإضافة إلى نافذة الغرفة الجنائزية الصغيرة التي تم سدها في الفترة الاستعمارية وأصبحت تستعمل لحفظ المتاع (اللوحة 26) .

أما النوافذ المطلة على الشارع (سوق العصر) فهي ذات نمط فرنسي شبيهة بالنوافذ المستعملة في الأبنية الفرنسية في مدينة قسنطينة وغيرها من المدن الجزائرية.

(1) - بما أن السلام تخضع لضخامة أو صغر المبنى ، فلا يستحسن أن تكون جد واسعة ولا ضيقة ولا يمكن أن تتجاوز أربعة أقدام حيث إذا التقى شخصان كان من اليسير عليهما المرور .

- انظر : فريد الشافعي العمارة في مصر الإسلامية ، ص 205.

(2) - يحي وزيري ، موسوعات عناصر العمارة الإسلامية ، ج 1 ، الناشر مكتبة مد بولي ، القاهرة ، ص 65.

(3) - محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر ، ص 12

ي - الأبواب :

الباب هو المدخل في سور أو واجهة مسجد أو قصر أو جدار بيت أو بين الغرف ويتكون الباب من مصراع واحد أو اثنين أو أكثر، وقد برع المسلمون في الأعمال الخشبية والمعدنية واستغلوا ذلك في صناعة الأبواب⁽¹⁾.

لم يصلنا الكثير من أبواب العهد العثماني لأنها استحدثت في فترات لاحقة عدا باب قاعة التدريس الذي يتكون من مصراعين وبه مستطيل تشغله زهرة ثمانية التويجات ، مصراعه مزين بلوحتين مستطيلين مختلفي الارتفاع اللوحة العلوية هي الصغرى مؤنثة بمربع ثماني الأسنان محاطة بصليب ذي ارجاعات عديدة وفي الزوايا نلاحظ مربعات يندرج فيها شكل صليبي تتوسطه زهرة وفي زواياه الأربعة دبابيس من النحاس وهي أصلية ، أما اللوحة السفلية فمزينة بقوس صماء ذات فصوص على شكل علامة الضم وفي ثلاثة صفوف من دبابيس هرمية الرأس وهذه اللوحة مستحدثة (القسم السفلي) (اللوحة 27-28) ، لقد وجدنا أمثلة مطابقة لهذا الباب في مسجد سيدي الكتاني وهذا دليل على أن صناعتها تمت على يد صانع واحد أو مصنع واحد . أما بقية الأبواب فهي حديثة الصناعة باستثناء باب المقبرة الحديدي ، ويتكون من مصراعين ويغلق بواسطة ذراع حديدية ، وعليها صفيحة مستطيلة نقشت عليها عبارة (مقبرة صالح باي) (اللوحة 20).

ر - الكوة :

هي عنصر معماري لم نجده بالصدفة في المدرسة بل جاء في العمارة القديمة لطبيعة الوظيفة التي يؤديها وهي عبارة عن حنية في الجدار تأخذ أشكالا مختلفة تتوزع على الغرف حسب الحاجة إليها ، ونجدها في العمارة الدينية لحفظ الكتب ووضع الشموع للإنارة وكذلك لوضع البخور ، أما في المدرسة والمقبرة فنجدها في المقبرة وبالتحديد في الغرفة الصغيرة التي تحوي على قبرين ، وقد أخذت شكلا مستطيلا طولها 32سم ، وعرضها 22سم مجوفة إلى الداخل بـ25سم ، وكان الهدف منها هي وضع الشموع للإنارة وكذلك البخور.

(1) - يحيى وزيري ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 39.

الفصل الثالث :

الدراسة التحليلية

الفصل الثالث : الدراسة التحليلية :

I - التحليل المعماري

- 1- المخطط العام للمدرسة
- 2- تخطيط المدارس الإسلامية
أ- المدارس بالمشرق الإسلامي
ب- التخطيط العام للمدارس بالمغرب
ج- تخطيط المدارس العثمانية
- 3- العناصر المشتركة لأنظمة تخطيط المدارس
- 4- العناصر غير المشتركة في تخطيط المدارس
- 5- العناصر الزخرفية

II - التحليل الفني

1 - الزخارف الكتابية

- 1- أنواع الخطوط المستعملة في المدرسة والمقبرة

أ- الخط النسخي

ب- خط الثلث

- 2- كتابات المدرسة الكتانية

- 3- كتابات المقبرة العائلية لصالح باي

2 - الزخارف النباتية

- 1- الأزهار

أ- زهرة اللالة

ب- زهرة القرنفل

ج- الوردة

د- الأزهار المفصصة

- 2- الأوراق

أ- ورقة الأكانتس

ب- أنصاف المراوح النخيلية

- 3- السيقان

- 4- الثمار

3- الزخارف الهندسية

1- الخط

أ- الخط المستقيم

ب- الخط المتموج

ج- الخط المقوس

2- الأشكال المساحية

أ- المربعات

ب- المثلثات

ج- الدوائر

3- الأشكال المضلعة

4- الزخارف الحيوانية

5- الزخارف الرمزية

1- القلب

2- الهلال

6- الألوان

7- شواهد القبور

1- التحليل المعماري:

1- المخطط العام للمدرسة :

تميز تخطيط المدرسة الكتانية بتكوينه من صحن أوسط مكشوف على الفضاء الخارجي تتوسطه نافورة رخامية حولت في وقت سابق إلى شجرة برتقال ، تحيط به أربعة أروقة تشرف على الصحن بواسطة أعمدة وتحيط بهذه الأروقة من كل الجوانب أبنية متكونة من طابقين أرضي وأول ، هذه الأبنية عبارة عن غرف للطلبة بالإضافة إلى غرف الأساتذة وكذا المطبخ والحمام وغرفة المؤونة ، وقد بنيت قاعة التدريس بإتجاه القبلة وذلك لتقوم مقام المسجد بالنسبة للطلبة ، هذا إضافة إلى مقبرة دفن فيها صالح باي وأفراد عائلته وبعض مشايخ المدرسة .

إذا فمخطط المدرسة الكتانية لم يخرج عن المألوف في تخطيط المدارس سواء في المشرق أو المغرب بإستثناء صغر الحجم الذي ميزها خاصة عن المدارس في مصر أو المغرب الأقصى التي كانت تتميز بالضخامة ، وفيما يلي سنتتبع بعض النماذج عن مخططات المدارس في المشرق والمغرب الإسلاميين.

2- تخطيط المدارس الإسلامية :

أ- التخطيط العام للمدارس في المشرق الإسلامي :

لقد اعتمد تخطيط المدارس المشرقية على نظام الأواوين ، حيث يتكون نظام المدرسة من صحن أوسط مكشوف تحيط به وتشرف عليه في آن واحد أربعة أواوين أكبرها إيوان القبلة الذي يتخذ كمصلى للمدرسة وعلى جوانب الأواوين وأعلىها تقام حجرات الطلبة وغرفهم وملاحق أخرى كالمطابخ أو المطاعم أو المخازن وكان هذا النظام المعماري هو السائد في مدارس إيران والعراق والشام ومصر.

لقد اعتمد المستشرقون في دراستهم للنظام المعماري لمدارس المشرق ربطه بالمذاهب القائمة فيه والمتبعة بين سكانه (المالكي - الشافعي - الحنبلي والحنفي)⁽¹⁾.

لقد ظهرت المدارس في مصر في أواخر الفترة الفاطمية ، وازدهرت في الفترة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبي ، تعتبر مصر أهم مركز لإنشاء المدارس وبذلك سنتتبع بعض الأمثلة عن تخطيط المدارس بما :

- لقد تميزت جل المدارس في مصر بكتلتها الإنشائية الضخمة ، حيث اعتمدت على نظام الأواوين ، وقد كانت نواة جل المدارس هي الأضرحة ، حيث يشيد حولها مركب (مسجد ومدرسة وضريح)⁽²⁾.

- كما كان معظم المدارس المشرقية مداخل تذكارية بارزة محلات بجمل الزخارف (المداخل تكون لها أعمدة وتيجان) ، أما صحن المدارس فهو عبارة عن شكل مربع أرضيته مبلطة بالحجارة.

(1) - عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية ، ص 117.

(2) - أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ، ص 121.

أنظر : محمد رزق عاصم ، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة ، ج 1 ، مؤسسة حسن جواد ، بيروت ، لبنان ط 1 ، 2003 ، ص 121 .

- كما تتميز أضرحتها باحتوائها على محراب مجوف ، وفي بعض المدارس نجد مئذنة من دورتين كمدرسة السلطان قلاوون 683-684هـ / 1284-1285م⁽¹⁾.

توجد في مصر أكبر مدرسة أنشئت في الإسلام لتدريس المذاهب الأربعة ، تتكون من أربعة طوابق وهي مدرسة وضريح السلطان حسن 757-776هـ/1356-1362م⁽²⁾.

كما حافظت المدارس في عصر المماليك على الطابع القديم لتخطيط المدارس المتكون من أربعة أواوين وأبرز أمثلتها مدرسة السلطان الغوري 909هـ/1503م.

في حين نرى بمصر في الفترة العثمانية أن أحجامها ظلت تتناقص تدريجيا واقتصر كثير منها على إيوان واحد وهدت أفنيئها ضيقة مسقوفة بالخشب مثل مدرسة قايتباي بالقاهرة 1485م وانحصرت عنها تلك الفخامة السابقة حتى أصبحت أشبه بقاعات الاستقبال في الدور الخاصة وهكذا تدهور مبنى المدرسة المصرية وعاد أدراجه إلى ما كان عليه وقت نشأته⁽³⁾.

أما ناحية الأناضول وإيران فقد كانت المدرسة والمسجد يشيدان متجاورين ، ويتجه المسجد وحده ناحية القبلة .

ب- التخطيط العام للمدارس في المغرب الإسلامي :

وبعكس المشرق فإن بلاد المغرب والأندلس تميزت بخلوها من الاختلافات المذهبية وإتباعها المذهب المالكي وهذا ما أثر على تخطيط المدارس بها ، حيث أن معظمها يتكون من إيوان واحد لتدريس المذهب المالكي كما أن تصميم المدارس بما يجسد وحدة الفن المعماري في العالم الإسلامي⁽⁴⁾.

وتخطيطها يتكون من صحن مربع يحيط به إيوان أو أكثر وتكون ملحقة في الأحيان بضريح وجامع ، أي عبارة عن مركب ديني وهناك أمثلة كثيرة في المغربي الإسلامي عن هذا النوع من المركبات نذكر منها (سيدي بومدين سيدي الحلوي ...)

حل المدارس تتشابه من حيث عناصرها المعمارية فالمدخل يؤدي في غالب الأحيان مباشرة نحو الداخل مثلما هو عليه الحال بالنسبة للمساكن العمومية باستثناء المدرسة الأبي عنانية وصحونها بلطت بالرخام ، كما

(1) - محمد رزق عاصم ، نفس المرجع ، ج1 ، ص 129-131.

(2) - نفسه ، ج2 ، ص 1141-1147.

(3) - ثروت عكاشة ، المرجع السابق ، ص 140-142.

(4) - عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية ، ص 118.

كسيت جل أجزائها بالزليج (مدرسة العطارين ومدرسة الصهريج) ، وتتخذ شكلا مستطيلا باستثناء صحن المدرسة الأبي عنانية والمصباحية⁽¹⁾.

أما قاعات الصلاة فهي تختلف من مدرسة لأخرى من حيث الشكل والأبعاد ، غير أن الشكل المستطيل هو الأكثر شيوعا ، واحتوت بعض المدارس على منابر مما يدل على إقامة صلاة الجمعة بها ، واستعمل المعماري المغربي عنصر العقد في جل المدارس ونجده في الواجهات التي تعلوا المداخل والنوافذ والشمسيات ، لقد شاع استعمال العقد المنكسر المتجاوز عقد⁽²⁾.

ج- تخطيط المدارس العثمانية :

إن تخطيط المدارس السلجوقية لم يخرج على التقاليد (التخطيط ذو الأربعة إيوانان)⁽³⁾.

وفيما يتعلق بالمدارس فإننا نرى الأبنية الضخمة التي عرفناها على عهد السلاجقة وقد استبدل تخطيطها بأخرى جديدة ، ذات قدرة على مواجهة الاحتياجات العلمية التي يتطلبها العصر ، والتي تتناسب وظروف التعليم في تلك المرحلة الجديدة مثال ذلك نجده في مدرسة بايزيد الأول التي بنيت في بروسة سنة 1400م نموذجاً مسبقاً للمدرسة السلجوقية . ثم هناك المدرسة الخضراء أسسها محمد جلبي سنة 1414م ، حيث تحول مكان الإيوان الأربعة فيها إلى غرف للدرس بارزة نحو الخارج وتعلوها القباب ، ومن حول ذلك أقيمت غرف الطلاب وهذا التخطيط يختلف على تخطيط المدارس السلجوقية من حيث وجود مئذنة تعلو مداخل المدارس⁽⁴⁾.

إلى جانب عمل تلك المدارس كمؤسسات لدراسة الدين الإسلامي وتشريعاته فإنها قامت كذلك بالعديد من المهام الأخرى كمعاهد لتعليم الطب وممارسة العلاج ، والانشغال بدراسة الفلك ورصد الكواكب أيضا ، وبعبارة أخرى فإن تلك المدارس لم تقف عند حد الاكتفاء بالدراسات الدينية وحدها .

لقد أخذت المدرسة في تركيا دورا أساسيا في المجتمع دون أن ترتبط بالمسجد وعلا شأنها حتى ظفر كل من تلقى العلم بمدارس تركيا العثمانية بمكانة مرموقة يغدوا على إثرها شيخا في إحدى مدارس اسطنبول مثل المدرسة السليمانية ، أو يتقلد منصبا هاما في الحكومة العثمانية ، وتتجلى أهمية المدرسة في مساحتها وأحجامها⁽⁵⁾.

(1) - هجيرة تملكشت ، المدرسة البوعنانية دراسة أثرية معمارية فنية ، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2001-2002 ، ص 189.

(2) - GOLVAN , la madrasa mèdival , dépôt légal , 4eme trimèstre imprimer en

France , 1954 , P . 283 .

(3) - أوقطاي أصلانا ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة . أحمد محمد عيسى ، مطبعة (نكدر) ، اسطنبول ، 1407هـ/1987م ص 47.

(4) - نفس المرجع ، ص 184.

(5) - ثروت عكاشة ، المرجع السابق ، ص 140-142 .

3-العناصر المشتركة لأنظمة تخطيط المدارس :

نستخلص من مقارنة أنظمة تخطيط المدارس المختلفة أنها تشترك في عناصر رئيسية أبرزها :

- جدار القبلة : لقد اعتمدت جل المدارس الإسلامية جدار القبلة قاعدة لتخطيط البناء بصفته الكلية ، وأن حدودها الداخلية تنتظم في مستطيل أو مربع قائم على خط هذا الجدار⁽¹⁾.
- قاعة التدريس (بيت الصلاة) : نجد هذا العنصر في كل المدارس الإسلامية ، ويكون موقعها في الجهة القبليّة من المدرسة ، وهي أكبر قاعاتها أهمية واتساعا وغالبا ما يكون امتدادها بموازية جدار القبلة ، كما أن مساحة بيت الصلاة تفوق أية غرفة أخرى من المدرسة ، ففي بعض المدارس اتخذت فيها قاعة الصلاة صفة المسجد الجامع⁽²⁾.
- البهو (الصحن) : يتوسط المدارس فناء (صحن) مكشوف يساهم في إدخال الضوء والهواء إلى سائر المرافق الأخرى ويكون شكله عادة مربعا أو مستطيلا وموقعه دائما خلف بيت الصلاة ليكون مكملا له.
- يحيط بالصحن المكشوف أبنية مختلفة الأشكال والأحجام ، وتشتمل هذه الأبنية على جميع مرافق المدرسة من قاعات وحجرات وغرف صغيرة ، وهذه الحجرات والغرف تتوزع في طابق واحد أو طابقين ، وقد جعلت بيوتا للسكن يتفاوت عددها من مدرسة لأخرى ولكنه يتناسب مع حجمها وسعة بناؤها وبيت صلاتها ، أما القاعات الفسيحة فقد صممت لكي تتناسب مع الغرض الذي أعدت له باعتبارها قاعات للدرس ومخازن مختلفة وقاعات جلوس المدرسين ، تضم كل مدرسة من هذه المدارس مباني داخل حدودها وفي جانب من جوانبها أو ركن من أركانها تصلح كمطبخ أو مطعم أو حمام وغير ذلك من المنافع العامة⁽³⁾.
- كما يلاحظ أن معظم المدارس تضم ضريحا أو أكثر ، وينحصر هذا الضريح في أحد أركان المدرسة ، ويكون متوسط المساحة ، وأصبحت هذه الظاهرة متبعة في جل البلاد الإسلامية حتى ما كدت تبني مدرسة إلا وأعد فيها مكان ضريح لمنشئها أو لأحد أفراد أسرته⁽⁴⁾.

4-العناصر غير المشتركة في تخطيط المدارس :

- من ناحية التخطيط : فإن المدارس المغربية تتميز عن المشرقية باحتوائها على إيوان واحد وذلك لتدريس المذهب المالكي عكس مدارس المشرق التي يحتوي معظمها على أربعة إيوانات لتدريس المذاهب الأربعة.
- من ناحية الإنشاء: المدارس المغربية تتميز عن نظيراتها المشرقية بأنها من بناء الملوك وليست من بناء وزرائهم.

(1) - أحمد فكري ، المرجع السابق ، ج2 ، ص118.

(2) - نفس المرجع ، ص119.

(3) - كامل حيدر ، المرجع السابق ، ص26.

(4) - أحمد فكري ، المرجع السابق ، ج2 ، ص121.

5_ العناصر الزخرفية :

لقد نفذت الزخارف على مواد مختلفة في المدرسة الكتانية والمقبرة العائلية لصالح باي واعتبر الحص من أهم المواد المستعملة في هذه الفترة خاصة الزخارف الجدارية وكذا في المحارات بالقباب ، بالإضافة إلى استعمال مواد أخرى كالرخام والخشب والمعادن :

أ-الحص :

استعملت هذه المادة في التكسيات الجدارية وكذا للتكسية الخارجية للجدران ، وقد استعملت هذه المادة منذ فترات بعيدة ومن دون شك توارثت من الفرس القديمة وانتقلت نحو الشرق الأدنى ، وقد عرف استعمالا واسعا في سامراء في الفترة العباسية ، وكذا أثناء الحكم الفاطمي بمصر ، حيث نجد أمثلة عنه في جامع بن طولون أما في المغرب فقد عرف استعماله لأول مرة في الفترة الأغلبية⁽¹⁾.

ب-الرخام :

نجد هذه المادة مستعملة في الزخارف المختلفة كالأعمدة والتيجان ، لقد استعمل الفنان الرخام الأبيض وكذا الرخام الأسود ، حيث كان يجلب من مناطق داخل الوطن وخارجه ، وخاصة من منطقة فليفل بسكيكدة . كما استعملت هذه المادة كشواهد لبعض القبور ، حيث نقش عليها الفنان زخارف كتابية في غاية الروعة والإتقان.

1- الخشب :

عرفت المدارس مختلف الصناعات الخشبية الراقية حيث استعملت في مجال البناء والتأثيث و لقد كانت الغابات المتواجدة في جبل الوحش غنية بأشجار الأرز من النوع الجيد ، حيث استعملت في تشكيل الأبواب النوافذ والسقوف وغيرها ، كما استعملت في المقبرة كشواهد لمعظم القبور وزخرف عليها الفنان كتابات جد متقنة ، تعبر عما وصل إليه الفنان الجزائري في هذه الفترة.

ج-المعادن :

استعمل الفنان في هذه الفترة عدة معادن و أبرز هذه المواد المستعملة في المدرسة :
- البرونز : الذي استعمل بكثرة كمسامير في أبواب المدارس ونجده خاصة في مدارس الفترة المرينية والزيانية كما استعملت في وسائل الإنارة⁽²⁾.

(1)-GOLVIN(L.), La madrasa médivale , P.295.

(2)-IBID , P.298.

II - التحليل الفني:

1 - الزخارف الكتابية :

تعد الزخارف الكتابية من أهم المصادر والوثائق التاريخية للمؤرخ والأثري لأنها تسلط الضوء على الفترة التي أنجزت فيها⁽¹⁾، ولاشك أن الدين الإسلامي لعب دورا بارزا في تطوير الخط وذلك لسببين هما:
- دعوته لنشر العلم والتعليم بين كل المسلمين - تحريمه لتصوير ذات الروح الشيء الذي جعل الفنان المسلم يقبل على الزخارف الكتابية⁽²⁾.

لقد انتشر الخط العربي بانتشار الإسلام فكانت تنسب الخطوط إلى المدن التي نشأت فيها واختلف المؤرخون والباحثون في تسمية بعض الخطوط طبقا لصفقتها وشكلها ونوعها إذ أنها اتخذت في كل مرحلة طابعا وشكلا معينا طبقا للبيئة المحلية التي انتشرت فيها.

كما تنوعت الخطوط تنوعا كبيرا فامتاز كل نوع بخصائص جمالية وفنية معينة حيث أننا نجد أحيانا اختلافا في النوع الواحد من الخطوط كالحظ الكوفي والنسخي ، كما ابتكر الفنانون الأتراك خطوطا أخرى خاصة بهم فظنوا إلى فن الخط نظرة تقديس مما جعلهم يهتمون به ويعملون على تطويره إلى أن بلغ أوج ازدهاره على أيديهم⁽³⁾.

حتى قيل أن القرآن الكريم نزل بالحجاز على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تلاه المصريون تجويدا وكتبه العثمانيون تحسينا ، لذلك نلاحظ أن العثمانيين قد أقدموا وبشراهة على استخدام الزخارف الكتابية⁽⁴⁾.
عرف العثمانيون جميع الخطوط العربية واستعملوها كعناصر زخرفية في العمائر والفنون التطبيقية ويتضح ذلك في المدرسة التي نحن بصدد دراستها.

(1) - علي أحمد الطايش ، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي ، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع ط1 ، 1420هـ/2000م ، ص15.

(2) - عبد العزيز محمود لعرج ، المرجع السابق ، ص19.

أنظر: يوسف القرضاوي ، الحلال والحرام في الإسلام ، ط4 ، 1985 ، ص102-104.

(3) - مرسي عصام عادل ، دراسة جديدة لبعض تصاوير آل عثمان في مفرش من النسيج ، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية ، الكتاب الثاني ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط2 ، 2005 ، ص386.

(4) - لوس لمياء الفاروقي ، إسماعيل زاخي الفاروقي ، المرجع السابق ، ص514.

أ- أنواع الخطوط الواردة في المدرسة :

1 - الخط النسخي :

يعتبر من الخطوط العربية الأصيلة المنحدرة من الخط الآرامي مرورا بالخط النبطي واستقر بمكة والمدينة حيث عرف باسم "الخط الحجازي" ، وسمي بالنسخ لأن الكتاب كانوا يستعملونه في نسخ المصاحف والكتب والمؤلفات (1).

هناك من يرى أن الوزير بن مقله (272-328هـ) وأخاه بن عبد الله (توفي سنة 338هـ) هما أول من نقل هذا الخط من الكوفة وأطلق عليه اسم "البديع" ثم جود وحسن في عهد دولة المماليك ، لكن معظم الكتابات والنقوش التي تعود إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم تؤكد أصالة هذا الخط وأنه لم ينفصل عن الخط الكوفي ومن الملاحظ تطور هذا الخط في القرنين الثالث والرابع الهجري (2). وقد جعل بن مقله في نهاية القرن 3هـ معايير يضبط بها الخط (3) فهو الذي جمع بين النسبة والجمال الفني في الخط ، ثم عرف تحسينا وتجويدا كبيرا سنة (525هـ/1150م) فاستعمل في كتابة المصاحف وحل محل الخط الكوفي (4).

لم ينقض القرن (6هـ/12م) حتى قل شأن الخطوط الكوفية سواء في كتابة المصاحف وفي النقوش على جدران المساجد ، وشهد الخط النسخي تطورا وازدهارا في القرن (7هـ/13م) على يد ياقوت المستعصم. ومن العوامل المساعدة على انتشار الخط النسخي في العالم الإسلامي بوجه خاص وإقبال الناس على استعماله بدلا عن الخط الكوفي ، أنه إضافة إلى جمال صورته فهو لين طبع يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة تفوق خط الثلث (5).

(1) - يحيى وهيب الجبور ، الخط والكتابة في الحضارة العربية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1994 ص 121.

(2) - لوس لمياء الفاروقي ، إسماعيل زاخي الفاروقي ، ترجمة لؤلؤة عبد الواحد ، أطلس الحضارة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1988 ، ص 266.

(3) - خيرة أحمد بن بلة ، دراسات في النقوش الكتابية التذكارية على المباني بمدينة الجزائر في العهد العثماني ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، 1993 ص 266.

(4) - لوس لمياء الفاروقي ، إسماعيل زاخي الفاروقي ، المرجع السابق ، ص 514.

(5) - خيرة أحمد بن بلة ، المرجع السابق ، ص 267.

ب - خط الثلث :

استخدم في معظم ما وصلنا من النقوش الكتابية في العهد العثماني ، لقد اختلف الكتاب في أصل تسمية ما في معناه من الأعلام المنسوبة إليه ، ولقد ظهر هذا الخط في القرن 7 هـ/13 م ، وسمي بذلك لأن حجمه يساوي حجم الخط الكوفي الحديث ، وهو أروع وأجمل الخطوط إذ تتجلى فيه عبقرية الخطاط في توزيع حروف الكلمة الواحدة في غير نظام لغرض ملء المساحات الموجودة.

شهد خط الثلث تحسينا كبيرا على يد الخطاطين والفنانين ، حيث بلغ غاية الجودة على أيديهم مما أتاح له الفرصة أن يحل محل الخط الكوفي في تزيين جدران المساجد ، وساعدت سلامته وليونته على تركيب كلماته فوق بعضها البعض وتداخلها دون أن تخرج الحروف على مقاييسها الجمالية التي وضعت لها ، واهتمت المدرسة التركية بتجويده وتهذيبه فبلغ في العهد العثماني أقصى درجات الجمال فاستعمل في تزيين المساجد ، حيث أصبح الخطاط الذي لا يتقن هذا النوع من الخط لا يعتبر من أهل هذا الفن⁽¹⁾.

(1) - خيرة أحمد بن بلة ، المرجع السابق ، ص 277.

ب- كتابات المدرسة الكتانية :

- الكتابة : 01

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	لوحة تذكارية
المقاسات	ط=190سم / ع=120سم / صواعد الأف=10سم
مادة الصنع	الجبص
المصدر	الرواق الخاجي (على الجدار الشرقي)
التاريخ	/
طبيعة الكتابة	تذكارية تخليدية
نوع الخط	ثلث
عدد الأسطر	إحدى عشر
عدد الأشرطة	إحدى عشر
مكان الحفظ	مدرسة سيدي الكتاني
حالة الحفظ	جيدة

النص :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
- 2- الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا
- 3- لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا
- 4- حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله
- 5- وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم
- 6- أنظر ترى نزهة العيون قد زينت يكاد رونقها يسموا على القمر
- 7- تيمس في حلال الجمال قائمة في تماثل وحسن روضة الزهر
- 8- مدرسة تذهل في بهجتها الأبواب تشفي بالعلم سيقام الجاهلي البعث
- 9- بناها صالح المرتضي وجلالها من حسن سيرته يعلو على الدرس
- 10- فجر الملوك وسلطان السلاطين قد شاع عدله في البدو والحضر
- 11- حب الخير لكل الناس من مسلم وغيره ومردى الأعداء لظفر

الوصف :

لوحة من الجص مثبتة في الرواق الخارجي (الجدار الشرقي للمدرسة) ، يحمل كتابة تذكارية تخليدية نقشت بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز وتحتل الكتابة خراطيش ، كتبت بخط الثلث وبأسلوب الحفر البارز وتتألف من إحدى عشر سطرا باللون الأصفر على أرضية بنية (اللوحة 41).

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

لقد استعمل الخطاط في هذه اللوحة خط الثلث وقد نفذه بأسلوب الحفر البارز ، وتتميز هذه الكتابة بخلوها من نقط الإعجام وكذا بخطها الجيد ، وهذا ربما راجع إلى الشخص الذي نفذ هذه الكتابة ، وقد تميزت أيضا هذه اللوحة التذكارية بوجود بعض اللغائف النباتية ، وقد وردت في النص بعض الكلمات غير مفهومة (تميس).

- شرح الأعلام :

ورد في النص اسم صالح باي وقد سبق التعريف به.

- الصيغ الواردة في النص :

ورد في هذا الشاهد مجموعة من الصيغ نذكرها فيما يلي :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الصلاة على الرسول (صلى الله على سيدنا محمد)

- آية قرآنية (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) (1).

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

تميزت الكتابة من الناحية الفنية بدقة الصنعة والجمال الفائق ، وقد استعملت هذه التقنية (الكتابة على الجص) منذ فترات قديمة ، حيث ظهرت في سامراء وتطورت بعد ذلك في مختلف البلدان الإسلامية ، واستمرت تطورها في الفترة العثمانية.

- هذه اللوحة عبارة عن كتابة تذكارية تخليدية ، تخلد ذكرى تشييد المدرسة من طرف صالح باي وهي تبدأ بعبارات دعائية للمنشئ ، كما تتميز بخلوها من التاريخ عكس الكتابات التذكارية.

تحدث الكتابة عن إنشاء المدرسة ، وقد سبق لنا الحديث عن هذه النقطة في الفصل التاريخي .

(1) - القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآيات 173-174.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

- الكتابة : 02

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	لوحة إرشادية
المقاسات	(1) - ط = 105 سم / ع = 16 سم / صواعد الألف = 7.5 سم (2) - ط = 132 سم / ع = 16 سم / صواعد الألف = 7.5 سم
مادة الصنع	الجبص
المصدر	المحراب
التاريخ	/
طبيعة الكتابة	تخليدية
نوع الخط	ثلث
عدد الأسطر	سطين
عدد الأشرطة	شريطين
مكان الحفظ	مدرسة سيدي الكتاني
حالة الحفظ	جيدة

النص :

ونقرأ في كتابة المحراب النصين التاليين:

- 1- "يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا خيرا لعلكم تفلحون" (1).
- 2- "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا محراب النار" (2).

الوصف :

لوحتين من الجبص مثبتتين في المحراب ، الأولى تؤطره من الداخل والثانية من الخارج وهي كتابة قرآنية نقشت بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز باللون الأصفر على أرضية زرقاء ، اشتملت هذه الكتابة على آيتين قرآنتين. (اللوحة 15-38).

بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

نفذت هذه الكتابة بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، اشتملت على آيتين قرآنتين بخط واضح وجميل ينم عن مهارة الفنان الذي قام بإنجاز هذا العمل وكذا ما وصل إليه فن التخطيط في الفترة العثمانية.

(1) - القرآن الكريم ، سورة الحج ، الآية 77.

(2) - القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية 201.

- شرح الأعلام :

لم يرد في اللوحة الإرشادية أي اسم علم.

- الصيغ الواردة في النص :

ورد في هذا الشاهد مجموعة من الصيغ نذكرها فيما يلي :

- الدعاء (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

بما أن الكتابة في محراب قاعة التدريس (الصلاة) فقد جاءت عبارة عن آيات قرآنية فحوها الدعوة إلى الركوع والسجود وعبادة الله لأن الفلاح في هذه الأعمال ، وكذا الدعاء لاتقاء عذاب جهنم.

- امتازت جل المساجد في العالم الإسلامي بصفة عامة وفي الجزائر خاصة بهذا النوع من الكتابات في المحاريب⁽¹⁾. وإذا ما قارنا هذه الكتابة بكتابة محراب جامع سيدي الكتاني نجدها متقاربة من حيث المعنى فهي عبارة عن آيات تدعوا إلى العمل الصالح إحلالا للخير وإتقاء للشر ، وهذا يدل على أن الذي قام بهذه الزخارف الكتابية في المدرسة والجامع هو شخص واحد ، كما تدل على أن المدرسة والجامع أقيمتا في فترة واحدة.

(1) - للمزيد من المعلومات أنظر : رشيد بورويبة ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية .

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

ج- كتابات المقبرة العائلية لصالح باي :

الكتابة: 01

/	رقم الجرد
لوحة تذكارية	طبيعة الشيء
ط=118سم / ع118سم / صواعد الألف=9سم	المقاسات
الخص	مادة الصنع
مقبرة صالح باي	المصدر
/	التاريخ
تذكارية تخليدية	طبيعة الكتابة
ثلث	نوع الخط
سطين	عدد الأسطر
شريطين	عدد الأشرطة
المقبرة العائلية لصالح باي	مكان الحفظ
جيدة	حالة الحفظ

النص :

ونقرأ في كتابة المحراب النصين التاليين:

صلى الله على سيدنا محمد
للمسلمين وزاد في علياه
فاختار أخراه على دنياه
وبنى لها دارا زكى مبناه
لما لا وهي الدر في معناه
ذاك المجاهد بيتغي مولاه
وينيله يوم القيامة مناه
فخر المجاهد بالهنا مبناه

1- بسم الله الرحمن الرحيم
2- طاب الزمان بمن تولى نفعه
3- ملك يوم الصالحات بعزمه
4- أحيى دروس العلم بعد دروسها
5- هي مدرسة لاحت أشعة نورها
6- جادت بها نفس المعظم صالح
7- فالله يرزقه السعادة دائما
8- قد بين التاريخ في قول لنا

- الوصف :

لوحة من الجص مثبتة في الجدار الغربي لمقبرة صالح باي ، تحمل كتابة تذكارية تخليدية نقشت بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، أسطر هذه الكتابة داخل خراطيش تحتل المساحة الكلية للوحة وتبلغ مقاسات الخرطوش الواحد 11x55سم ، بين كل شريط وآخر خيط يفصل بينهما يبلغ عرضه 2سم ، بينما بلغ ارتفاع الصواعد الطويلة 11سم وعرضها 1.5سم ، أما الصواعد المنخفضة 4سم ، كتبت هذه القصيدة باللون الأصفر على أرضية سوداء (اللوحة 42) .

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

لقد استعمل في هذا النقش خط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، حيث تضمنت بعض الكلمات نقط الإعجام كما احتوى نصها أيضا على بعض الكلمات الغامضة كما في السطر الرابع (درسها بدلا من دروسها) وفي السطر السادس استعمل مصطلح مجاهد وهذا للدلالة على جهاده ضد الكفار أما في السطر السابع فاستعمل كلمة (القيام بدل من القيامة).

- شرح الأعلام :

تميز النص بخلوه من ذكر الشخصيات والأعلام باستثناء اسم صالح باي مؤسس المدرسة⁽¹⁾. كما لم يرد في هذه اللوحة ذكر أماكن.

- الصيغ الواردة في النص :

وقد اشتملت هذه القصيدة على عدة صيغ:

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم)

- اسم المنشئ (المعظم صالح)

- الدعاء للمنشئ (فالله يرزقه السعادة دائما وينيله يوم القيامة مناه)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

تتميز الكتابة بجمال خطها وحسن اختيار موقع وضعها ، إذ تحتل موقع وسط في الحائط الشمالي الشرقي للمقبرة وقد التفت حولها بلاطات خزفية مختلفة وشريط كتابي آخر من الجانب العلوي مما زاد في رونقها. جاءت هذه الكتابة على شكل قصيدة شعرية بمناقب وأعمال صالح باي الخيرية وتذكرنا بما قام به هذا الرجل وبمواقفه نحو العلم بأن بني مدرسة لإحياء العلوم التي كادت أن تزول ، ونفهم ذلك من خلال عبارة "أحيى" وكذلك كلمة "المجاهد".

هذه القصيدة جاءت لمدح أعمال الباي وتسمى بقصيدة المدرسة.

(1) - لقد سبق الحديث عن صالح باي ، أنظر : ص من 38 إلى 44 .

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 02

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (الرأس)
المقاسات	ط=68سم/ع=45سم/صواعد الألف=3سم
مادة الصنع	مرمر
المصدر	قبر صالح باي
التاريخ	1207هـ
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	نسخي
عدد الأسطر	ثمانية
عدد الأشرطة	/
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لصالح باي
حالة الحفظ	جيدة

النص :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم
- 2- ضريح لاح في أوج السعادة
- 3- به باي الزمان أخو المعالي
- 4- أمير عاش في الدنيا سعيدا
- 5- فكم من له في الله حلا
- 6- وجاهد في سبيل الله فوزا
- 7- مدارس قد بنى لله فضلا

سنة 1207هـ

- الوصف:

هو عبارة عن شاهد قبر (الرأس) مصنوع من مادة المرمز ، مستطيل الشكل ينتهي بقوس مفصصة ، تنتهي هي الأخرى بورقتين يتوسطهما هلال ، يحمل هذا الشاهد كتابة نظمت على هيئة أبيات شعرية من البحر الوافر⁽¹⁾. منفذة بأسلوب الحفر البارز ، تقع في ثمانية أسطر وسبعة أبيات ، تمتد داخل خراطيش يبلغ الواحد منها 45سم وعرضه 9سم ، يبلغ ارتفاع الصواعد الطويلة 4سم والمنخفضة 5سم ، يفصل بين الصدر والعجز زهرة (اللوحة 39).

(1) - البحر الوافر : هو أحد البحور الشعرية ووزنه (مفاعلتن مفاعلتن فعولن).

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

لقد استعمل في هذا الشاهد الخط النسخي بأسلوب الحفر البارز وجاءت على هيئة قصيدة شعرية تميزت بخلوها من نقط الإعجام ، وقد وردت فيه عدة ألفاظ غير واضحة يعترها الالتباس عند قراءتها مثل (حصاد - أفس) وقد ذكرها ميرسي (Mercier)

- شرح الأعلام :

ذكر في هذا الشاهد شخصية صالح باي وقد سبق الحديث عنه في فصل سابق .

- الصيغ الواردة في النص :

وقد اشتملت هذه القصيدة على عدة صيغ :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم)

- اسم المتوفى (به قد راح صالح رشاده صالح)

- تاريخ الوفاة (شهر محرم 1207هـ)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

- لقد استعمل في هذا القبر شاهد مصنوع من مادة المرمر ، وهو الوحيد في المقبرة المصنوع من هذه المادة حيث أنها استعملت في الفترة العثمانية في عدة مقابر في الجزائر وقسنطينة وميلة وأبرز أمثلتها في أضرحة جامع سيدي الأخضر

- هذه القصيدة الشاهدية أُنبتت في مدح صالح باي وذكر صفاته الحسنة وألفاظها تدل على الجهاد ، وقد أشارت إلى اسم ملك إسبانيا ألفنش (ALFANS)، ويتعلق الأمر هنا بجهاد الباي ضد ملك إسبانيا وسحق الحملة الإسبانية الواردة في النص تعني أن صالح باي قطع العدو كتقطع أصول ورؤوس السنابل . وأظهر مقدرة في التعامل وحنكة وخبرة في الحرب ، وذلك سنة 1189هـ/1785م⁽¹⁾.

أما عن أحداث هذه الحملة فقد بدأ أسطول إسبانيا يلاحق مسلمي الأندلس المهاجرين إلى البلدان الإفريقية وقرابة 300 سنة كانت الجزائر الهدف الأول المقصود بإعلان إسبانيا الحرب عليها عدة مرات رغم الهزائم التي تكبدتها في كل مرة.

(1) - أنظر :

(1) - Vayssttes(E) , Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837

p.356.

وهكذا وفي العام المذكور سابقا قدم الإسبان بقوة بحرية كبيرة لمحاربة الجزائر وأنزل قواته في سواحل الحراش واستعد ولاية الجهات الأخرى للإسراع بالحضور ودحر العدو ، ومن بين الحاضرين صالح باي والي قسنطينة ، وفي اليوم الرابع من وصول العدو إلى شواطئ الحراش وصل صالح باي من قسنطينة وأتى من ناحية واد الحراش وقدم أمامه ألؤفا من الإبل لتكون وقاية لرجاله من الأعداء ، كما جاء باي وهران ورؤساء الجهات الأخرى دفعة واحدة فكان النصر للمؤمنين ، وأعجب الجميع بحيلة صالح باي وشجاعته⁽¹⁾.

وعلى إثر جلاء الحملة الإسبانية على الجزائر سارع الجزائريون إلى الاحتفال بهذه المناسبة السارة⁽²⁾. بعد عودة صالح باي إلى عاصمة قسنطينة ليلقى الترحيب الكبير بعد النصر الباهر على الإسبان والذي زاد في شعبيته ويجعله يفرض احترامه وهيئته فتفرغ بعد ذلك لشؤون حكمه⁽³⁾. وأسس في السنة نفسها مسجد ومدرسة سيدي الكتاني⁽⁴⁾.

(1) – محمد المهدي بن علي شعيب ، المرجع السابق ، ص376-377.

(2) - Vayssttes(E), OP.CIT ,P.340.

(3) -IBID ,P.344.

(4) – محمد المهدي بن علي شعيب ، المرجع السابق ، ص377.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 03

/	رقم الجرد
شاهد قبر (الرأس)	طبيعة الشيء
ط=48سم / ع15سم / صواعد الألف=2.8سم	المقاسات
الرخام	مادة الصنع
مقبرة صالح باي	المصدر
1870م	التاريخ
شاهدية	طبيعة الكتابة
ثلث	نوع الخط
سبعة	عدد الأسطر
/	عدد الأشرطة
المقبرة العائلية لصالح باي	مكان الحفظ
جيدة	حالة الحفظ

النص :

ويمكن قراءته على النحو الآتي :

1- بسم الله الرحمن الرحيم /

2- وصلى الله على سيدنا

3- ومولانا محمد /

4- توفي السيد مصطفى /

5- بني المرحوم السيد صالح /

5- باي في أواخر ذي /

6- القعدة سنة 1224هـ /

- الوصف :

وجدت هذه الكتابة منقوشة على شاهد قبر مصنوع من الرخام الأبيض بالمقبرة العائلية لصالح باي ، نفذت بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، يتكون من قاعدة مستطيلة الشكل يعلوها رأس الشاهد ذي الشكل الدائري تتوجه زخرفة على شكل مروحة ، وتقع الكتابة في سبعة أسطر. (اللوحة 53).

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

نفذت الكتابة بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، تتميز الكتابة بخلوها من نقط الإعجام وهي شبيهة بالكتابات السابقة . وتميزت بخلوها من الأخطاء الإملائية وكذا النحوية.

- شرح الأعلام :

ورد في النص اسم مصطفى بن صالح باي ، لكن المصادر التاريخية لم تشر إلى هذه الشخصية.

- الصيغ الواردة في النص :

تتضمن هذه الكتابة على الصيغ التالية :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الصلاة على النبي (صلى الله على سيدنا ومولانا محمد)

- اسم المتوفى (مصطفى بن المرحوم السيد صالح باي)

- تاريخ الوفاة (أواخر ذي القعدة سنة 1224هـ)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

- هذه اللوحة شبيهة بالشواهد السابقة الذكر المصنوعة من مادة الرخام والمنفذة بخط الثلث وبأسلوب الحفر البارز.

- يؤرخ هذا الشاهد لوفاة مصطفى بن صالح باي وذلك سنة 1224هـ ، كما لم نعث على أية معلومات حول هذه الشخصية أيضا. وقد توفي في فترة حكم الباي أحمد طوبال 1226هـ / 1808-1811م⁽¹⁾.

(1)- Kaddach (M.) , op.cit , P.163.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 04

/	رقم الجرد
شاهد قبر (الرأس)	طبيعة الشيء
إر=47سم/ق=34سم/صواعد الألف=4.5سم	المقاسات
رخام	مادة الصنع
مقبرة صالح باي	المصدر
1233هـ	التاريخ
شاهدية	طبيعة الكتابة
الثلاث	نوع الخط
ستة	عدد الأسطر
ستة	عدد الأشرطة
المقبرة العائلية لصالح باي	مكان الحفظ
جيدة	حالة الحفظ

النص :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم
- 2- وصلى الله على سيدنا محمد
- 3- توفت أمة الله خدوجة
- 4- بنت المرحوم عبد الله بن صالح
- 5- في أوائل شعبان المعظم
- 6- في سنة 1233هـ

- الوصف :

هو عبارة عن شاهد قبر (الرأس) مصنوع من مادة الرخام ، متواجد في الغرفة الصغيرة التابعة لمقبرة صالح باي ، وقد نفذت بخط الثلث مكونة من ستة أسطر تمتد بداخل أشرطة وقد نفذت بأسلوب الحفر البارز، أما عن حالة الشاهد فهي جيدة.

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

لقد استعمل في هذا النقش خط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، وهي شبيهة بالكتابات السابقة من حيث خلوها من نقط الإعجام .

- أما من ناحية الأسلوب فقد جاءت ألفاظها واضحة سهلة ، وقد ورد في الشاهد خطأ تكرر في الشواهد بالمقبرة وهو حذف حرف الياء من كلمة (توفيت فجاءت توفت) وهذا في السطر الثالث (اللوحة 32).

- شرح الأعلام :

هذا الشاهد لحدوجة وهي بنت عبد الله خوجة ، حيث كانت بينه وبين صالح باي علاقة مصاهرة ، وعائلة عبد الله مدفونة في المقبرة العائلية لصالح باي (1).

- الصيغ الواردة في النص :

وقد اشتملت هذه القصيدة على عدة صيغ :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الصلاة على الرسول (صلى الله على سيدنا محمد)

- اسم المتوفى (حدوجة بنت عبد الله خوجة)

- تاريخ الوفاة (شعبان المعظم في سنة 1233هـ)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

هذا الشاهد مصنوع من مادة الرخام الأبيض ، الذي عرف استعمالا واسعا في الفترة العثمانية خاصة في شواهد القبور في جميع المدن العثمانية خاصة بقسنطينة وميلة والجزائر .

لقد استعملت مادة الرخام في شواهد القبور بالجزائر قبل الفترة العثمانية ، وأقدم شاهد بالجزائر عشر عليه بيجاية مؤرخ سنة 512هـ/1180م محفوظ بالمتحف الوطني للآثار ، وقد عرفت الفترة الحمادية انتشار هذا النوع من الشواهد (2). استعمل الرخام في كتابة الشواهد نظرا لمقاومته للعوامل المختلفة من رطوبة وحرارة .

- لم تذكر المصادر التاريخية هذه الشخصية وكذا لم تذكر والدها ، لكن الشاهد ذكر الفترة التي توفيت فيها ألا وهي سنة 1233هـ/1817م (3) ، فترة حكم الباي قارة مصطفى ، وعرفت هذه الفترة بعض الاضطرابات حيث توفي قارة مصطفى وخلفه أحمد باي مملوك ثم محمد باي الميلي أي ثلاث بايات في سنة واحدة ، وهذا دليل على عدم الاستقرار.

(1) - Mercier(G.) , corpus des inscription Arabes et Turques de l'Algérie , Ernest leroux

E'diteur , Paris , 1902 ,P.59-60.

(2) - عبد الحق معزوز ، الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين (8-14م) ، المؤسسة الوطنية للفنون

المطبعة ، الرغاية الجزائر ، 2002 ، ص ص59-105 .

(3) - لقد وجدنا أن الشاهد مؤرخ بسنة 1233هـ ، عكس ما أشار إليه مارسيه بأن الشاهد مؤرخ بسنة 1204هـ.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الذا
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (الرأس)
المقاسات	إر=57سم/ق=37سم/صواعد الألف=4سم
مادة الصنع	الخشب
المصدر	مقبرة صالح باي
التاريخ	1233هـ
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	نسخي
عدد الأسطر	سبعة
عدد الأشرطة	سبعة
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لصالح باي
حالة الحفظ	جيدة

النص :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم/
- 2- وصلى الله على سيدنا محمد/
- 3- توفت المرحومة بكرم الحي القيوم/
- 4- أمتة الله تعالى خدوجة بنت المرحوم/
- 5- السيد صالح باي يوم الأربعاء الثاني/
- 6- والعشرين من صفر الخير/
- 7- سنة 1233هـ

- الوصف :

هو أحد الشواهد المتواجدة في المقبرة العائلية لصالح باي ، موضوع على رأس قبر خدوجة بنت السيد صالح باي ، مصنوع من مادة الخشب ، نفذت بخط النسخ وبأسلوب الحفر البارز ، مكون من سبعة أشرطة يختلف عرضها من واحد لآخر وتضيق خاصة في الأسفل. (اللوحة 34)

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

استعمل في هذا الشاهد خط النسخ وبأسلوب الحفر البارز ، تتميز الكتابة بخلوها من نقط الإعجام وكذا برداءة الخط.

- تميزت الكلمات بالتداخل وذلك نظرا لنقص المساحة وضيق الأشرطة .

- توجد بعض الأخطاء في الكلمات مثل (توفت بدلا من توفيت) وهنا تم حذف حرف الباء ، كما وجدنا خطأ في كلمة (أمته بدلا من أمة) أي تمت زيادة حرف الهاء.

- شرح الأعلام :

ورد في هذا النص اسم خدوجة : وهي بنت صالح باي ، لم تذكرها المصادر التاريخية كبقية أفراد أسرتها.

- الصيغ الواردة في النص :

تتضمن هذه الكتابة الصيغ التالية :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الصلاة على الرسول (صلى الله على سيدنا محمد)

- اسم المتوفى (خدوجة بنت المرحوم السيد صالح باي)

- تاريخ الوفاة (يوم الأربعاء الثاني والعشرين من صفر الخير سنة 1233هـ)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

تعتبر هذه اللوحة شبيهة بالشواهد السابقة الذكر المصنوعة من مادة الخشب والمنفذة بأسلوب الحفر البارز.

- يؤرخ هذا الشاهد لوفاة خدوجة بنت السيد صالح باي وذلك سنة 1233هـ ، وللأسف لم نعثر على أية معلومات حول هذه الشخصية ، وقد توفيت في فترة حكم الباي قارة مصطفى (1233هـ-1817م) وكما ذكرنا فإن فترة حكم هذا الباي تميزت بالإضطراب ، فقد مكث في ولايته ثلاثين يوما ، ثم جاء الأمر من عند الباشا علي خوجة بقتله فمات في التاريخ المذكور ، كان هذا الباي ضعيف الإرادة ولا خبرة له بشؤون الحكم والإدارة⁽¹⁾.

(1) - محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص404.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 06

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (القدمين)
المقاسات	إر=52سم / ق37سم / صواعد الألف=4سم
مادة الصنع	خشب
المصدر	مقبرة صالح باي
التاريخ	1233هـ
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	نسخي
عدد الأسطر	ستة
عدد الأشرطة	ستة
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لصالح باي
حالة الحفظ	جيدة

النص :

1- بسم الله الرحمن الرحيم/

2- وصلى الله على سيدنا محمد/

3- لا إله إلا الله الملك الحق/

4- المبين محمد رسول الله/

5- الصاد الوعد الأمين/

6- ورسول رب العالمين/

- الوصف :

في قبر السيدة خدوجة بنت صالح باي يوجد شاهدان هذا أحدهما ، وهو يتموقع عند قدميها ، يشبه في شكله وكتابه وهيكله مشهد الرأس ، ويتكون هذا الشاهد من ستة أسطر نفذت كتابته بخط النسخ وبأسلوب الحفر البارز ، وهي موضوعة بداخل أشرطة مستطيلة تشغل مساحة رأس الشاهد الدائرية. وقد بلغ ارتفاع الحروف الصاعدة 4.5سم وعرضها 0.8سم وأما المنخفضة فقد بلغ 2سم. (اللوحة 43).

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

نفذت الكتابة بخط النسخ بأسلوب الحفر البارز وقد جاءت داخل أشرطة متوازنة ، والكتابات بداخلها رتبت في تناسق بحيث شغلت المساحة المخصصة لها احتوت بعض الكلمات على نقط الإعجام ، أما الجانب اللغوي فقد امتاز الشاهد بلغة واضحة وسهلة الفهم ، لم يرد في الكتابة أي خطأ إملائي.

- شرح الأعلام :

يتميز النص بخلوه من ذكر أعلام وشخصيات.

- الصيغ الواردة في النص :

وقد اشتملت هذه القصيدة على عدة صيغ :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الصلاة على الرسول (صلى الله على سيدنا محمد)

- الشهادتان (لا إله إلا الله محمد رسول الله)

- عبارة التقوى (الصادق الوعد الأمين)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

تضمنت بعض القبور شواهد في القدمين ، وهذه الشواهد تكون في الغالب عبارة عن أدعية أو آيات قرآنية أو البسملة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا النوع من الشواهد عرف أيضا في هذه الفترة وتوجد أمثلة عنه في المقبرة العائلية لصالح باي وكذا في الأضرحة في المباني العثمانية في مدينة قسنطينة وفي مختلف المدن العثمانية في الجزائر ، وهذا ما عيناها من خلال الزيارات المختلفة لهذه الأضرحة خاصة في ولايتي قسنطينة وميلة.

- أما من الناحية التاريخية فلم تحوي أي تاريخ معين لذلك يمكن تحديدها بتاريخ شاهد الرأس لنفس القبر.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 07

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (الرأس)
المقاسات	إر=52سم / ق=32سم / صواعد الألف=4سم
مادة الصنع	الخشب
المصدر	مقبرة صالح باي
التاريخ	1237هـ
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	نسخي
عدد الأسطر	ستة
عدد الأشرطة	ستة
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لصالح باي
حالة الحفظ	جيدة

النص :

ويمكن قراءتها كما يلي :

1- بسم الله الرحمن الرحيم/

2- توفيت آمة الله تعالى ءامنة بنت/

3- السيد صالح باي رحمة الله عليهما/

4- في اليوم الواحد والعشرين من/

5- شهر الله المعظم رمضان/

6- سنة 1237هـ/

- الوصف :

أحد الشواهد المتواجدة في مقبرة المدرسة ، وهو كبقية الشواهد الأخرى يقوم على أحد القبور ، مصنوع من الخشب ، نفذت كتابته بخط النسخ المغربي وبأسلوب النسخ البارز ، جاءت في ستة أسطر تمتد بداخل أشرطة مستطيلة يبلغ أقصى طول شريطها 32سم وعرضها 4.5سم ، أما الارتفاع فقد بلغت 4سم وعرضها 4ملم في حين بلغ ارتفاع الصواعد المنخفضة 0.05سم . (اللوحة 44) .

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

نفذت الكتابة بخط النسخ المغربي بأسلوب الحفر البارز وهي السمة المتبعة في هذا الفترة ، لقد زودت حروفها بنقط الإعجام مما جعلها تبدو في حلة جميلة.

- شرح الأعلام :

ورد في الشاهد اسم ءامنة ، وهي إحدى بنات صالح باي من زوجته السيدة فاطمة العلجة⁽¹⁾. إحدى زوجاته الثالثة⁽²⁾ ، ولم تذكر المصادر أيضا عن حياة هذه الشخصية أية معلومات.

- الصيغ الواردة في النص :

وقد اشتملت هذه القصيدة على عدة صيغ :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- اسم المتوفى (ءامنة بنت السيد صالح باي)

- الدعاء (رحمة الله عليهما)

- تاريخ الوفاة (الواحد والعشرين من شهر الله المعظم رمضان سنة 1237هـ)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

هذا الشاهد مصنوع من مادة الخشب وقد تطرقنا إلى أمثلة من هذا النوع من الشواهد ، كما تحدثنا عن الخط وأسلوب الحفر.

- أما من الناحية التاريخية فتتمثل في وفاة إحدى بنات صالح باي وهي عائشة التي لم تذكرها المصادر التاريخية أما تاريخ الوفاة فيصادف سنة 1237هـ وهي فترة حكم إبراهيم باي الكرتلي (1237-1241هـ) وامتازت هذه الفترة بالإستقرار ، حكم هذا الباي مدة سنتين استطاع فيها أن ينشر الأمن عبر كامل البايك كما تميز بعدله بين رعيته⁽³⁾.

(1) - العلجة : هو مصطلح يطلق على الأمة المسيحية التي تدخل الإسلام .

(2) - لقد تزوج صالح باي بثلاث نساء وهن (فاطمة العلجة - الحاجة - عائشة العلجة).

أنظر :

- Mercier(G.), corpus , P.76.

(3) - محمد الهادي شعيب ، المصدر السابق ، ص407.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

/	رقم الجرد
شاهد قبر (القدمين)	طبيعة الشيء
إر=50.5سم/ ق31سم/ صواعد الألف=4سم	المقاسات
الخشب	مادة الصنع
مقبرة صالح باي	المصدر
1237هـ	التاريخ
شاهدية	طبيعة الكتابة
النسخي المغربي	نوع الخط
خمسة	عدد الأسطر
خمسة	عدد الأشرطة
المقبرة العائلية لصالح باي	مكان الحفظ
جيدة	حالة الحفظ

النص :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم/
- 2- وصلى الله على سيدنا محمد/
- 3- لا إله إلا الله الملك الحق/
- 4- المبين محمد رسول الله الصادق/
- 5- الوعد الأمين/

- الوصف :

هذا الشاهد موجود بالمقبرة العائلية لصالح باي ، عند قبر ءامنة (شاهد القدمين) وهو شبيه بشاهد الرأس من حيث مادة الصنع وكذا الشكل والصورة ، وهذا مايدل على أنهما من صنع فنان واحد ، نقشت عليه كتابة بخط النسخ نفذت بأسلوب الحفر البارز تقع في خمسة أسطر تمتد في أشرطة مستطيلة الشكل في الجزء العلوي الذي يمثل رأس الشاهد .(اللوحة37)

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

استعمل في هذا النقش خط النسخ المغربي بأسلوب الحفر البارز ، وتتميز بأنها ذات نفس النمط من حيث الكتابة والخط مع شاهد الرأس لنفس القبر وهي خالية من نقط الإعجام.

- شرح الأعلام :

جاء هذا الشاهد خاليا من ذكر الأسماء .

- الصيغ الواردة في النص :

وقد اشتملت هذه القصيدة على عدة صيغ :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الصلاة على الرسول (صلى الله على سيدنا محمد)

- الشهادتان (لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله)

- عبارة التقوى (الصادق الوعد الأمين)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

- كما ذكرنا سابقا بأن لشاهد القدمين نفس القيمة الأثرية لشاهد الرأس ، فهو مصنوع من نفس المادة ومنفذ بنفس الخط والأسلوب.

- لم يرد في النص أي تاريخ أو اسم لشخصية ، وقد أرخنا له بنفس تاريخ شاهد الرأس 1237هـ ، وهذا الشاهد يبين العبارات الدينية المستعملة في الفترة العثمانية ، وهو شبيه بشاهد القدمين في قبر فاطمة بنت صالح باي.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				هاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 09

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (الرأس)
المقاسات	إر=50سم/ق=33سم/صواعد الألف=0.32م
مادة الصنع	الرخام
المصدر	مقبرة صالح باي
التاريخ	1237هـ
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	ثلث
عدد الأسطر	خمسة
عدد الأشرطة	خمسة
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لصالح باي
حالة الحفظ	جيدة

النص :

ويمكن قراءتها كما يلي :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم/
- 2- توفيت آمة الله تعالى المرابطة/
- 3- عايشة بنت السيد صالح باي رحمة /
- 4- الله عليها في أوائل ذي الحجة الحرام/
- 5- سنة 1237هـ/

- الوصف :

هو عبارة عن شاهد قبر في الغرفة الداخلية التي تحتوي على قبرين هذا أحدهما وهو عبارة عن شاهد مصنوع من الرخام ، نفذت فيه الكتابة بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، وهو مكون من خمسة أسطر تمتد داخل خمسة خراطيش .

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

أستعمل في هذا النقش خط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، وتتميز الكتابة بخلوها من نقط الإعجام ، وكذا برداءة الخط. (اللوحة 45).

- شرح الأعلام :

ورد في الشاهد اسم عائشة المرابطة وهي بنت صالح باي وبنت عائشة العلجة ، لقد لقيت بالمرابطة لأن السكان كانوا يقصدونها من كل الأمكنة خاصة من خارج المدينة من أجل التداوي من الأمراض الاجتماعية المستعصية (كالجنون والعقم وعدم الزواج) وكذا للتبرك بها وذلك لأنهم يؤمنون ببركة هذه المرأة ، وقد كان قبرها في وقت سابق مغطى بقطعة قماش (علام) (1).

- الصيغ الواردة في النص :

وقد اشتملت هذه القصيدة على عدة صيغ :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- اسم المتوفى (عائشة بنت السيد صالح باي)

- الدعاء (رحمة الله عليهما)

- تاريخ الوفاة (أواخر ذي الحجة الحرام سنة 1237هـ)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

هذا الشاهد مصنوع من مادة الخشب ، وهي المادة الأساسية إلى جانب الرخام في صناعة شواهد القبور في هذه الفترة بدليل وجودها في هذه المقبرة وغيرها من المقابر العثمانية في مدينة قسنطينة كأضرحة جامع سيدي الأخضر وكذا في قصبة مدينة ميله التي تتوفر على أعداد هائلة من الشواهد المصنوعة بمادة الخشب والمحفورة بنفس الطريقة وبنفس الخط.

يؤرخ هذا الشاهد لوفاة إحدى بنات السيد صالح باي والتي لم تذكرها أيضا المصادر التاريخية ، وكان تاريخ وفاتها سنة 1237هـ/1823م ، عاصرت في أواخر سنواتها فترة حكم إبراهيم باي الكرتلي.

(1) - Mercier(G.), corpus , P.76.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 10

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (الرأس)
المقاسات	إر=52.5سم / ق=29سم / صواعد الألف=4سم
مادة الصنع	الخشب
المصدر	مقبرة صالح باي
التاريخ	1240هـ
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	نسخي
عدد الأسطر	خمسة
عدد الأشرطة	خمسة
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لصالح باي
حالة الحفظ	جيدة

النص :

ويمكن قراءتها كما يلي :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم /
- 2- توفت آمة الله تعالى فاطمة /
- 3- بنت المكرم حبقت (كذا) السيد صالح /
- 4- باي رحمة الله عليهما في أول شهر /
- 5- الله المحرم سنة 1240هـ /

- الوصف :

هذه اللوحة عبارة عن شاهد قبر مصنوع من الخشب متواجد في مقبرة صالح باي مؤرخ بسنة 1240 هـ والكتابة المنفذة عليه عبارة عن نص شاهدي نفذ بخط النسخ ، وهو متواجد في ستة أسطر ، والكتابات منفذة داخل ستة أشرطة على التوالي ، وقد نفذت الكتابة بأسلوب الحفر البارز ، والشاهد عبارة عن قاعدة مستطيلة ورأس دائرية تتوجها زخرفة على شكل مروحة مزدوجة .

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

لقد استعمل النقاش أيضا في هذا الشاهد خط النسخ بأسلوب الحفر البارز على أرضية خالية من الزخارف وقد امتازت بعض الكلمات بوجود نقط الإعجام ، كما جاءت أشراطها متوازنة وحروفها متناسقة وهذا ما يدل على تطور الكتابة في هذا العهد خاصة الخط النسخي (اللوحة 46).

أما من حيث اللغة فقد ورد خطأ إملائي في السطر الثالث (توفت بدلا من توفيت) حيث حذف حرف الياء كما وردت في النص الشاهدي كلمة غير مفهومة وهي (حبقت) وقد ذكر ميرسي أنها تدل على لقب شرفي للباي⁽¹⁾.

- شرح الأعلام :

ورد في الشاهد اسم فاطمة وهي صاحبة هذا القبر ، وحسب ميرسي فهي ابنة صالح باي .
لم تذكر المصادر أية معلومات عن هذه الشخصية.

- الصيغ الواردة في النص :

وقد اشتمل هذا الشاهد على عدة صيغ :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- اسم المتوفى (فاطمة بنت المكرم حبقت السيد صالح باي)

- الدعاء (رحمة الله عليهما)

- تاريخ الوفاة (في أول شهر الله المحرم سنة 1240هـ)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

جاءت هذه الكتابة على شكل شاهد قبر مصنوع من الخشب وهي المادة الأساسية إلى جانب الرخام في صناعة شواهد القبور في هذه الفترة بدليل وجودها في هذه المقبرة وغيرها من المقابر العثمانية في مدينة قسنطينة كأضرحة مقبرة سيدي الكتاني وكذا في مختلف المدن خاصة مدينة ميله التي تتوفر على أعداد هائلة من الشواهد المصنوعة بمادة الخشب والمحفورة بنفس الطريقة وبنفس الخط .

- أما الناحية التاريخية فتتمثل في وفاة إحدى بنات صالح باي وهي فاطمة التي لم تذكرها المصادر التاريخية ، أما تاريخ الوفاة فيصادف سنة 1240هـ ، فترة حكم أحمد باي وبالتحديد في السنة الأولى من توليه هذا المنصب وقد امتازت هذه الفترة بالاستقرار والرخاء الذي ساد الإقليم⁽²⁾.

(1) - Mercier (G.), corpus , P.77.

(2) - بوضرساية بوعزة ، المرجع السابق ، ص78.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				الهاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 11

/	رقم الجرد
شاهد قبر (قدمين)	طبيعة الشيء
إر=49سم/ق28سم/صواعد الألف = 4سم	المقاسات
الخص	مادة الصنع
مقبرة صالح باي	المصدر
/	التاريخ
تذكارية تخليدية	طبيعة الكتابة
ثلث	نوع الخط
خمسة	عدد الأسطر
خمسة	عدد الأشرطة
المقبرة العائلية لصالح باي	مكان الحفظ
جيدة	حالة الحفظ

النص :

ويمكن قراءتها كما يلي :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم/
- 2- لا إله إلا الله الملك الحي المميت/
- 3- لا إله إلا الله محمد/
- 4- رسول الله صلى الله عليه /
- 5- وسلم /

- الوصف :

هذا الشاهد موجود بالمقبرة العائلية لصالح باي عند قبر فاطمة بنت صالح باي وهو يشبهه من حيث المادة ومتطابقان في الشكل والصورة ، وهذا ما يدل على أنهما من صنع فنان واحد ، نقشت عليه كتابة بخط النسخ نفذت بأسلوب الحفر البارز تقع في خمسة أسطر تمتد في أشرطة مستطيلة الشكل في الجزء العلوي الذي يمثل رأس الشاهد. (اللوحة 51)

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

أستعمل في هذا النقش خط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، كما تتميز أيضا بأنها ذات نفس النمط من حيث الكتابة والخط مع شاهد الرأس لنفس القبر ، وهي خالية من نقط الإعجام ، كما تمتاز بتكرار الشهادتان في السطرين الأول والثاني. (اللوحة 47).

- شرح الأعلام :

جاء الشاهد خاليا من ذكر الأسماء.

- الصيغ الواردة في النص :

تتضمن هذه الكتابة على الصيغ التالية :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الشهادتان (لا إله إلا الله محمد رسول الله)

- الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

بما أن الشاهد مصنوع من نفس مادة شاهد الرأس وله نفس أسلوب الخط والحفر فإن للشاهدين نفس

القيمة الأثرية.

- لم يرد في هذا النص أي تاريخ أو اسم لشخصية لذلك فإن الشاهد يبين العبارات والشعارات الدينية المستعملة في الفترة العثمانية.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				هاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 12

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (قديم)
المقاسات	إر=49سم / ق=32.5سم/صواعد الألف=4سم
مادة الصنع	الخشب
المصدر	مقبرة صالح باي
التاريخ	1241هـ/1826م
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	نسخي
عدد الأسطر	خمسة
عدد الأشرطة	خمسة
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لصالح باي
حالة الحفظ	جيدة

النص :

ويمكن قراءتها على النحو الآتي :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد /
- 2- توفت أمة الله يامنة /
- 3- بنت المرحوم السيد محمد /
- 4- الخلفة بن صالح باي في أواخر رجب /
- 5- سنة 1240هـ /

- الوصف :

هذه اللوحة عبارة عن شاهد قبر ، مصنوع من مادة الخشب متواجد في مقبرة صالح باي ، وهو مؤرخ بسنة 1241هـ/1826م ، وهي عبارة عن كتابة شاهدية نفذت بخط النسخ بأسلوب الحفر البارز ، يقع النص في خمسة أسطر تمتد بداخل خمسة أشرطة مستطيلة الشكل وهذا الشاهد مثبت في قبر المدعوة يامنة ابنة محمد الخلفة والشاهد له شكل دائري تتوجه زخرفة على شكل مروحة مزدوجة. (اللوحة 48).

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

لقد استعمل في هذا الشاهد خط النسخ بأسلوب الحفر البارز على أرضية خالية من الزخارف مع وجود نقط الإعجام في بعض الكلمات ، وامتاز أيضا بوجود بعض الأشكال على هيئة فروع نباتية بارزة وهذا مازاد في جمال الكتابة ، بالرغم من ذلك فإن أشراطها الستة وخاصة الشريط الأول جاءت ضيقة وهذا ما أدى إلى تداخل الكلمات وتراكبها فوق بعضها في السطر الأول وذلك راجع أيضا لنقص المساحة المخصصة للكتابة وصغر الحجم أما حروفها فتتميز بعدم التناسب .

أما الجانب اللغوي فقد تكرر الخطأ الإملائي الذي رأيناه في الشواهد السابقة ، بحيث كتبت كلمة (توفيت) منقوصة من حرف الياء (توفت).

- شرح الأعلام :

ورد في هذا الشاهد اسم يا منة : وهي حفيدة صالح باي من ولده محمد الخلفة⁽¹⁾ .

محمد بن صالح باي كان خليفة في عهد إنكليس باي ، عينه إنكليس في هذا المنصب حتى يتجنب نقمة الأهالي بسبب مقتل صالح باي ، ويقال أنه توفي مسموما⁽²⁾ .

- الصيغ الواردة في النص :

تتضمن هذه الكتابة على الصيغ التالية :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم)

- اسم المتوفى (يامنة بنت محمد الخلفة)

- تاريخ الوفاة (في أواخر رجب سنة 1241هـ)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

اللوحة شبيهة ببقية الشواهد الخشبية للمقبرة ولها نفس التصميم الدائري وتعلوها ورقة شبيهة بأوراق الأكانتس ولها نفس القيمة الأثرية للشواهد المصنوعة من نفس المادة .

- يؤرخ هذا الشاهد لوفاة يامنة بنت محمد الخلفة بن صالح باي ، وهي إذا حفيدة صالح باي ، لم تذكر المصادر التاريخية هذه الشخصية ، وقد توفيت سنة 1241هـ/1826م ، وهو يصادف فترة حكم جدها أحمد باي⁽²⁾ .

(1)- Mercier (G.), corpus , P.77.

(2) -GAID (Mouloud .) , Chronique des Beys de constantine , Office des publications universitaires , S .D , P.50.

(3) - أنظر : جدول بايات الشرق ، ص40-41.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				هاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 13

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (الرأس)
المقاسات	إر=50سم / ق=32سم / صواعد الألف=3سم
مادة الصنع	الخشب
المصدر	مقبرة صالح باي
التاريخ	1242هـ/1826م
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	نسخي
عدد الأسطر	خمسة
عدد الأشرطة	خمسة
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لصالح باي
حالة الحفظ	جيدة

النص :

ويمكن قراءته على النحو الآتي :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم /
- 2- وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد /
- 3- توفيت أمة الله عايشة زوجة المرحوم /
- 4- السيد صالح باي في أواخر ربيع الثاني /
- 5- سنة 1242هـ /

- الوصف :

هذه اللوحة عبارة عن شاهد قبر ، مصنوع من مادة الخشب متواجد في مقبرة صالح باي ، وهو مؤرخ بسنة 1242هـ/1826م ، وكتابته شاهدية منفذة بخط النسخ كبقية الشواهد الأخرى وبنفس الأسلوب ألا وهو الحفر البارز ، وتقع الكتابة في خمسة أسطر داخل خمسة أشرطة متوازية ومستطيلة يبلغ قطرها 33سم. الصورة (اللوحة 49).

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

نفذت الكتابة بخط النسخ بأسلوب الحفر البارز ، تحتوي هذه الكتابة على نقط الإعجام كما تتميز بنوع من الرداءة وربما هذا راجع إلى الشخص الذي نفذها ، لأن الفترة التي نفذت فيها تميزت بإتقان خط النسخ وتطوره ، كما ازدان أيضا ببعض اللغائف والمراوح النخيلية وهذا في نهاية أسطوره .
- كما تميزت لغة النص بالوضوح ولم ترد فيها أية أخطاء نحوية أو إملائية .
- شرح الأعلام :

لقد ورد في هذا الشاهد اسم عايشة : وهي زوجة صالح ، حيث تزوج الباي بثلاث نساء هذه إحداهن ، وتعرف بالعلجة لأنها من أصل مسيحي ، وقد أسلمت على يد صالح ، وهي والدة عائشة المرابطة (1) .
- الصيغ الواردة في النص :

تتضمن هذه الكتابة على الصيغ التالية :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)
- الصلاة على الرسول (صلى الله على سيدنا ومولانا محمد)
- إسم المتوفى (عايشة زوجة المرحوم السيد صالح باي)
- تاريخ الوفاة (أواخر ربيع الثاني سنة 1241هـ)
- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

سبق الحديث عن مادة الصنع (الخشب) وكذا الخط المستعمل (النسخ) ، وكذا الصيغ المستعملة .
- توفيت عايشة العلجة في سنة 1826م وهي سنة تصادف فترة حكم أحمد باي للبايلك .

(1) - Mercier (G.), corpus , P.78.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				هاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 14

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (الرأس)
المقاسات	ط=80سم/ع55سم/صواعد الألف=7.5سم
مادة الصنع	الرخام
المصدر	مقبرة صالح باي
التاريخ	1244هـ/1829م
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	ثلث
عدد الأسطر	ثمانية
عدد الأشرطة	ثمانية
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لصالح باي
حالة الحفظ	جيدة

النص :

ويمكن قراءته على النحو الآتي :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم
 - 2- وصلى الله على سيدنا محمد
 - 3- فله قبر قد حولى الشمس والبدر
 - 2- سليله صالح وتدعى باية
 - 5- محمد الباهي سليل بخوجة
 - 6- فيا حسرة الزمان والناس عنهما
 - 7- أزال له العرش عنها معا ضريح
 - 8- مبارك سعيد متور به
- عليهم من الرحمن تنزل رحمته
فتاة ولها قدر كبير بلا أمثال
له الجد في القرآن به فخرا أكرم
خصوصا من الأيام حدثه الكبرا
وضريحين وأوسععا
وتاريخه شكر وزان يا مرمر

- الوصف :

وجدنا هذه الكتابة منقوشة على شاهد قبر مصنوع من الرخام الأبيض ذو شكل مستطيل تعلوه قوس نصف دائرية نفذت كتابته بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، جاء في ثمانية أسطر تمتد داخل أشرطة على شكل خراطيش ونظمت في قالب شعري على شكل أبيات ، في البيت الثاني اسم بنت صالح باي ، أما في البيت الخامس ذكر اسم محمد الباهي حفيد خوجة. (اللوحة 50).

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

نفذت الكتابة بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، يتميز هذا النص بركاكة الأسلوب واستعمال بعض ألفاظ الدارجة وأحيانا غير مفهومة ككلمة (متور)، أما الخط فقد شاع استخدامه في هذه الفترة ، كما نجد النص خال من نقط الإعجام.

- شرح الأعلام :

- ورد في السطر الثاني اسم بنت صالح باي ولم يذكر اسمها ، ويبدووا من خلال هذه القصيدة أنها كانت متميزة بخصائص وميزات عن البنات اللائي عاصرها.

- كما ذكر في البيت الخامس اسم محمد الباهي حفيد خوجة (لم تذكره المصادر التاريخية أيضا).

- الصيغ الواردة في النص :

تتضمن هذه الكتابة على الصيغ التالية :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الصلاة على الرسول (صلى الله على سيدنا ومولانا محمد)

- أبيات الرثاء (فما حسده الزمان والناس عنهما خصوصا من الأيام حدته الكبر)

- تاريخ الوفاة (1244هـ/1829م)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

هذا النمط من الشواهد قليلة الاستعمال في المقابر العثمانية بالجزائر عامة وبقسنطينة خاصة ، نحت هذا النمط في أشكال عبارة عن ألواح مستطيلة ترتكز على شواهد شبه مربعة تنتهي في الأعلى بقوس نصف دائري .

- لم يذكر الشاهد اسم الشخصية التي دفنت فيه لكنه أشار إلى أنها ابنة صالح باي ، وهي مميزة عن إخوتها ولسوء حظنا فإن المصادر لم تشر إلى عائلة صالح باي بالكامل ، وقد توفيت سنة 1244هـ/1829م ، وهي تصادف فترة حكم أحمد باي.

- التحليل الأبجدي للحروف :

منعزلا	في آخر الكلمة	في وسط الكلمة	في أول الكلمة	الحرف
				الألف
				الباء - التاء - الثاء
				الجيم - الحاء - الخاء
				الذال - الدال
				الراء - الزاي
				السين - الشين
				الصاد - الضاد
				الطاء - الظاء
				العين - الغين
				الفاء - القاف
				الكاف
				اللام - لام ألف
				الميم
				النون
				هاء
				الواو
				الياء

الكتابة رقم: 15

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (الرأس)
المقاسات	إر=47سم/ق=32سم/صواعد الألف=5سم
مادة الصنع	الخشب
المصدر	مقبرة صالح باي
التاريخ	1249هـ/1834م
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	نسخي
عدد الأسطر	خمسة
عدد الأشرطة	خمسة
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لصالح باي
حالة الحفظ	جيدة

النص :

ويمكن قراءته على النحو الآتي :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم/
- 2- - توفيت أمة الله المرحومة بكرم الحي/
- 3- القيوم زهيرة بنت المكرم السيد/
- 4- أحمد باي ليلة الجمعة آخر شوال/
- 5- سنة 1249هـ/

- الوصف :

يوجد هذا الشاهد في مقبرة صالح باي ، مصنوع من الخشب ، وهو عبارة عن كتابة شاهدية نفذت بخط نسخي مكونة من خمسة أسطر ، وقد وضعت داخل أشرطة ، أما عن أسلوب الكتابة فهو الحفر البارز .
(اللوحة 52) .

- بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

استعمل الخطاط في هذا الشاهد خط النسخ بأسلوب الحفر البارز ، كما احتوت بعض الكلمات على نقط الإعجام وهذا ما زاد الكتابة نوعاً من الدقة والوضوح .
أما فيما يخص الجانب اللغوي فقد جاء النص واضحاً لاغموض فيه باستثناء خطأ إملائي في السطر الثاني حيث أسقط الخطاط حرف الياء من كلمة (توفت) بدلا من (توفيت).

- شرح الأعلام :

ورد في النص اسم زهيرة وهي إحدى بنات أحمد باي الذي حكم قسنطينة عاصمة بايلك الشرق بين سنتي 1826م-1837م⁽¹⁾.

لكن الغريب في الأمر هو وجود قبر ابنة أحمد باي مدفونة مع عائلة صالح باي ، إن المصادر التاريخية لم تذكر سر هذه العلاقة ولم تتحدث عن هذه الشخصية والاحتمال الأقرب إلى الترجيح أن أحد أبناء أو أحفاد صالح باي قد تزوج بهذه الشخصية وعند وفاتها دفنت في هذه المقبرة.

- الصيغ الواردة في النص :

تتضمن هذه الكتابة على الصيغ التالية :

- البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- الدعاء (المرحومة بكرم الحي)

- اسم المتوفى (زهيرة بنت المكرم السيد أحمد باي)

- تاريخ الوفاة (ليلة الجمعة آخر شوال سنة 1249هـ)

- القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

لقد استعمل أيضا في هذا الشاهد الخشب وقد تحدثنا عن أمثلة عنها.

- لقد تزوج صالح باي بإبنة أحمد باي القلي وهي ثاني زوجاته وهذا الباي هو الذي ساعده على أن يصل إلى أن يكون بايا ، وهو الذي أدخله في الجيش وجعله قائدا له فيما بعد ، لذلك يوجد قبر إبنته في مقبرة صالح باي.

- أما القيمة التاريخية فتتمثل في أن شخصية زهيرة توفيت في فترة حكم والدها (أحمد باي) وهي الفترة التي عاشت فيها بايلك الشرق استقرارا سياسيا أدى إلى تطور مدينة قسنطينة من جميع النواحي خاصة العمرانية والحضارية ، وهذا الاستقرار وليد الشخصية القوية للباي الذي عرف بجنكته في إدارة شؤون البايلك كما أظهر مقدرته في مواجهة الغزاة الفرنسيين⁽²⁾.

(1) - أنظر : جدول بايات الشرق ، ص 44-45

(2) - بوضرساية بوعزة ، المرجع السابق ، ص 78.

2- الزخارف النباتية :

تعتبر الزخارف النباتية إحدى المواضيع الرئيسية التي لجأ إليها الفنان المسلم بتوجيه من العقيدة الإسلامية وقد أبدعوا فيها وطوروها في جميع الميادين ، فقد رسم الفنان المسلم الأشجار والأزهار والسيقان والأوراق بعد أن حورها تحويرا شديدا فقدت معه شخصيتها كوحدات نباتية ، لكنها وإن بدت بعيدة عن الطبيعة فقد ضلت محتفظة بجمالها الفني الذي يشيع الغبطة في النفس (1).

سارت هذه الزخارف في سبيل التطوير والتجديد عبر العصور حتى وصلت بين يدي الفنان العثماني فاستعملها استعمالا واسعا ، حيث كون من السيقان والأوراق الملتفة والصفائر والفروع والزخارف المتداخلة مواضيع زخرفية تتفق مع المفهوم الإسلامي (2).

كما حضيت الزخارف النباتية بمكانة عالية في تزيين المربعات الخزفية القائمة في العمارة الدينية والمدنية في الجزائر بصفة عامة وتشهد لذلك معظم المنشآت في الجزائر العاصمة وكذا مدينة قسنطينة .

إن المدرسة الكتانية استعملت كغيرها من المؤسسات هذه البلاطات التي امتازت بتنوع زخارفها واعتمدت بالدرجة الأولى على عناصر نباتية محورة أو شبه محورة يمكن إبرازها فيما يلي :

- في الشكل (16-17) المصنوع من مادة الخزف والمتواجدة في جدران المقبرة ، نجد بها عناصر مشكلة تجميعية من أربع بلاطات قوامها أشكال شبه مربعة ، يبرز كل منها في اتجاه الأركان سلال مملوءة بأوراق الأكانتس محورة تتوسطها زهيرة سداسية البتلات وعلى كل جانب من الأوراق ثمرة برتقالية بالون الأصفر البرتقالي ، ورسمت العناصر على أرضية بيضاء.

إضافة إلى عنصر السلة المملوءة بالأوراق والأزهار والثمار فقد اتضح فيها عنصر قوس السهام بالكامل بالإضافة إلى أنصافها ، ويقوم قوس السهام بعملية ربط البلاطات ببعضها ، بينما أنصافه تحدد العنصر الهندسي المركزي ويمكن اعتبار هذه التجميعية وما يماثلها من عناصر وألوان أقدم بلاطات هذه المجموعة.

(1) - عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية في الجزائر في العصر التركي دراسة أثرية فنية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط1 ، 1990 ، ص270 .

-انظر : فريد الشافعي ، العمارة في مصر الإسلامية ، ص205.

(2) - عنايات المهدي ، روائع الفن في الزخرفة الإسلامية ، دار الطباعة ابن سينا، القاهرة ، 1992 ، ص10.

- وفي (الشكل 23) المصنوع من مادة الخزف والمتواجد في المقبرة ، نظمت العناصر حول مربعات مركزية متداخلة غير منتظمة الأضلاع ، أما العناصر الرئيسية النباتية فتتمثل في أوراق الأكانتس المحورة تبرز من العنصر المركزي في اتجاه الأركان وتلف خطوطها بطريقة تكون ورقة نباتية كأسية تشع نحو الأضلاع ، وذلك بالتبادل بينهما ، رسمت هذه الأوراق باللون الأبيض الناصع على أرضية زرقاء ، وهي الوحيدة في هذا القسم من البلاطات يحيط هذه العناصر المركزية عناصر على هيئة مربع غير منتظم تبرز من أركانه أوراق خماسية الفصوص ملونة في الوسط باللون الأحمر الطوي والأصفر.

- أما (الشكل 19) المزخرف على مادة الخزف والمتواجد في جدران المقبرة فهو عبارة عن تجميعة من أربع بلاطات رسمت بها العناصر النباتية بأسلوب أوروبي يتمثل في اللفائف والأغصان الحلزونية والأوراق الثلاثية المحورة وبالرغم من أن زهرة القرنفل ما تزال واضحة ومع ذلك فتبلاهما تحولت إلى ما يشبه الأوراق ، رسمت العناصر المركزية باللون الأحمر الطوي والأخضر والأزرق على أرضية بيضاء وخضراء.

- وفي (اللوحة 26) فتمتيز زخارفه النباتية بشدة التحوير ، وهو أسلوب ناتج عن طغيان الروح الزخرفية ، قوام زخارفه أوراق متفتحة تبرز من دائرة مركزية في اتجاه الأقطار وتحصر بينها أوراق أخرى مطولة ويسودها اللون الأحمر الطوي والأزرق الغامض ولمسات من الأصفر على أرضية بيضاء. ونجد في مركزها دائرتين تحيط بهما وردة تحتوي على ثماني فصوص.

- و(الشكل 11) هو عبارة عن بلاطات خزفية متواجدة في عدة أماكن من المدرسة والضريح (في ضريح خدوجة بنت عبد الله - جدران المقبرة - رواق مدخل المدرسة) ، يحوي أربعة أزهار أكانتس مركزية متقابلة تعلوها زهرة خماسية الفصوص وفي أركانه الأربعة نجد أربعة أفواس متقابلة وعلى جانبيها عناقيد العنب.

- أما(الشكل 13) وهو عبارة عن بلاطات خزفية متواجدة في بعض الأضرحة ، يتألف مركزه من عناصر نباتية تتمثل في أوراق وسيقان ، متواجدة داخل إطار على شكل مربع وكذا لفائف نباتية في الزوايا.

- (الشكل 14) عبارة عن بلاطات خزفية متواجدة في بعض الأضرحة ، قوام زخارفها دوائر وأوراق ثلاثية مفصصة وأشكال ملتوية مرسومة باللون الأزرق والبنفسجي على أرضية بيضاء ، كما نجد بها أغصان وسيقان رئيسية بفروع نباتية ثانوية متداخلة فيما بينها ، أعطى التصميم العام ميزة التنسيق التام التي تدعوا إلى الإعجاب بمقدرة الفنان وتحكمه في العناصر .

لقد تنوعت الموضوعات النباتية في زخارف بلاطات المدرسة والمقبرة من أزهار وأوراق وسيقان وثمار بمختلف أنواعها رسمت بأوضاع مختلفة وألوان مغايرة تبعا للمصدر الذي أنتجت منه :

1- الأزهار : تعد الأزهار من العناصر الأساسية عند الفنان العثماني لأنه وجد في زهور ونباتات بلاده مصدرا غنيا يأخذ منه عناصر أسلوبه الجديد ، إذ من العناصر المفضلة لدى العثمانيين والتي أكثر من استعمالها ، وتمتاز بلاطات هذه المدرسة بالتنوع وتشتمل أزهار القرنفل واللالة وأزهار بسيطة بالإضافة إلى أزهار أخرى مختلفة الأنواع وكذا الورود.

أ- زهرة اللالة Tulipe :

استخدم العثمانيون زهرة اللالة في مختلف الفنون الزخرفية وهي زهرة الخزامي التي ظهرت في القرنين 12-9هـ/15-18م ، وقد استخدمت بكثرة في موضوعاتهم الزخرفية خاصة على الخزف في عهد السلطان أحمد الثالث (1703-1730م) (1).

وقد حافظت هذه الزهرة على مكانتها حتى ظهور أسلوب الباروك والروكوكو الذي غزى الفن العثماني. إذ رسمت بأسلوبهم التقليدي وأصبح يطلق عليه اسم الباروك التركي (2). ثم انتقلت إلى أقاليم الدولة العثمانية من بينها الجزائر ، إذ يتضح ذلك في الفنون الزخرفية المطبقة على مختلف المواد في تلك الفترة ، كما انتقلت إلى مختلف الدول الأوروبية عن طريق هولندا ، وقد ذكر المؤرخ التركي أرسفان (Arceven) قصة دخولها إلى أوروبا.

عرف عهد السلطان أحمد الثالث بعصر زهرة اللالة ، ولقد فسر أرسفان سر اهتمام الأتراك العثمانيين بهذه الزهرة لما تحمله حروفها من تماثل مع حروف اسم الجلالة "الله" إضافة إلى جمال شكلها وعطر رائحتها (3).

(1) - محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974 ص53.

(2) - زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ج3 ، ص150-151.

(3)-Arseven (C.E), Les arts décoratifs turcs,Ankara , S.D, p.88.

تمتاز زهرة اللالة في بلاطات المدرسة الكتانية والمقبرة العائلية لصالح باي بأسلوب طبيعي ومحور ، ولعل أجمل البلاطات المتضمنة للالة (الشكل 16-21) وقد رسمت بأسلوب امتاز بالتحوير الشديد . ورسمت في (الشكل 23) بأسلوب محور عن الطبيعة وهذا النوع مجلوب من تونس ، وجاءت كعنصر زخرفي ضمن التصميم العام للتجميعية (الشكل 24)

ب- زهرة القرنفل Oeillet :

والتي يجهل موطنها الأصلي وتاريخها غامض بسبب نقص الوثائق التي يمكن الاعتماد عليها ، ويحتمل أنما جاءت من الصين أو إيران (1).

أحب العثمانيون زهرة القرنفل وهي النوع الوحيد من الأزهار التي نافست زهرة اللالة واحتلت نفس المكانة التي احتلتها عندهم ، ويمكن تعليل ذلك لسهولة تشكيلها وخضوعها للتحوير بطريقة زخرفية ، كما يمكن الحصول على أشكال مختلفة بفضل شكل أوراقها وبتلاتها (2) (الشكل 25)

اقتبس الأوروبيون هذه الزهرة من المنتجات العثمانية بفضل العلاقات التجارية بينهما وعم انتشارها واستخدامها في الفنون الزخرفية الأوروبية بالقرن 18م خاصة منها البلاطات الخزفية التي تزدان بها المدرسة الكتانية . ورسمت زهرة القرنفل بهذه المربعات بأشكال مختلفة ، تعود كل لمصنع معين إذ أننا نجد في المربعات الإيطالية مرسومة بأسلوب أوروبي ، شكلها غليظ مرسومة بأجزائها الخمسة وهي تحتوي على خمس بتلات أو أكثر (شكل 19-23) .

كما ظهرت في صورة تختلف تماما عن الوصف الأول إذ رسمت بحجم كبير ، تعددت فيه البتلات فتقدر بعشرة تنمو من سويقة على شكل ورقة كأسية مفصصة (شكل 19) و (اللوحة 30).

ج- الورد La Rose :

إذ نجدها متفتحة الشكل قريبة من الطبيعة في المربعات الإيطالية (شكل 16) (اللوحة 29).

د- الأزهار المفصصة :

هي أكثر أنواع الأزهار استعمالا في زخارف بلاطات المدرسة والمقبرة ، نجدها في الغالب كمركز للتجميعية ، إذ يقوم عليها الموضوع.

(1)-Arseven (C.E), Op.cit, p.88.

(2) — حسن حمودة القاضي ، فن الزخرفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1972ص84.

هناك مجموعة من البلاطات تتماثل فيها الأزهار المفصصة من حيث الشكل واللون (اللوحة 30) ، يعتبر هذا النوع من زخارف عصر النهضة⁽¹⁾. أما النوع الثاني فنجدته في (الشكل 29) وهي شبيهة بالنوع الأول ولكن بدرجة أقل من الإتقان وهي تتوسط شكلا هندسيا.

1- الأوراق :

جزء لا يتجزء من الزخرفة النباتية لأنها ترتبط بشكل مباشر بالسيقان والفروع النباتية التي تعد الهيكل العظمي أو العمود الفقري للموضوع الزخرفي ، وتنفذ بطريقة مناسبة لتشابك السيقان والفروع وامتدادهما وتداخلهما.

واقتصرت وظيفتها بصفة عامة في ملئ الفراغ ، ونجدها مرسومة بأسلوبين طبيعي ومحور، وبالنسبة للنماذج التي تجاوزتنا فقد تعددت أشكال الأوراق البسيطة والمركبة (شكل 18) ممثلة عموما بشكل مسنن أو مفصص ورسمت في بعض الأحيان بشكل زهرة الفل كما شبهها أرسفان⁽²⁾. إذ تظهر بتلاتها في شكل وريقات أو أجزاء مفصصة أو مدببة الرأس (شكل 23) ، ومن بين أبرز الأوراق :

أ- ورقة الأكانتس :

تعد من العناصر النباتية التي اقتبسها المسلمون من الطراز الإغريقي ، واستخدمت في الفن المسيحي في سوريا ومنها انتقلت إلى مصر في العصر القبطي⁽³⁾. كما استخدمت في زخرفة الأفاريز والتيجان⁽⁴⁾. لقد أخذت هذه الورقة في عصر النهضة مكانة خاصة في الزخرفة وبلغت درجة من التحوير ، حيث رسمت متسعة وغنية بالفصوص⁽⁵⁾.

(1)- عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية ، ص272

(2)-Arseven (C.E.), Op.cit, p.70.

(3) – نعمت إسماعيل ، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ، دار المعارف ، مصر ، 1974 ، ص34-35.

(4)- Bouillt(M.N.) , Dictionnaire universel des sciences des lettres et des arts
librairie de I.hachette el cle , Paris , 1875,p.7.

(5)-Rouaix (P.) ,Dictionnaire des arts decoration , librairie illustrée , Paris ,S.D

لم يستعمل العثمانيون أوراق الأكانتس في زخارفهم إلا بعد دخول التأثيرات الأوروبية على الطرز التركية في القرن 18م⁽¹⁾.

من بين التصميمات في بلاطات المدرسة ، التي تعتمد زخارفها على ورقة الأكانتس كعنصر بارز تجميعات تنسب إلى إيطاليا (شكل 18)⁽²⁾ ، جاءت فيها على هيئة مربع ، ورسمت كثيرة الفصوص ومتسعة ، ويمتد اتساعها لتؤلف أجزاء أخرى منها في التجميعية ، وفي منتصف أضلاع نفس التصميم رسمت أوراق أكانتس أخرى جاءت محورة وذات فصوص استعملت هذه البلاطة في عدد كبير من المباني الجزائرية إذ نجده في قصر خداج العمياء وبقصر عزيزة وبالجامع الكبير بقسنطينة⁽³⁾ ، كما نجده في زخرفة البلاطة (شكل 24-23) ورسمت أشكال أخرى لأوراق الأكانتس المحورة.

ب- أنصاف المراوح النخيلية :

يعتبر الساسانيون أول من استخدم المراوح النخيلية وأنصافها في زخارفهم ، ثم اقتبسها المسلمون وقاموا بتطويرها حتى بلغت درجة عالية من الإتقان ، ومنها ابتكروا زخرفة التوريق⁽⁴⁾ . إن أمثلة هذه الزخارف نجدها في (الشكل 16-20-23) ، حيث جاءت على هيئة لفائف ورقية تمثل إطارا للموضوع الزخرفي ، رسمت الأوراق بشكل حلزوني ملتف ويبدو عليها الطابع الزخرفي المحور المتأثر بأسلوب الباروك⁽⁵⁾ .

استنادا إلى ما سبق فإن التشكيلة اللونية التي تقوم عليها زخارف هذه البلاطات من الأزرق ، الأخضر والبي فإننا ننسبها إلى إيطاليا وبالتحديد إلى صقلية التي اشتهرت في القرن 18م بالزخارف النباتية والمراوح ، كما نجد أنصاف المراوح النخيلية في زخارف بلاطات عديدة رسمت بشكل وحجم مختلف وتتخذ هيئة حرف الواو . ويمثل نصف العنصر المسمى قوس السهام الذي انتشر في زخارف بلاطات إيطاليا في عصر النهضة⁽⁶⁾ . (اللوحة 34) .

(1)-Arseven (C.E.), Op.cit, p.70.

(2)- Broussaud (G.), Les carreaux dépeints dans l'Afrique du nord , collection centennaires ,Alger ,1830 ,p.61.

(3) – عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية ، ص153.

(4) – نعمت إسماعيل ، المرجع السابق ، ص35.

(5) – محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص55.

(6) – قوس السهام : عنصر زخرفي استعمل بكثرة في الفنون في عصر النهضة بإيطاليا واستمر بعد ذلك ويجزء هذا العنصر على يد المخرفين إلى نصفين ، كل نصف يشبه حرف الواو العربي .
- أنظر : عبد العزيز لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية.

3- السيقان :

للسيقان أهمية بالغة في تكوين الزخرفة النباتية ، فمنها تنمو الأزهار والأوراق وتملاً الفراغات ، وأحسن دليل أن المؤرخ التركي كان يسمي الموضوع الزخرفي بعدد السيقان المستعملة فيه ، نجد ضمن العناصر النباتية لزخارف بلاطات المدرسة أمثلة قليلة للسيقان ، وغالبا ما تكون عبارة عن خطوط متدللية ، تبرز منها الأوراق وأزهار مختلفة ، وجاءت هذه السيقان كعنصر ثانوي للتصميم العام للتجميعة (اللوحة 30) ، تتصل فيه السيقان بأضلاع التجميعة بأنصاف أزهار مفصصة . وفي بلاطات أخرى (شكل 11-13) تنمو الأزهار والأوراق النباتية من هذه السيقان.

4- الثمار :

يوجد نوع واحد فقط من الثمار بزخارف بلاطات المدرسة الكتانية لم تتمكن من تحديد نوعه بالضبط وذلك لأسلوب التحوير الذي رسم به ، ويوجد هذا النوع داخل أشكال بيضوية ، تنمو على هيئة ثلاث حبات بشكل هرمي من سيقان ثانوية تخرج من الساقين الرئيسيين المتداخلين . رغم التحوير الشديد لهذه الثمار فإننا نشبهها بحبات الملوك (الكرز) (شكل 11).

5- الأشجار :

لقد كثر استعمال الأشجار كعنصر زخرفي على الزرابي والتطويز والبلاطات الزخرفية وتظهر الأشجار غالبا بأجزائها الرئيسية (الساق - الفروع - الأوراق) ، غير أننا وجدنا نوعا واحدا من الأشجار متواجدة في أحد الأضرحة المجهولة وهي شجرة السرو⁽¹⁾ ومرسومة في شاهد (القدمين) في ضريح رخامي بأسلوب الحفر الغائر . لقد شاع استخدام هذه الشجرة في الفترة العثمانية ، وكان هذا الشجر يمثل في القدم يمثل رمزا جنائزا ، إذ كان مخصصا لآلهة الأموات ولذا ظهر على بعض المباني الجنائزية ، وكانت تغرس أغصان من الصرو أمام المنازل الخاصة بالموتى إلى غاية يوم دفن الأموات.

وظهرت شجرة الصرو عند الإيرانيين ، حيث ظهر على تحفهم الفنية خاصة منها الزخرفية ولقد أحب العثمانيون هذا النوع من الأشجار ، يعرف بالتركية بإسم (Selvi) حيث كثر غرسه في المقابر وذلك لما يحمله من رائحة طيبة لمنع الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى . فهو رمز الخلود في عقيدتهم لبقاء خضرة أوراقه طوال أيام السنة⁽²⁾ ، وخاصة وأن اللون الأخضر هو اللون المفضل لدى المسلمين وهذا ما سناه في تحليل الألوان.

(اللوحة 36)

(1) - السرو : عبارة عن شجر مخروطي الشكل من النوع الصنوبري يمتاز بطوله واخضراره طوال أيام السنة.

(2) - سعاد ماهر ، الخزف التركي ، ص75.

3- الزخارف الهندسية :

عرفت الزخرفة الهندسية الإسلامية بتنوعها وثرائها التشكيلي ، باعتبارها عنصر أساسي من عناصر الزخرفة الإسلامية فاقت كل الفنون التي سبقتها في التنوع الذي عرفته .

وتتكون الزخرفة من الخطوط بأنواعها المختلفة ، مستقيمة ومنكسرة ومنحنية ومظفرة ، كما تتكون من أشكال مساحية من مربع ومستطيل ومعين ومثلث ودائرة وأشكال بيضوية إضافة إلى العقود بأنواعها المختلفة ضف إلى ذلك الأطباق النجمية والأشكال المضلعة⁽¹⁾ .

احتلت هذه الزخرفة مكانة رئيسية في الفن الإسلامي ، إذ أصبحت من العناصر المميزة للزخرفة الإسلامية⁽²⁾ . واستعملت في انسجام مع تفاصيل زخرفية أخرى منها نباتية وكتائية برع الفنان المسلم في تنوع الأشكال الهندسية وتركيبها وتعقيدها على أسس وقواعد علمية تدل على درايته بعلم الهندسة .

لقد اقتبست الفنون الأوروبية الرسوم الهندسية الإسلامية في منتجاتها ، وكان التأثير الإسلامي عليها واضحا ، واتجهت الزخرفة الهندسية اتجاها جديدا لم يكن مألوفاً من قبل بفضل أسلوب الباروك الذي ظهر في القرن 17م ، حيث اعتمد فيه الفنان الأوروبي على الخطوط المنحنية والحلزونية⁽³⁾ .

تتميز الزخارف الهندسية في بلاطات المدرسة والمقبرة سواء كانت بلاطات أوروبية أو تونسية بالعنصر الهندسي المركزي الذي يتوسط التجميعية القائمة على أساس عناصر نباتية من أوراق وسيقان وأزهار .

إن الأسلوب الهندسي في مجموعة البلاطات التي تكسوا حوائط المدرسة لا تؤلف موضوعاً زخرفياً مستقلاً بذاته لأنها تشترك مع المواضيع الأخرى الكتابية والنباتية والحيوانية ويظهر ذلك في حوائط الأروقة المحيطة بالصحن (اللوحة 37)، إلا أننا نجد بلاطة واحدة تنفرد بأسلوبها الهندسي في قاعة التدريس وهي عبارة عن مثلثين متقابلين مختلفي الألوان من الأبيض والأخضر (شكل 9) و (اللوحة 38).

وتتألف زخارف (الشكل 18) المصنوعة من البلاطات الخزفية والمتواجدة في المقبرة من دائرة مركزية محاطة بعناصر مقوسة على هيئة أقواس السهام وأنصافها بداخل دائرة أخرى غير منتظمة ويتخذ الشكل العام على هيئة مربعين غير منتظمين جدداً بخطوط مقوسة وعناصر أقواس سهام وأنصافها ، ويبرز من أضلاع المربع الخارجي في اتجاه الأركان سلال ملئت بأوراق وثمار البرتقال ، وزهرة بسيطة وذلك باللون المتدرج بين الأحمر البرتقالي والأصفر الذهبي والأخضر ، ويعتبر عنصر السلال وأقواس السهام وأنصافها من عناصر النهضة بإيطاليا⁽⁴⁾ .

(1) - عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية ، ص255.

(2) - أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص115.

(3) - محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص55.

(4) - عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج ، ص272.

- أما (الشكل 19) المصنوع من البلاطات الخزفية والمتواجد في جدران المقبرة ، فقوامه حلقة نجمية مركزية تحيط بها دائرة وبالأركان أزهار قرنفل محورة تتصل ، بها عناصر ورقية بسيطة حلزونية الشكل زينت باللون الأصفر والأزرق على أرضية بيضاء في الداخل وللون الأزرق الفاتح على أرضية خضراء شاحبة في الأركان ، لقد رسم تصميمها العام بأسلوب الروكوكو الأوروبي مع الاحتفاظ بالأسلوب التركي مثل زهرة القرنفل المأخوذ أساسا من زخارف أسلوب عصر النهضة (1).

- وفي (الشكل 18) المصنوع من البلاطات الخزفية والمتواجد في جدران المقبرة ، نجد عنصر المربع يحلي تجميعية أخرى بطريقة متداخلة غير منتظمة تتراجع أضلاعه إلى الداخل في حين تمتد أركانه إلى الخارج ليحف بكل ركن منه ورقة أكانتس محورة وتحيط بالعنصر المركزي خطوط مقوسة متصلة ببعضها بطريقة تألف شبه مربع آخر مرسوم بمقياس كبير غير منتظم الأضلاع ، بدورة تبرز من أركانه أوراق مفصصة خماسية .

- (والشكل 21) مرسوم على البلاطات الخزفية وهو متواجد في معظم أروقة المدرسة وهو عبارة عن تجميعية من أربع بلاطات تتألف زخارفها من دائرة مركزية محاطة بمعينات تحتوي على خطوط تكون شكل أقواس تألف دائرة ، وزعت بها دوائر صغيرة في كل اتجاه وفي الزوايا خطوط منكسرة نفذت باللون الأسود على أرضية بيضاء.

- وفي (الشكل 20) مرسوم على البلاطات الخزفية وهو متواجد في الجدار الجنوبي الشرقي للمقبرة المطل على الصحن ، نجد زخارف مؤلفة من تجميعية ذات خطوط منكسرة باللون الأصفر وفي زواياها الأربعة أقواس متناظرة تتوسطها دوائر وأحيانا تعلوها ، نفذت على أرضية بيضاء حيث نجد قوسين أبيضين وآخرين أخضرين ، في الشكل لدينا معين زواياها الأربعة على شكل تاج.

- (والشكل 11) يتمثل في بلاطات خزفية متواجدة في المقبرة العائلية ، يمثل تجميعية من أربع بلاطات تتوسطها نجمة بداخلها خطوط ، في أركانها الأربعة أقواس متقابلة ومتناظرة تتوسطها دوائر على شكل زهرة ، وسط هذه الأقواس نجد خطوط مستقيمة وعلى يمينها ويسارها توجد دائرة يتوسطها هلال.

- أما (الشكل 13) يتمثل في بلاطات خزفية متواجدة في بعض الأضرحة وزخارفه عبارة عن خطوط تشكل لنا معين جوانبه الأربعة تتخذ شكل رقم ثلاثة مقلوب داخل خطوط صغيرة منحنية.

من مجموع تلك البلاطات الخزفية لم تمثل الزخرفة الهندسية موضوعا قائما بذاته إلا في (الشكل 11) وتتمثل أنواع هذه الزخارف فيما يلي :

(1) - عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية ، 78.

1- الخط :

عنصر زخرفي و هو العنصر الأساسي في تكوين الوحدات الهندسية ومن مجموع البلاطات التي تزين المدرسة والمقبرة لم تمثل الخطوط بأنواعها زخارف قائمة بذاتها ، وقد تنوعت الخطوط في هذه البلاطات وأكثرها استعمالا :

أ- الخط المستقيم :

استعمل في بعض التجميعات في تقسيم العناصر الهندسية منها المضلعات والدوائر ، ففي (الشكل9) نجد أن الخط يقسم البلاطة إلى نصفين متساويين ، كما نجد هذه الخطوط في (الشكل11) داخل العناصر النباتية ونجدها ظاهرة للعيان في (الشكل 12) وهي عبارة عن خطوط مستقيمة تقسم البلاطة إلى مستطيلات صغيرة.

ب- الخط المتموج :

يوجد في أمثلة قليلة ، و نجده في البلاطة (شكل20) وجاءت على شكل هندسي وسط البلاطة .

ج- الخط المقوس :

رسمت هذه الخطوط في بلاطتين ، جاءت على شكل مربع غير منتظم وشكلت خطوطه التحديدية بعناصر نباتية⁽¹⁾ في (الشكل23) ، وكذا في (الشكل 18) وتنسب هذه البلاطة -18- إلى إيطاليا⁽²⁾ ، ولقد اقتبست الخطوط المقوسة في العمارة الكلاسيكية ذات الزخارف القالبية الإغريقية⁽³⁾ .

2- الأشكال المساحية :

قليلة في زخارف بلاطات المدرسة والمقبرة ، وتشتمل على المربعات والمثلثات والدوائر وأنصافها وكذلك العناصر البيضوية :

أ- المربعات :

يمكن تحديد كل أشكال المضلعات المختلفة من المربع بفضل ترتيب أضلعه التي تسمح بإبداع أشكال كثيرة ومختلفة⁽⁴⁾ .

(1) - عن الخطوط الزخرفية أنظر: حسن علي حمودة ، فن الزخرفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1972 ، ص ص 14-16 .

(2) Broussaud (G.) , op.cit ,p061.

(3) - أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص116.

(4)- Humbert (C.), Islamic Ornamental dessing ,office de liver , fribring 1980,p.23.

نجد عنصر المربع في إحدى التجميعات التي تزين (الشكل 21) ، و جاء على هيئة متداخلة و أضلاعه غير منتظمة (شكل 18) ، كما شكلت الخطوط المقوسة لنفس التصميم شبه مربع تنتهي أركانها بأوراق مفصصة . هذا النوع عرف انتشارا واسعا في المباني الدينية والمدنية بالجزائر ، كقصر مصطفى باشا وقصر حسن باشا⁽¹⁾ ، وتنسب هذه البلاطات إلى إيطاليا⁽²⁾.

و في تجميعات أخرى يقوم الموضوع الزخرفي على مربع مركزي (شكل 21-19).

ب- المثلثات :

من ضمن التصميمات التي تعتمد على المثلث كعنصر زخرفي قائم بذاته ما نجده في بلاطات (الشكل 9). كما نجد في البلاطة (شكل 11) معين مشكل من مجموعة من المثلثات.

ج- الدوائر :

تعطي الدائرة عند تقسيمها أشكال أخرى كالمربعات والمثلثات ، فقد جاءت الدوائر في أغلب البلاطات التي تزخر في المدرسة والمقبرة بحيث تقوم كعنصر مركزي للتجميع ، و يقوم على أساسها التصميم الزخرفي العام (شكل 11-16-23).

3- الأشكال المضلعة :

جاءت في زخارف البلاطات ، وهذه الأشكال عبارة عن :

- النجوم :

ونجدها في مثالين (شكل 11-18) ، و هي عبارة عن شبه نجومات متكونة من أربعة رؤوس ففي البلاطة المستوردة من إيطاليا في (الشكل 18) نجد هذه النجمة مكررة خمس مرات ، أما (الشكل 11) فهي عبارة عن نجمة رباعية الرؤوس شكلها قريب من المعين.

(1) - عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية ، ص148.

(2) - Humbert(C.),op.cit , p.23.

4- الزخارف الحيوانية :

تعتبر الزخارف الحيوانية في الفترة الإسلامية قليلة مقارنة بالفنون القديمة حيث لم تستعمل إلا في نطاق ضيق وبأسلوب محوري ، يرجع السبب في ذلك إلى كراهية الإسلام لتصوير الكائنات الحية وفقا لما جاء في بعض الأحاديث الشريفة .

لم يرد هذا النوع من الزخارف إلا في بلاطة واحدة تكسو جدران الأروقة في الطابقين الأرضي والأول وتمثل هذه الصورة في كلبين ينقضان على حيوان آخر لا تبدو ملامحه بسبب التحوير ، وقد أضفى عليها الفنان بعض الواقعية على رسوم الكلاب المنفذة على هذه البلاطة مما جعلها في وضع حركة ، حيث قام بتقديم بعض أرجل هذه الكلاب وتأخير أخرى ، مع مراعاة النسب التشريحية في رسوم الكلاب في الأجزاء السفلية والعلوية وقد استعمل الفنان اللون الأبيض لتلوين أجساد الكلاب ، كما نقطها باللون الأسود (الشكل 21).

5- الزخارف الرمزية :

تعتبر العناصر الرمزية فنا قائما بذاته إذ شاعت منذ القدم في المجالات الدينية والأدبية وهي تشكل للتعرف على الأشياء المعنوية وتجسد على صورة تمثال أو إشارة أو علامة أو نحو ذلك مما يدل على المعنى. وقد وجدت الرموز الأولى على الآثار الصينية حيث كانوا يجهلون علم الكتابة إذ اصطالحوا إشارات خاصة تدل على أمور تاريخية أو معنوية ، وتعتبر العقد أول الرموز التي استعملت فكانوا يعقدون الخيوط أو الحبال على هيئات مختلفة وكانت تستعمل في الحسابات المختلفة⁽¹⁾ ، ومن خلال زيارتنا للمدرسة والمقبرة الكتانية لاحظنا قلة العناصر الرمزية ونجدها متمثلة في :

أ- القلب :

الذي توسط كل ضلع من المربعات الهولندية وهذا الأخير يرمز إلى الحياة والاستمرار وحيوية الزخارف بالنسبة للفنان الأوروبي . وقد رسم القلب ضمن عناصر هندسية جامدة يبدو كأنها زهرية شديدة التحوير ، لهذا فقد وجد الفنان في رسم أشكال القلوب نوعا من إزالة تلك المسحة الهندسية الجامدة عن موضوع الشكل.

ب- الهلال :

ظهر عنصر الهلال في الفن الجزائري كعنصر فلكي رمزي ، ونجد الهلال كعنصر لا يستغني عنه في زخرفة المباني الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني إضافة إلى إستعماله في تزيين العديد من التيجان⁽²⁾ . أما في المدرسة والمقبرة فقد استخدم في تيجان الأعمدة المطلة على الصحن في الطابقين الأرضي والعلوي وكما نجده في بوابة المقبرة إضافة إلى وجوده في شاهد قبر صالح باي (اللوحة 39) ، لقد ظهر عنصر الهلال منذ القديم كشعار عقائدي عند البيزنطيين ، أما في الفن الإسلامي فأقدم نماذجه ترجع للفترة الأموية حيث ظهر على السكة العربية الساسانية أيام عبد الملك بن مروان 75هـ/695م . إضافة إلى ظهوره كزخرفة في قبة الصخرة 72هـ/691م ، وتواصل نقشه في السكة العباسية أيضا⁽³⁾ . أما بالنسبة للدولة العثمانية فقد تبنته كشعار رسمي لنظامها وكذا الأقاليم التابعة لها كالجزائر حيث نجده في منشآت مختلفة من العمارة الدينية والمدنية مثل شواهد القبور وكذا التيجان وغيرها⁽⁴⁾ .

(1)- بطرس البستاني ، الرمز ، عن دائرة المعارف ، مجلد8 ، مطبعة المعارف ، بيروت لبنان ، 1988 ، ص688.

(2)- خيرة بن بلة ، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2007-2008 ، ص369.

(3)- عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص54.

(4)- علي خلاصي ، المرجع السابق ، ص342-343.

والهلال هو رمز السلطة الإسلامية حيث جعل المسلمون الهلال رمزا للإسلام في مقابل الصليب الذي اتخذه المسيحيون رمزا للمسيحية ، كما كانوا يستبدلون الصليب بالهلال عند كل فتح لمنطقة جديدة حيث كان المسلمون يستعملون الهلال في الحساب القمري وبه يستدل على بعض التواريخ كالحج وبداية ونهاية شهر رمضان. إن الهلال في الإسلام هو رمز للانبعاث والقيامة ، أما مرافقته بنجمة في باب المقبرة هو رمز أو صورة للجنة⁽¹⁾ و نجد عنصر النجمة في (الشكل 22) و(اللوحة 40) في محراب قاعة التدريس وهي عبارة عن نجمة ثمانية داخل دائرة.

6 - الألوان :

يستعمل اللون لذاته ولقيمته الجمالية الخاصة بحيث أنه يؤثر على النفس فتحدث فيها إحساسات بعضها يوحى بأفكار تريحنا وتطمئننا والأخرى العكس ، إذ أنه يبعث في نفوسنا الفرح كما يبعث الحزن والكآبة⁽²⁾ . كما استعمل اللون استعمالا رمزيا أو لمحاكاة النموذج وإبراز طبيعته وحجمه في المكان ، و في أغلب الأحيان يكون استعماله بقصد تصوير الواقع⁽³⁾ .

و اللون الشائع في مربعات المقبرة و المدرسة هو اللون الأزرق ، و قد احتل المرتبة الأولى مقارنة مع الألوان الأخرى و نحن نعلم أنه لكل لون رمز ، فهذا اللون يذكر بالسماء ويوحى و يرمز للحكمة و التأمل⁽⁴⁾ . و قد كان اللون الأزرق لدى الحكام العثمانيين حيث استعملوه في أنسجتهم خاصة ألبسة الأمراء ، ونظرا لقيمة هذا اللون لديهم جسدت الدول الأوروبية هذا الذوق في المربعات الخزفية ، ويلي اللون الأزرق اللون المغنيزي الذي يرمز للعظمة و الحب و الحكمة ، لأنه مزيج بين الأحمر و الأزرق.

كما لا ننسى اللون الأبيض الذي يرمز للطهارة والنقاء ، أما اللونين الأصفر والأخضر فقد كان استعمالها قليلا فالأول يرمز للأمل والحياة والخصوبة والثاني يرمز للشمس والذهب⁽⁵⁾ .

(1)- Moreau(J.B) , les grands symboles mediterraneens dans la poterie

algerienne , Alger , 1977 , P.134.

(2)- حسن علي حمودة ، الفن والزخرفة ، الهيئة المصرية العامة للفنان ، 1976 ، ص95.

(3)-أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص105.

(4)- حسن علي حمودة ، المرجع السابق ، ص95.

(5)- Arseven (C.E.) , OP.CIT , p .90.

7 - شواهد القبور :

اهتم الإنسان منذ فترة ما قبل التاريخ بتشييد المدافن حيث وجدت أشكال مختلفة ومتنوعة واستمروا على ذلك في العصور القديمة فكان ابتكار العمارة الجنائزية عند المصريين وكذا الإغريق والرومان.

- كما انتشر أيضا استعمال شواهد القبور في ربوع العالم الإسلامي انطلاقا من المشرق في العصرين الأموي والعباسي ثم انتقل إلى المغرب مع العرب الفاتحين .

- ويرجح أن يكون شيوع استعمال شواهد القبور في العالم الإسلامي إلى أثر حركة السفر التي كانت نتيجة طبيعية لرغبة العرب ممن رحلوا عن ديارهم ونزلوا أرضا جديدة في التعريف بأنفسهم بعد الوفاة ، وهي رغبة كثيرا ما تتملك نفس المغترب (1).

- إن هذه الظاهرة استعملت عند العرب في الجاهلية (2) ، أما في المغرب فقد عرفت تأخرا في الظهور ، ويرى ليفي بروفنسال (Ivi provinsal) أن أهل المغرب رأوا في استعمالها خروجاً عن روح الإسلام فلم يهتموا بها ولم يكن في لهجتهم كلمة تدل عليها ، عكس الأندلسيين فقد اهتموا بها وأطلقوا عليها كلمة "التأريخ" .

وبالرغم من هذا الرأي إلا أن المغاربة عرفوا استعمال شواهد القبور منذ فترات قديمة ، فقد اكتشفت عدة شواهد قبور تعود للفترة الإسلامية المبكرة ، خاصة عصر الولاة وكذا عصر الأغالبة كما نجد شواهد عثر عليها في مراكش والقيروان وقلعة بني حماد (3).

إلا أننا نستطيع تحديد عامل انتشار استعمال الشواهد على مدى تحضر وتمدن الشعوب وتطورها الحضاري والثقافي والعقائدي والمذهبي الديني ، والرقعة الجغرافية الموجودة بها حيث أنها تنتشر أكثر في المدن والحواضر وتندعم في القرى والأرياف لطابعها البدوي (4).

الشواهد تقام عند رأس المدفون وهي عبارة عن ألواح مستطيلة الشكل ، كانت في بادئ الأمر تصنع من مادة الحجر البسيط ثم استبدلت فيما بعد بمادة الرخام والحجر الجيد ، وفي العصور الأخيرة استعملت مادة الخشب .

(1) - إبراهيم جمعة ، دراسات في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة ، دار الفكر العربي ، 1969 ، ص 83.

(2) - أقدم شاهد قبر جاهلي لامرئ القيس بن عمر المعروف بنقش النمارة ، مؤرخ في سنة 237م.

(3) - محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، د.ت ، ص 147.

(4) - عبد الحق معزوز ، تطور الخط الكوفي بالجزائر على الحجر والرخام والخشب والجص منذ القرن (2هـ/8م إلى 8هـ/14م) دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير ، 1995-1996 ، ص 290.

تثبت القطع الشاهدية في شكل عمودي يغرس ويغطي جزئها السفلي في التراب ، وهو خال من أية زخرفة ويبقى الجزء الأكبر فوق التراب بمأله الفنان بمختلف الزخارف وفي العهد العثماني أصبح الاهتمام أكثر بالشواهد فكان النص الكتابي ينقش على الوجه وهذا ما سنتعرض له (الشكل 39).

- لقد تنوعت الشواهد المتواجدة بمقبرة صالح باي ونجد منها :

أ- الشواهد المصنوعة من مادة الخشب : وهي على شكل دائري تغطيها من الأعلى ورقة أكانتس ومدعومة من الجهة السفلية بقطعتين من الخشب ، ويكون مغروسا في القبر ، وأحيانا نجد شاهدين في القبر الواحد (واحد في الرأس وآخر في القدمين).

ب - الشواهد المصنوعة من الجص : ولها نفس شكل الشواهد الأولى ، ولكن الاختلاف في مادة الصناعة .

ج- الشواهد المصنوعة من الرخام وهي على نوعين :

1- ذات الشكل المستطيل : وتنتهي بهلال ونجدها في شاهد واحد ، وهي عبارة عن ألواح مستطيلة تضيق في الأعلى ليتوضع عليها الهلال ، زخرفت جوانب بعض هذه القطع بشريط زخرفي . ونقشت النصوص الكتابية داخل خراطيش مدببة الجوانب . (اللوحة 39) .

2- ذات العمامة : هذا النمط يختلف عن بقية الأنماط الأخرى ، حيث نحتت هذه المجموعة من مادة الرخام فقط في شكل أعمدة مضلعة أو أسطوانية ، يحمل كل عمود فوكة عمامة مزخرفة بطيات مائلة أو أفقية متوازية ، ونجد هذا النمط يتكون من قطعتين مركبتين ، تنحت كل واحدة على حدا ثم تلتصق مع الأخرى ، فالبدن ينتهي في الأعلى برقبة أسطوانية بارزة ، توضع عليها العمامة بعد أن ينقش تجويف على هذه الأخيرة (الشكل 31).

- العمود الأسطواني هو أول وأقدم شاهد عثر عليه بضواحي بسكرة ، عرف هذا النوع استعمالا واسعا وازدهارا كبيرا في القيروان أثناء الحكم الزيري (1) ، وبعدها اختفى في العصور اللاحقة ليظهر ثانية على شكل أعمدة مضلعة تحمل عمامة .

إن العمامة أهم أغلبية الرؤوس في العالم الإسلامي وأكثرها انتشارا إذ لا تخلوا دولة إسلامية من لبس نوع أو أكثر من العمام (2) ، لدرجة أنها كانت تعد لواء لإرهاب العدو وذلك قبل مجيء الإسلام (3) .

(1)- خالد مولود ، النقائش و الكتابات العربية "النقائش العربية بإفريقيا وتطورها من القرن الثالث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس هجري" ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، تونس ، 1988 ، ص ص 39-52 .

(2)- اللواء إبراهيم فحام ، أغلبية الرؤوس في العالم العربي ، عن "مجلة الدوحة" ، ع 81 ، قطر ، 1982 ، ص 116 .

(3)- زهير أحمد ، رايات العرب والمسلمين ، عن مجلة المورد ، العراق ، م 15 ، ع 3 ، 1976 ، ص 116 .

أما عن أصل العمامة فهو قديم ، إذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف بها وتعرف "بالسحاب" وبعد وفاته أعطاها للإمام علي كرم الله وجهه (1) .

استعملت العمامة في المغرب الإسلامي بعد استقرار الإسلام والثقافة العربية ، وكانت تلبس من طرف الرجال الذين لهم مكانة في المجتمع ، فكانت بمثابة علامة فارقة بينهم ، وفي القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي كان طلبة القيروان وأساتذتهم يلبسونها بكل فخر ، أما في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كان عبيد الله المهدي الفاطمي وأتباعه يضعون عمامات من الحرير تكون من نفس لون اللباس (2) .

أما عن العمامات التي كان يرتديها الرجل الجزائري في العهد العثماني فكانت عبارة عن شريط طويل وضيق من نسيج الكتان أو الحرير تبين مكانة لابسها الاجتماعية ، فكانت تلبس من طرف الحكام والأغنياء والعلماء والفقهاء ، وتختلف عمامة الحكام نوعا ما عن عمامات الآخرين ، إذ كانت مسطحة قليلا وهي عبارة عن لفائف أسطوانية الشكل تلف حول الشاشية الحمراء اللون . أما ذوي المراكز العالية فيلبسون عمامات مجهزة مسبقا تكسي الرأس دون أن تغطي الرقبة ، ويكون النسيج الذي يغطي الشاشية ملفوفا بطريقة التطابق الأفقي بحيث تظهر هذه الأخيرة من فوق (3) .

(1)- Dozy , Op.cit , P.305.

(2)- Marçais (G) , les costumes Musulman d'Alger collection du centeaue , 1983
P . 77.

(3)- محي الدين طالو ، الرسم واللون ، مكتبة الأطلس ، دمشق ، 1961 ، ص276.

الفصل الثالث :

الدراسة التحليلية

الفصل الرابع : مواد البناء وطرق الزخرفة

I - مواد البناء وطرق تنظيمها واستخداماته

1- الرخام .

2- الجص.

3- الحجارة.

4- الملاط.

5- الآجر.

6- القرميد .

7- الخشب .

8- المعادن :

أ- النحاس.

ب- البرونز.

ج- الحديد.

II - أساليب الزخرفة وتقنياتها .

1- تقنية الحفر أو النحت .

أ- الحفر البارز

ب- الحفر أو النقش الغائر

ج- الحفر على الجص .

2- الزخارف القالبية .

3- النحت على الرخام

4- تقنيات الزخرفة على الخشب .

أ- الحفر على الخشب.

ب- طريقة التجميع والتعشيق.

5- الطلاءات التلوينية (الزخارف بالطلاء).

أ- طلاء الزليج.

ب- تلوين الزجاج .

ج - طلاء الجدران بالجير .

د- طريقة تلوين الخشب.

استعمل العصر العثماني مواد بناء متنوعة في تشييد المؤسسات الدينية أو المدنية أو العسكرية ، ولذلك كان الاهتمام شديدا بمواد البناء التي تنوعت واختلفت باختلاف المنشآت المستعملة فيه ، وكانت مواد البناء التي شيّدت بها مدرسة صالح باي ومقبرته العثمانية هي نفس المواد المستخدمة في نفس العصر وهي : الآجر والرخام والنحاس والبرونز والحديد بالإضافة إلى المواد الطينية المتحولة كالأجر والخزف والزليج والملاط والخشب والنحاس.

1- مواد البناء وتقنيات استعمالها :

1- الرخام :

وهو مادة قيمة لعبت دورا معماريا وزخرفيا هاما في المغرب الأوسط والأندلس منذ فترة مبكرة⁽¹⁾. رغم صلابه المادة فإنه يعتبر من الأحجار الكريمة ، فهو يتميز بالقوة والصلابة وجمال المظهر ونظارة اللون وهو فوق ذلك شديد المقاومة للضغط والتأثيرات المناخية.

تتكون هذه المادة في الطبقات السفلى للأرض ، وهو عبارة عن صخرة مبتكرة ، ونجد الرخام مصنفا بين الحجاره الكلسية الكثيفة ولونه غالبا ما يكون ناصع البياض . وقد تنوعت ألوان الرخام كأن تكون وردية ، صفراء أو سوداء⁽²⁾.

كان الرخام يستخرج من المحاجر على شكل كتل مختلفة الأحجام تتعرض كلها إلى عملية التهذيب إما بالقرب من المعمل أو في عين المكان التي تستعمل فيه⁽³⁾.

إن أهم المراكز التي يتم استخراج مادة الرخام منها في الجزائر هي على سبيل المثال مقلع فلفلة بسكيكدة الذين استعمل في الفترة الرومانية ، كما نجد مقلع تيبازة ومقلع شنوة وهو لا يعد عن شرشال كثيرا⁽⁴⁾.

على الرغم من تواجد هذه المناجم ، فإن دايات الجزائر اضطرت لاستيراد هذه المادة لعدم تلبية الناتج المحلي لطلباتهم من إيطاليا وهولندا ، إضافة إلى ما يأتي عن طريق التبادل التجاري مع تركيا أو كغنائم حرب أو هدايا ، فقد كان المرمر يصل إلى الجزائر مصنعا نظرا للنفوذ الذي وصلته الجزائر آنذاك⁽⁵⁾.

وقد استخدم الرخام في العمارة المدنية حيث استعملت في أطر الأبواب وكذا في العناصر المعمارية المختلفة⁽⁶⁾.

(1) - ظهرت الكسوة الرخامية منذ فترة مبكرة في العهد الإسلامي ، فأقدم أمثلتها يرجع تاريخه إلى العصر الأموي ، وتشهد بعض أمثلتها بقبة الصخرة ، وتعكس طريقة حفر الزخارف في الرخام وتشكل عناصرها تقاليد بيزنطية واضحة المعالم والتي كانت سائدة بالمنطقة ثم خضعت بعد ذلك لقانون التطور.

-أنظر : زكية العربي راجعي ، الزخارف الجدارية في المغرب الأوسط (من بداية العصر الموحدى إلى نهاية العصر المريني) ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1993 ، ص27.

(2) - Dictionnaire Larousse , vol 2 , 1982 , P.1938.

(3) -Adam (J.P.) , La construction romane , Matériaux ,3eme édition , Paris ,1995 , P.231.

(4) - IBID , P.24.

(5) - Marçais (G.) , op.cit , P.448.

(6) - Jacques Revault , Palais et demeures de Tunis (xvIII et xIx) éditions du CNRS Paris _ VII _ 1983 , p .61.

لقد استفادت مدينة قسنطينة كغيرها من المدن الجزائرية في العهد العثماني من هذه المادة ووظفتها في عمارتها المدنية والدينية ، ونجد هذه المادة مستخدمة في المدرسة والضريح وذلك في قاعة التدريس وبالتحديد في أعمدة المحراب وكذا في السلم المؤدي إلى الطابق الثاني ونجده مستعملا بكثرة في شواهد القبور ، وقد صنعت منه أشكال متنوعة لشواهد القبور ، وهذا ما رأيناه في عمائم الأضرحة (الشكل 31) . فالرخام مادة ثمينة وجميلة وهو من أئمن المواد المستعملة في العمارة الإسلامية والمباني المدروسة نظرا لتعدد وظائفه في البناء الواحد سواء من الناحية الزخرفية التي تميزت بالأبهة والجمال أو من الناحية المعمارية والتي لها علاقة بالصلابة التي يعطيها للبناء.

- وتتم عملية تهيئة مادة الرخام عن طريق استجلاب المادة من المقالع أو المحاجر إلى الورشة في شكله وصورته الخام على هيئة كتل ضخمة تشبه المكعبات ، بعدها تأتي عملية المعالجة الأولية بقطع الكتل الرخامية إلى أشكال هندسية مختلفة حسب طبيعة الشيء أو العنصر المراد صنعه وتشكيله وذلك بواسطة منشار ، بعد تحضير الكتلة يرسم التصميم ، ولتحديد مواضع التقطيع يستعمل الصانع المرسوم أو أدوات خاصة كالمناشير الرسم المثقوب ويشرع في النحت بواسطة أزميل ومناقش ، وتكرر العملية كلما تلاشى الرسم تحت ضربات الإزميل حتى يحصل على الشكل المطلوب ، ثم تأتي مرحلة الصقل وهي مرحلة نهائية بعدها يتم الحصول على الشكل النهائي لهذه التحفة (1).

2- الجص :

لقد عرف المسلمون مادة الجص (2) منذ فترات مبكرة ، وكان ذلك بسبب احتكاكهم بالحضارات الأخرى ثم انتقل إليها ، حيث ظهر في قصر الحيرة الغربي في العصر الأموي ، كما برز كمادة أساسية في مدينة سامراء في العصر العباسي ، وابتكر المسلمون نوعا جديدا من الزخرفة بالجص هي التوريق أو الأربسك (3) ونشأ ما يعرف بطراز سامراء في الزخرفة ، وانتشرت بعدها هذه الطرز في مختلف بقاى البلاد الإسلامية (4)

(1) - حسن حافظ العلوي ، المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط ، تنسيق .محمد حمام ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 80 ، ص15.

(2) - الجص : هو نوع من أنواع الصخور يوجد في الطبيعة بصورة نقية جدا أو على شكل كتل كبيرة أو جبس رملي ، وقد حل الجبس طوال وجوده محل مواد أخرى سواء في الزخرفة أو البناء.

(3) - الأربسك : وهي الزخرفة العربية ، وهي عبارة عن تشكيل من الزخرفة النباتية قوامها عناصر نباتية ، كالفروع وأنصاف المراوح النخيلية والأوراق المحورة ، وتمتاز بالتشابك والتداخل.

(4) - Marçais (G.) , Op.cit , P.42.

استخدم المغاربة بدورهم مادة الجص في تكسية جدران مبانيهم لتكون أرضية للزخارف المختلفة ، وكذا لتغطية مادة البناء الخشنة ، ويستخدم الجص بسمك متنوع في تكسية الحوائط (1) واستخدمت في بلاد المغرب الإسلامي لأول مرة في جامع القيروان (2) ثم عمم استخدام هذه المادة في سائر بلدان المغرب والأندلس ، ويعتبر العصر المرابطي علامة بارزة لاستخدام مادة الجص في المغرب والأندلس ، ونجد أمثله في جامع تلمسان وجامع القرويين بفاس..، واستمر هذا الاستعمال في العصر الموحدى (3).

وقد شاع استخدامه أيضا في الفترة الزيانية والمرنية بتلمسان وأمثله كثيرة وأبرزها ما نجده في مساجد سيدي بلحسن وسيدي الحلوي وسيدي بومدين.

إن هذا الاستعمال لمادة الجص استمر في العصر العثماني واستعمل في العمارة الدينية والمدنية كتكسية جدارية للزخارف ، وأمثله كثيرة في العمارة العثمانية بالجزائر بصفة عامة وفي مدينة قسنطينة خاصة ، حيث استعمل كأرضية للزخارف في جامع الباي حسن وسيدي لخصر ، أما في العمارة المدنية فنجده قد استعمل في قصر أحمد باي . أما في المدرسة والمقبرة فنجده في محراب قاعة التدريس وكذا جدران المقبرة ، ونقشت عليه كتابات بأسلوب الحفر البارز ، كما نجد هذه المادة قد صنعت منها منطقة الانتقال من المثلث إلى المربع في قبة المقبرة كما نجده مستعملا في شواهد القبور. (اللوحة 15-22).

يذكر ابن خلدون عن الجص فيقول " ... ومن صناعة البناء ما يرجع إلى الترميق والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المحسمة من الجص يعمر بالماء ثم يرجع جامدا ، وفيه بقية البلبل فيشكل على التناسب تخريما بمثقاب من حديد إلى أن يبقى له رونقا.. " (4).

(1) – عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية (دراسة أثرية معمارية) ، ج 2 ، جامعة الجزائر ، 1997 ، ص 640.

(2) – نفسه ، ص 644.

(3) -Henri (T.), Sanctuaires et forteresses Almohades , Collection hespéris, Larousse, Paris

1932 , P.53-54.

(4) – عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 451.

وتختلف طريقة إعداد الجص اختلافا تاما عن الطرق المستخدمة في المواد الأخرى وتتطلب عملية إعداد العجينة صبرا وخبرة ، ويجب أن تمر عملية إعداده على عدة مراحل ويشترك فيها مجموعة من الحرفيين. وتبدأ عملية إعداده بغرلة الغبار وتنقيته من كل الشوائب مثل الحجارة والأعشاب والأتربة التي لا تصلح ، وبعد غربلته يتم خلطه بالماء ويعجن وتستمر هذه العملية إلى أن تأخذ العجينة قوامها ، ويجب أن يراعي العجان المقادير المطلوبة من الماء والجص ، وفي مرحلة أخرى وعند الانتهاء من مرحلة العجن تقدم عندها للطرح وتتم هذه العملية ببسط العجينة على المسطحات المراد زخرفتها على شكل طبقات سميكة ، وبعدها تبدأ عملية صقل السطح باستعمال أدوات متنوعة مثل المكشط .

من أهم المميزات الرئيسية للجص هو عزله للحرارة والصوت ، ولكنه هش في حالة تعرضه للرطوبة ومختلف التقلبات الجوية ، لذلك كان استعماله لتكسية الجدران ، خاصة الداخلية منها إضافة للترزين والتنميق والتسقيف.

3- الحجارة :

لقد استخدمت الحجارة في البناء منذ أقدم العصور وذلك لصلابتها وتوفرها ، وتعتبر من أهم المواد الخام أهمية لسهولة الحصول عليها عبر مختلف أنحاء العالم ، ولم يقتصر استعمالها كعنصر معماري فحسب بل اعتبرت كمادة زخرفية منذ أقدم الحضارات واستمر استعمالها عبر مختلف العصور⁽¹⁾ فقد استعملت في إنشاء المباني الدينية والمدنية بالجزائر خلال العهد العثماني بكل أنواعها المدنية والعسكرية بنسب متفاوتة حسب وظيفة المبنى فالعناصر المبنية بالحجر قد صنعت محليا وذلك لتوفر المحاجر بمناطق الجزائر المختلفة وخاصة منها محاجر الحجر الكلسي⁽²⁾.

(1) – أحمد فكري ، المرجع السابق ، ص ص76-79.

(2) – علي خلاصي ، قصبة الجزائر القلعة وقصر الداوي ، 1985 ، ص328.

وعن مجالات استعمالها في المباني المدينة يمكن تحديدها في المبنى حسب أنواعها حيث استخدمت الحجارة الكبيرة في بناء الأساسات نظراً لثقلها ، وكذا لربط زوايا البناء ووسيلة دعم للجدران .

- أما الصغيرة الحجم فقد استعملت لسد بعض الفراغات الناتجة عن تصفيف الحجارة فوق بعضها البعض لتدعيم الحجارة التي تكون غير متساوية القاعدة و التي تتركز عليها واستعملت أيضاً لتسوية الأرضية قبل تليطها.

- تتشابه طريقة البناء بالحجر مع طريقة تنظيم الآجر، وتنظم القطع الحجرية في خطوط متوازية بطريقة عمودية ونجد مادة الحجارة بارزة للعيان في أسفل الجدار الجنوبي من الخارج بسبب سقوط المادة العلوية التي كانت تغطيها ، وقد استعملت بطريقة منتظمة ومتسلسلة الواحدة فوق الأخرى ، وهي حجارة من النوع الصلب ذات كتلة مستطيلة.

4- الملائم* 1:

وهو مادة معدنية موجودة بين حبيبات الصخور فيلتحم بعضها ببعض مثل مادة الحديد والمعادن الأخرى (1) وبصفة عامة هو خليط متصلب متكون من مادة صخرية سهلة التفتت ، وهي الرمل والطين يضاف إليها الماء ويدعم الكل بإضافة الجير ، والتصلب يأتي نتيجة تفاعل المواد (2).

يقول ابن خلدون في الملائم : "... ومنها البناء بالحجارة المنجدة أو الآجر يقام بها الجدران ملصقا بعضها ببعض بالطين والكلس الذي يعقد معها ويلتحم كأنه جسد واحد ..." (3).

- ويتم تحضيره فوق أرضية من التربة المدكوكة تكون قرب مكان البناء ، توضع أولا طبقة من الرمل ثم الجير في الوسط ، ويضاف الماء بكميات قليلة ثم يمزج الكل بمجرفة ذات ذراع طويلة (4).

*1- الملائم : من الفعل ملط ويعني إسمنت أو طين ، يجعل بين حجرتين أو آجرتين لتماسك البناء .

(1) - عبد الغني مشرف محمد و الطاهر إدريس عثمان ، قاموس المصطلحات الرسومية المصورة ، جامعة الملك سعود ، عمان 1990 ، ص 83.

(2) - Adam , OP. Cit ,P.75

(3) - عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، المجلد 3 ، ص 1068.

(4) - Adam , op.cit , P.78 .

- استعمال الملاط في الربط بين مواد البناء وذلك لكونه مادة لاحمة ، كما استخدم في تغطية الجدران حفاظا عليها من التأثيرات الخارجية خاصة المطر ، كما استخدم في تغطية الأرضيات والأسقف .

ويتميز الملاط بسرعة التصلب ومقاومته الشديدة للضغط والتأثيرات المناخية بالإضافة إلى كونه غير مسامي ، إذ أنه يحمي البناء من الرطوبة ويلعب دورا هاما في تسوية المساحات المنتظمة أثناء البناء.

- أما عن تقنية استعماله ، فإن الملاط يمثل الجزء الأكثر ضعفا في البناء ، لذا يجب أن يكون مكثفا وكثيفا وذا سمك منتظم حتى يكون الضغط موزعا على الثقل بالتساوي حتى لا تتجمع قوى الضغط في نقطة واحدة وتتسبب في تشقق مواد البناء ، ولتدعيم الربط بين مواد البناء توضع هذه الأخيرة بشكل متداخل ومنتظم في نفس الوقت حتى تكون نسبة الجبر عالية.

وقد استعمال الملاط في المقبرة وبالتحديد في جدرانها العلوية حيث بقيت أجزاء منها واضحة وذلك كمادة لتغطية جدرانها حفاظا عليها من المؤثرات المختلفة ، وقد ساهمت هذه المادة في وصول هذه الجدران إلينا بحالة سليمة ، كما استعملت أيضا في تغطية جدران الغرفة الجنائزية التي تحوي قبوري بني صالح باي.

5- الأجر :

تعتبر مادة الأجر من أقدم المواد الاصطناعية المستخدمة من طرف الإنسان عبر العصور في البناء ، وهو واسع الانتشار كعنصر حامل ومحمول فضلا عن جمال مظهره وأهميته كمادة عازلة للحرارة ، وتوفر مادته وهي الطينة الحمراء غير مسامية محروقة حرقا شديدا للصلابة⁽¹⁾ .

والأجر مادة سهلة التفتت والكسر قبل عملية الحرق وهي عبارة عن طينة معالجة تحكم جيدا أثناء عجنها وتجفيفها لتصبح بعد ذلك مادة صلبة ومتماسكة في نفس الوقت⁽²⁾ .

والأجر يقوِّب بواسطة قوالب خشبية تختلف مقاساتها من منطقة لأخرى ، حيث يكون طول الأجر يساوي ضعف عرضه ، وعرضه يساوي ضعف سمكه وهذه القاعدة ثابتة نوعا ما⁽³⁾ .

تعتبر هذه المادة من المواد الأساسية التي استخدمت في المباني الجزائرية التي تعود للفترة العثمانية ، حيث نجدها قد استعملت بنطاق واسع في البناء أو الزخرفة في آن واحد واستعمل بكثرة في بناء العقود والحنايا ، إضافة إلى الدعامات ذلك لأنها خفيفة الوزن في حالة استعمالها كعنصر محمول ، وصلبة في حالة ما إذا لعبت دور العنصر الحامل . وظفت هذه المادة في بناء المدرسة والضريح ونجدها في غرفة التدريس (الشكل 33).

وقد ضببطت صناعة الأجر قوانين كان يشرف على تنفيذها المحتسب فهو الذي يراقب جودتها ، وكانت هذه القوالب غالبا ما تصنع من خشب صلب ضمنا لبقائها واستمرار صلابتها باعتبارها وحدة قياسية يرجع إليها عند الضرورة.

قال ابن عبدون "يجب أن تكون القوالب وافرة ، وطولها وعرضها وغلظتها معلوم عند المحتسب والصناع"⁽⁴⁾ .

(1) - عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرينية ، ج 2 ، ص 639.

(2) - عبد الحميد سعد زغلول ، العمارة والفنون في دولة الإسلام ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1986 ص 277.

(3) - نقاش نقلا ، الأجر ، دائرة المعارف ، الإسكندرية ، 1986 ص 277.

(4) - ابن عبدون ، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ، ص 34.

وإلى جانب الوظيفة الإنشائية التي تؤديها مادة الآجر فإنها استخدمت للزخرفة كذلك إلا أنها بنسب قليلة إذا ما قورنت بالوظيفة الإنشائية وهذا نظرا لبساطتها ، فالمعمار الجزائري كان يبحث عن الأبهة والفخامة في منشآته المعمارية ، ولكن في تطبيقات أخرى جصية أو في عناصر معمارية فنية ، أما عن طرق البناء بالآجر فإنها تعطينا نوعا من التوازن والانتظام والتناسق في البناء وهذا بسبب انتظام المداميك.

- أما المظهر الجمالي الذي ينتج عن طريق البناء بالآجر فإن ذلك يتم عن طريق تنظيمه بالمداميك ، وقد شملت المدرسة في تركيبها المعماري على مادة الآجر وهذا في الحائط ، وللآجر عدة طرق في البناء نذكر منها :
- المداميك المتكررة بالتناوب (1) المداميك العمودية المنتظمة (2) المداميك المائلة السنبلية (3) المداميك المزدوجة (4) .
وبالإضافة إلى هذه الطريقة الرئيسية ، هناك طرق متعددة في تنظيم مداميك العقود لكن لم تكن أكثر استعمالا وانتشارا.

6- القرميد :

هو ذو شكل مسطح نصف دائري أو مستدير مقعر أو محدب في نهايته في عرضي المستطيل ، إحدهما أصغر من الأخرى ، تتلقى الأكبر منها طلاء زجاجيا شفاف أخضر اللون يصنع من طينة متجانسة وذات جزئيات دقيقة ومطلي ، حتى تصبح غير مسامية مادام معرضا دائما للأمطار (5) .
يشكل القرميد بواسطة قوالب معقدة ، تصنع بالحصص وهو ذو أشكال مختلفة ، لكنه غالبا ما يكون على شكل نصف قناة مخروطية الشكل ، توضع عند البناء بشكل مقعر ومحدب بالتناوب تثبت بواسطة الملاط.

(1) - المداميك المتكررة بالتناوب : وتقوم على تكرار المداميك من حجارة غير مصقولة ، ومداميك من الآجر بالتناوب ، وقد استخدمت هذه الطريقة لزيادة تدعيم الحوائط .

(2) - المداميك العمودية المنتظمة : وتقوم على مادة الآجر والملاط ، حيث ينتظم فيها الآجر أفقيا على شكل مداميك متراكبة متكررة بطريقة محكمة.

(3) - المداميك المائلة السنبلية : وتقوم هذه الطريقة على مادتي الآجر والحجارة المصقولة.

(4) - المداميك المزدوجة : وتقوم هذه الطريقة على اشتراك نظامين مختلفين في تنظيم المداميك بالحوائط : طريقة المداميك العمودية وطريقة بناء العقود.

(5) - أندريه باكار ، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة ، ت . سامي جرجس ، المجلد الأول ، نشر أوتوليه ، 1974 ، ص508.

وهي عملية تتم بالتعاون بين عدة عمال ، حيث تعجن الطينة وتشكل على هيئة أقراص ، ثم تضبط بتمريرها على المرايا ثم تضرب أو تقولب بالقالب ، ويصفى القرميد بجانب بعضه لتجفيفه وإعداده لعملية التسوية⁽¹⁾.

وهناك طريقة أخرى تتم بواسطة الدولاب الخزفي وهو في ذلك يشبه القنوات الفخارية بحيث تحرط الطينة قطعة واحدة بفوهتين إحداهما أصغر من الأخرى ، ثم تقطع طوليا للحصول على قرميدتين كل منهما نصف أسطوانة⁽²⁾. وأخيرا يوضع القرميد في الفرن لتسويته ، وأفران التسوية لا تختلف عن أفران الآجر و الزليج.

إن الغاية من استخدام القراميد هي حماية المبنى من آثار الأمطار وذلك لتجنب انسياب المياه على واجهات المبنى ، لكنها أيضا أداة لتفخيم المبنى وإظهار جماليته ، فيضفي عليه جمالا و ثراء⁽³⁾. (الشكل 33).

- إن عملية تغطية المباني بالقرميد موعلة بالقدم ، حيث انتقلت إلى المسلمين عن طريق الحضارات القديمة السابقة للإسلام⁽⁴⁾ . وفي المغرب الإسلامي استعملت التغطية بالقرميد استعمالا واسعا تشمل كل المناطق والدول وخاصة في الفترة المرينية والزيرية ، أما خلال الفترة العثمانية فلم نجد في القصور والمباني المدنية والدينية التي تعود لهذه الفترة على عكس المباني العثمانية الموجودة بتركيا ويعود السبب الحقيقي لذلك هو حاجة السكان إلى السطوح في الوظائف الاجتماعية⁽⁵⁾ .

وقد جعل القرميد كمادة جمالية محضة في المباني الجزائرية التي تعود إلى الفترة العثمانية بالدرجة الأولى كما يمنع قطرات المطر من الانسياب في الجدران التي تغطي الأروقة.

استعمل صالح باي القرميد في تسقيف المدرسة وهو ذو شكل نصف مستدير مقعر ومحدب أحد نهايتيه أكبر من الأخرى ، وهو ذو لون أحمر .

وقد غطيت كامل مرافق المدرسة بهذه المادة التي تساعد على تسرب مياه الأمطار نحو الأسفل عبر قنوات أخرى ملتصقة بالسطح ، وقد زادت هذه التغطية المدرسة نوعا من الجمال خاصة عند مشاهدتها من الأعلى.

(اللوحة 55) .

(1) - أندري باكار ، المرجع السابق ، ص 501.

(2) - Olivier(E.) , Technologie materiaux de contraction , TII ,5eme édition , Paris , 1976 , P.17.

(3) - حسن حافظ علوي ، المرجع السابق ، ص 59.

(4) - يعتبر القرميد من أقدم المواد والطرق المستعملة في تغطية المباني ، وترجع هذه الطريقة إلى الفترة الإغريقية ، حيث استعملوا القرميد الطيني الخروق والحجارة المسطحة.

(5) - محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر 1985 ، ص 153.

7- الخشب :

لقد استعمل الخشب بكثرة وفي مجالات متنوعة منها العمارة ، حيث نجد في سقوف المباني والأبواب والركائز ويرجع هذا التعدد في الاستعمال إلى تنوع تلاحم أنسجته وبالتالي أنواعه ، وقد ذكر ابن خلدون أهمية استعمال الخشب في البناء فقال "... ومن صنائع البناء عمل السقف بأن تمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت ومن فوقها الألواح كذلك موصلة بالدساتير..." (1) .

يحتل الخشب مكانة ممتازة بين مواد البناء ، وهو من أقدم مواد البناء التي عرفها الإنسان في الفترات المختلفة كما أنه قوي بالنسبة لحجمه ، وسهولة الحصول عليه في جميع أنحاء العالم جعلته من أكثر المواد الخام أهمية بسبب مصادره الطبيعية ، ولما يمتاز به من خواص فنية وسهولة في التشغيل ، فضلا عن جمال لونه ، وسهولة صقله وتجهيزه (2) .

أما من حيث تكويناته المادية ، فهو ذو نسيج صلب مكون من ألياف وخلايا تحتوي في جوفها على مواد عضوية ومعدنية وكمية من الماء ، ويتكون الخشب في الأساس من الكربون والهيدروجين والأكسجين (3) . وللخشب مقاومة جيدة للضغط وضعيفة للالتواء ، وهذا يعود إلى عدم تجانس مكونات القطعة الواحدة ومن صفاته أيضا أنه عازل حراري (4) ، ومن أهم عيوب وسلبيات الخشب قطعه في قطع في فصل غير مناسب وتكديسه مثلا في أماكن تكثر فيها الرطوبة ، وهذا قد ينتج تغييرا في تكوينه وفي لونه الطبيعي وبذلك يتعفن ويسهل حرقه ، فإذا تعرض المبنى إلى حريق وهو يحتوي على نسبة من الخشب يمكن أن يتهدم المبنى بكامله (5) .

(1) - عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، 1069.

(2) - وانر هرت ، أشكال النجارة العامة ، ترجمة. عبد المنعم عاكف ، دار الأهرام للتأليف ، القاهرة ، 1970 ، ص9.

(3) - توفيق أحمد عبد الجواد ، مواد البناء وطرق إنشاء المباني ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ط1 ، 1967 ، ص149.

(4)- Olivier , OP.CIT , P.113.

(5) - مصطفى الأحمر ، تشكيل الخشب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1990 ، ص ص 13-17.

والنجارة هي طريقة استغلال الخشب ، وأساليب الاستفادة منه في تلبية حاجيات الإنسان في جميع مجالات حياته وهي إحدى الضروريات في العمران البشري ويقول عبد الرحمن بن خلدون : "... ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للآدمي في كل مكون من مكوناته منافع تكمل بها ضرورياته أو حاجاته ، وكان منها الشجر ، فإن له فيها من المنافع مالا ينحصر مما هو معروف لكل أحد ، ومن منافعنا اتخاذها خشبا إذا يبست ، وأول منافع الخشب أن يكون وقودا للنار في معاشهم ، وعصا للاتكاء ، ودعائم لما يخشى عليه من أثقالهم ، ثم بعد ذلك منافع البدو والحضر ، فأما أهل البدو فيتخذون منه العمد والأوتاد لخيامهم ، والحدوج لصنائعهم والرماح والقسي والسهام لسلاحهم ... والقائم على هذه الصناعة هو النجار ... " (1) .

ففي الجزائر في الفترة العثمانية نجد مادة الخشب قد حضيت بدور كبير ، أبرز الصانع قيمتها الفنية ناهيك عن قيمتها العلمية المتمثلة في الصناعات المختلفة (2) .

ومصدر هذه الأخشاب وخاصة في مدينة قسنطينة هو جبل المنصورة وغاباته ، بحيث تتوفر المناطق المجاورة للمدينة على أنواع مختلفة من الأشجار وأهمها أشجار الصنوبر التي استعملت بكثرة في الفترة العثمانية .
- إن الصفات والمميزات التي تتجلى بها مادة الخشب تجعلها في مقدمة مواد البناء حيث استخدم في المدرسة والمقبرة وهو يتوزع في الأسقف والأرضيات .

لقد استخدم الخشب كذلك كعناصر معمارية في العمارة المدنية كالمشربات والأبواب والمصانع التي كانت غالبا تتكون من حشوات مجمعة ومزخرفة بالنقوش ومطعمة بطريقة رائعة ، وكانت تلك الأعمال الفنية على الخشب قمة في الدقة والإتقان على مر العصور (3) .

استخدم صالح باي الخشب في التسقيف وتدعيم الأقواس وإلى جانب الدور المعماري الذي لعبه الخشب فقد استخدم في مجال الزخرفة في صناعة الأبواب والنوافذ ، وذلك لما يتميز به من صلابة ومقاومة للتقلبات الجوية واستخدم أيضا في المقبرة العائلية لصالح باي كشواهد للقبور (اللوحات 12-13-17-27) .

(1) - عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص1071 .

(2) - لطيفة بورابة ، الموضوعات الزخرفية على السقوف الخشبية بقصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (دراسة فنية تحليلية) رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2000-2001 ، ص61 .

(3) - نفس المرجع ، ص62 .

اهتدى الإنسان إلى المعادن واستخرجها من باطن الأرض ، وعرف طريقة استخراجها مما علق بها من شوائب وولد من بعضها البعض معادن جديدة مثل البرونز الذي هو خليط من النحاس الأصفر والزنك⁽¹⁾ .
استعملت المعادن في جل الفترات الإسلامية في المشرق والمغرب ، أما في العهد العثماني فإن أهم المعادن المستعملة في الصناعة هي النحاس والبرونز والذهب والفضة إضافة إلى الحديد ، وقد عرف العثمانيون كل هذه المعادن وأنقنوا صناعتها وزخرفتها ، كما تميز الحكام بحب حياة الرفاهية لذلك استعملوا كل أنواع المعادن ، هذا بالإضافة إلى المواد التي كانت تستورد بكثرة نظرا لإزدهار التجارة الخارجية خلال تلك الفترة⁽²⁾ .
أما فيما يتعلق بمدرسة ومقبرة صالح باي فإن المعادن قد استعملت بنطاق ضيق ، وفيما يلي سنعطي تعريفاً وجيزاً لكل معدن مع مجالات استعمالها في النموذج المدروس.

أ- النحاس :

الصفير والقطر والمس والنحاس كلها مفردات مرادف واحد وهو المعروف عند العامة والخاصة باسم النحاس⁽³⁾ . وقد ذكر في القرآن في قوله تعالى "يرسل ملككما شواظ من نار ونحاس"⁽⁴⁾ .
كما ورد أيضاً في القرآن بلفظ قطر في قوله تعالى : "قال أتوني أفرغ عليه قطراً"⁽⁵⁾ .
وقيل القطر هو الذائب من النحاس ، أما الصفير فهو النحاس الأصفر ، وقد عرف الإنسان كيف يستخرج النحاس من باطن الأرض ، وعرف طريقة استخراجها ، وعرف نوعين من النحاس :
- الأحمر الذي يتميز بسهولة تشكيله - النحاس الأصفر⁽⁶⁾ .
وقد استعمل هذا المعدن في المدرسة الكتانية وذلك في موضعين أولهما دبابيس باب بيت التدريس وأما الموضع الثاني فقد استعملت في ثريات المقبرة . (اللوحة 27-55) .

(1) - محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص 169 .

(2) - خيرة بن بلة ، المرجع السابق ، ص 369 .

(3) - لخضر درياس ، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، رسالة ماجستير ، الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر ، 1990 ، ص 64 .

(4) - القرآن الكريم ، سورة الرحمن ، الآية 55 .

(5) - القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية 188 .

(6) - محمد أحمد زهران ، فنون أشكال المعادن والتحف ، المكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1965 ص 3 .

ب- البرونز :

هو خليط من النحاس والقصدير أو من النحاس وفلزات أخرى تضاف إلى الفضة أو الألمنيوم أو الرصاص لزيادة بريقها وصلابتها ، والبرونز أصلب وأشد مقاومة من النحاس الأصفر .
استخدم البرونز في تثبيت الأجزاء المختلفة في الأبواب ، وكذا استعمل كمادة الأبواب.

ج- الحديد :

يستخرج من طبقات الأرض وهو ذو لون أحمر يتكون من الرواسب الأرضية⁽¹⁾ وهو عنصر يشبه الفضة سريع الصدأ وقابل للسحب والطرق ، ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى " **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**"⁽²⁾ وفي الآية الكريمة إشارة صريحة لإلى أهمية الحديد وفائدته ، كما وردت اللفظة في آيات أخرى منها قوله تعالى " **آتوني زبر الحديد**"⁽³⁾ ، وفي الآية الكريمة " **ولهم مقامع من حديد**"⁽⁴⁾ .

وقد صنف الحديد إلى نوعين رئيسيين : الأول لين يسمى البرماهي ومنه الفولاذ أما الثاني فهو يلقب بالشابرقان وهو صلب ، والحديد نجده منفصل مستقل أو خليط مع الكربون أو المعادن أخرى ، ولصناعته يتم صهره في بوتقة (أداة) مغلقة ثم يصب في قالب ليصهر كتلة ملتهبة بيضاء ، ثم تسحب الكتل عندئذ لتتحول إلى الأشكال المراد الحصول عليها⁽⁵⁾ .

وفي العهد العثماني استعمل الحديد في العمائر بمختلف أنواعها ، وكان يجلب من مناطق قريبة أو بعيدة عن المدن .

أما فيما يخص استعماله في المدرسة والمقبرة فإن صالح باي استعمل نوعا من الحديد يسمى الزهري⁽⁶⁾ واستعمل كدرايزين في السلام وقضبان في النوافذ وكذا في الأبواب . (اللوحة 7-9-26).

(1) - محمد عبد الغني مشرف وإدريس عثمان الطاهر ، المرجع السابق ، ص83.

(2) - القرآن الكريم ، سورة الحديد ، الآية 25.

(3) - القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية 96.

(4) - القرآن الكريم ، سورة الحج ، الآية 19.

(5) - محمد أحمد زهران ، المرجع السابق ، ص8.

(6) - محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، الدائرة القومية للطباعة والنشر ، مطبعة القاهرة ، مصر ، 1965 ص1826.

II - أساليب الزخرفة وتقنياتها :

لقد نوع الفنان في أساليب وتقنيات الزخرفة على مواد المدرسة ، حيث استعمل الزخرفة القالبية على الجص ، إضافة إلى التلوين على الزليج وكذا الخزف ، كما استخدم الجير في طلاء الجدران ، أما التقنية المستعملة بكثرة في المدرسة والمقبرة هي الحفر والنحت والتي تعتبر أهم وأقدم الطرق المستعملة.

1- تقنية الحفر أو النحت (1):

وعرفت هذه التقنية استخداما واسعا في تشكيل الزخارف على كثير من المواد الصلبة واللينة (كالرخام والخشب والجص) وذلك بمختلف الأساليب من حفر غائر ومائل وحفر بارز أو مسطح . ويرتبط بهذه التقنية الأخيرة طريقة الحفر المستعملة في زخرفة الخشب (كالتحريم والتطعيم أو الترتيب) . - وتتطلب هذه التقنيات وسائل عمل مختلفة خشبية أو معدنية كالمطارق والأزاميل والفراجير والآلات الحديدية المدببة والحادة وما إلى ذلك (الشكل 36). - إن أهم طرق الحفر المستخدمة نجدها في المقبرة العائلية لصالح باي ، وأبرزها الحفر البارز: أ- الحفر البارز :

يقوم الفنان برسم وتحديد العنصر المراد تشكيله على المساحة المخصصة لهذا الغرض ، وتتطلب تقنية خاصة من صاحبها إذ يجب تهذيب وتلميس القطعة التي يراد نقشها بمطرقة غليظة ، ويراعى في ذلك عدم الطرق بشدة تفاديا لانكسار الكتلة ، ثم يرسم تصميمها مسبقا للنص أو الزخرفة على القطعة بالفحم ، ومن ثم يحفر ما حولها بآلات دقيقة تسمى بالأقلام المعدنية ذات أحجام مختلفة ، وفقا لما يراد نقشه على القطعة وبعدها تسوى الحروف أو غيرها حتى تبدو ملساء عن طريق المكشط أو الرمل ، فتصبح بذلك أجمل ما يكون خاصة وأن النقاش يحيط النص بزخارف هندسية ونباتية غالبا ما تكون عقود وعناصر مجردة عبارة عن تشبيكات وإتواءات نباتية تعلو

(1) - النحت والحفر : كلمتان متقاربتان في المعنى ، وتعني لغويا أن يقوم الإنسان بعملية نتف أو نقر في الحجر بواسطة آلة حديدية لقطع جزء منها ، وكلمة الحفر والنقش هو عمل نفس الفعل على مواد أكثر ليونة من الحجر كالخشب والجص وغيرهما . أما اصطلاحا فإنهما يدلان على فن تشكيل وجه أو صورة زخرفية أيا كانت ، إما بواسطة القطع بأداة حادة كالإزميل على مادة صلبة كالخشب والحجر والرخام.

ولقد اخترع المسلمون أساليب وطرق حديثة للنحت والنقش وأبدعوا فيها وتركوا بصماتهم واضحة على هذا الفن ، حيث لازال التاريخ يشهد لهم إلى يومنا الحالي ، وهذا من خلال ما تركوه من أعمال فنية رائعة على مختلف المواد الصلبة واللينة.

النص ، يكون الغرض منها ملئ الفراغ الموجود من حوله ، كما يزين الشاهد من الخارج زخرفة تشكل إطارا مجدولا يميز الشاهد وهذا ما نجده في جل شواهد المقبرة إذ حفرت بطريقة الحفر البارز. وهناك أيضا طريقة :

ب- الحفر والنقش الغائر :

ويعتبر هذا الأسلوب من أقدم الأساليب الفنية وأبسطها إذ يحفر حفرا عميقا حتى تشكل الحروف أو الأشكال المختلفة ، وفي بعض الأحيان يملئ التجويف بمادة صلبة كالرصاص وغيره حتى تتصلب جيدا ثم يسوى سطح اللوحة عن طريق التلميس . ومثال ذلك ما نجده في أحد الشواهد غير المعروفة حيث حفرت فيه شجرة سرو بأسقة بأسلوب غائر (اللوحة 36).

ج- الحفر على الجص :

استعمل المغاربة هذا الأسلوب بكثرة في تزيين الجدران والسقوف وكذا الأقواس⁽¹⁾ ، وتتميز هذه المادة بسرعة الجفاف ، لذي تضاف لها بعض المواد كالعراء أو الملح لجعلها بطيئة الجفاف⁽²⁾ .

بعد أن يسوى السطح وينعم يشرع الفنان في تحديد الزخارف عليه ورسمها مباشرة وفقا للموضوع المراد زخرفته الذي يكون إما في مخيلته أو معد في ورق مقوى ، ترسم عليه الزخرفة بواسطة ثقب ليسهل تمرير المسحوق عبرها فهو يشبه القالب في الصناعات المجسمة ، ثم يمرر النموذج على الجدار الذي وضع عليه مادة الجص ويضغط عليه بواسطة اليد ثم ينتزع القالب لتظهر الزخرفة ، وتكرر العملية على كامل الجدار⁽³⁾ .

لقد استخدم الفنان تقنية الحفر البارز في تنفيذه للزخارف الجصية لاسيما الزخارف الكتابية ، وهذا ما نجده في جل الزخارف الجصية في جدران المقبرة والشواهد وكذا في محراب قاعة التدريس ، والواجهة الأمامية للمدخل التي احتوت على زخارف كتابية منقذة بأسلوب الحفر البارز على مادة الجص .

2- الزخارف القالبية :

تم هذه العملية بتحضير الزخارف في قوالب حسب مقاسات وحجم أماكن الاستخدام ، ثم تعبأ القوالب بمادة الجص ويضغط عليها لتتخذ العناصر الزخرفية في ذلك الجص ، ثم تفصل عن بعضها وتحدد الزخارف وتلصق في أماكنها المخصصة لها بواسطة مسامير أو خيوط أو غيرها من المواد المستعملة لتثبيتها⁽⁴⁾ .

(1) - حسن حافظ علوي ، المرجع السابق ، ص71.

(2) - Marçais (G.) , Manuel d'art musulman -L'architecture tunisie ,Algérie

Maroc , Espagne et sicile , E'dition auguste picard , T2 , Paris , 1929 , P.586.

(3) - آندري باكاري ، المرجع السابق ، ج2 ، ص15.

(4) - استعملت الزخارف القالبية لأول مرة في الفنون الإسلامية بمدينة سامراء في القرن 3هـ / 9م ، ومنها انتقلت تقنيات الزخارف الجصية بأنواعها الثلاثة (الحفر الغائر - الحفر المائل أو المشطوف - الزخارف القالبية) إلى مختلف المناطق الإسلامية كمصر والشام والمغرب والأندلس.

نجد هذه التقنية في قاعة التدريس وبالتحديد في قببة المحراب المصنوعة من مادة الجص والمثبتة في المحراب كما نجدها أيضا في قبة المقبرة في نقطة الانتقال من المثلث إلى المربع وهي التي تحمل أركان القبة ، وهي عبارة عن محارات مصنوعة من مادة الجص بالطريقة السالفة الذكر (اللوحة 15-22).

3- النحت على الرخام (1) :

بعد تهيئة القطعة الرخامية المراد الرسم فيها ، يشرع الفنان في رسم الموضوع الزخرفي بواسطة قلم أو ما يشبهه ، بعد تحديد الرسم بشكل دقيق يقوم الفنان بعملية نحت الأشكال المختلفة المراد استخراجها ، وهذا العمل يتم بواسطة إزميل ومطارق مختلفة الأشكال والأحجام (الشكل 34).

ونجد هذه الطريقة في أعمدة الأروقة المطللة على الصحن في الطابقين الأرضي والعلوي ، بحيث نجد بها زخارف منحوتة على الرخام ، ومن أمثلتها الهلال (اللوحة 24) وكذا عمودي محراب قاعة التدريس (اللوحة 14) ، كما استخدمت أيضا تقنية الحفر البارز على مادة الرخام ، وذلك ما نجد في شواهد القبور بالمقبرة (اللوحة 39).

4- تقنيات الزخرفة على الخشب :

لقد حظيت صناعة الخشب بمكانة مرموقة بين الصناعات الأخرى مشرقا ومغربا شد أنظارنا في هذه الصناعة الذي أبدع فيها الفنان المسلم في إنجازاته هو تحويلها من صورتها الصماء إلى لوحة فنية تسر الناظرين وأحسن مثال على ذلك الزخرفة على الخشب في الجزائر في العهد العثماني (2) ، حيث عرفت هذه الصناعة في هذه الفترة استعمالا واسعا هذا ما أدى إلى الزيادة بالعناية بالجانب الفني والزخرفي لها ، وجمع فيها الفنان بين الأساليب الفنية المختلفة ، وقد اختلفت المصنوعات من هذه المادة وأهمها (الأبواب - النوافذ - الخزانات الجدارية - السقوف - الدرايزينات - الروابط الخشبية).

(1) - يعود فن النحت إلى عصور قديمة جدا ، منذ أن كان الإنسان يقوم بصنع تماثيل وأصنام وثنية للعبادة في العصور القديمة ، ثم سرعان ما تطور هذا الفن على يد المصريين القدماء والفرس والآشوريين والهنود ، غير أن هذا الفن كان عند هؤلاء الأقوام خاليا من الحركة ، كما يتميز بالطابع الديني والرمزي ، ثم أدخلت عليه تغييرات خاصة عند الإغريق والرومان فأصبح يمارس على نطاق أوسع ، وهذا من خلال ما وصلنا من أعمالهم الفنية الرائعة .
أنظر : آندري باكار ، المرجع السابق ، ج2 ، ص15.

(2)- Arseven (C.E.) , Les Arts décoratifs turcs , Ankara , S.D, P193-194.

أ- الحفر على الخشب :

تختلف هذه التقنية عن الحفر والنحت على الحجر والرخام ، ذلك أن العمل على الخشب يتطلب جهدا عقليا أكبر ووقتا أطول مقارنة بالمواد الأخرى . يقوم الفنان برسم الشكل المراد إخراجها بواسطة قلم رصاص أو غيره ثم يستعمل مجموعة من الآلات كالأزميل والمطرقة .بمختلف أشكالها والمنقر الخشبي (الشكل 35) وذلك لتفريغ الخشب وإظهار الزخارف البارزة⁽¹⁾.

وقد استخدمت في المقبرة تقنية الحفر البارز وذلك في شواهد القبور المصنوعة من الخشب (الزخارف الكتائية).

ب- طريقة التجميع والتعشيق⁽²⁾ :

تستعمل للحصول على تركيب زخرفي يقوم على ضم مجموعة كبيرة من القطع ذات الأشكال الهندسية مع بعضها البعض ، وتقوم هذه العملية على تجميع قطع صغيرة من الخشب أو الحشوات التي تتمثل في مثلثات ومضلعات ونجوم بسمك معين ، ويشكل هذا التجميع وجود فرجات بين القطع المجمعة تسمح للخشب التحرك بحرية لتفادي الضرر بالقطع المجاورة وعرفت هذه الطريقة عند الفنانين العثمانيين بـ "كندي فاري"⁽³⁾.

وتعتبر تقنية التجميع والتعشيق من أعقد التكوينات وتقنياتها من أصعب التقنيات إذ تتطلب إعداد رسم مصغر للحجم الطبيعي للموضوع ثم يعاد رسمه بحجمه الطبيعي بمقاييس محددة ، بعدها يتم إعداد الحشوات والوصلات بإطاراتها وأشرطتها المنقورة والملسنة مع إعداد أماكنها على اللوح المراد تركيبها عليه ، وتتم هذه العملية في الورشة وتنتهي بتركيب التحفة في عين المكان وفقا لطريقة التجميع والتعشيق⁽⁴⁾.

ونجد هذه الطريقة في باب غرفة التدريس (اللوحة 27)

(1) - ربيع حامد خليفة ، الفنون الإسلامية في العصر العثماني ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط3 ، 2005 ص154.

(2) - التجميع والتعشيق : هي ابتكار إسلامي جاء استجابة لطبيعة الخشب وخصائصه من حيث التمدد والانكماش.

- أنظر محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص154.

(3)- Arseven , op.cit , P201.

(4) - رجب عزت ، تاريخ الأثاث منذ أقدم العصور ، القاهرة ، 1978 ، ص200-201.

5- الطلاءات التلوينية (الزخارف القالبية) :

لقد اتجه الفنان المسلم إلى استخدام أسلوب آخر في الزخرفة ألا وهو الطلاءات التلوينية التي تزين القيمة الجمالية للتكوين الزخرفي وذلك بطلاء الزخارف بالألوان المختلفة لكي يضيفي عليها مظهر الحيوية⁽¹⁾. وقد استخدم الطلاء في مختلف مرافق المدرسة والضريح ، بحيث نجده في الزليج وكذا الزجاج بالإضافة إلى جدران المقبرة وفيما يلي بعض الأساليب التلوينية المستعملة :

أ- طلاء الزليج :

تستعمل هذه المادة في زخرفة الجدران بالدرجة الأولى ، حيث نجدها في جل الأماكن في المدرسة والمقبرة وهو مصنوع من الخزف ويطلق على يد صناع حرفيين ، حيث يحضر المسحوق التلويني في ورش خاصة ، ثم يتم طلاء قطع الزليج من عروقها أو حافتها أو قاعدتها باليدن أو بين السبابة والإبهام ، ويغطس القطعة في السائل ثم يرفعها ويضعها جانبا بالنسبة للأدوات الخزفية والقراميد ، أما بالنسبة للزليج فتوضع كل زوجين فوق بعضهما حيث تغطس في الطلاء ويعاد حرقها . كما قد تستعمل فرشاة ناعمة أو خشنة في طلاء بعض القطع الخزفية⁽²⁾.

ب- تلوين الزجاج :

يتم تلوينه بإضافة أكاسيد مختلفة إلى الزجاج الذائب لتكسية اللون المطلوب.

ج- طلاء الجدران بالجير :

استعمل الجير⁽³⁾ في طلاء جدران مقبرة صالح باي وكذا الغرفة الجنائزية الصغيرة التي تحوي على قبري زوجة وابنة صالح باي . فقد عمد الفنان إلى استخدامه كطلاء لتبييض الحيطان إلى جانب استعماله كملاط لتلحيم مادة البناء (الآجر) وذلك بخلطه مع الرمل (اللوحة 23).

(1)- Marçais (G.) , L'architecture Musulmane d'occident , P.332.

(2) - عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرينية ، ج2 ، (قسم 3-4) ، ص782.

(3) - الجير : هو أول أكسيد الكالسيوم ، يرمز له كيميائيا (C.A.O.) ، يجلب من محاجر خاصة ، تستخرج منها المادة على شكل حجارة كلسية تختلف نقاوتها من منطقة لأخرى.

وتستخرج مادة الجير على شكل حجارة ثم تفتت وتنتزع منها الشوائب الزائدة ثم تحرق لتشكيل الجير الحي (1).
وتحت تأثير الماء والرطوبة تتحول هذه الحجارة إلى مسحوق يسمى بالجير المطفاء . إن استعمال الجير في طلاء
الأماكن المختلفة يزيد في بياضها وقد يستعمل كأرضية للزخارف المختلفة.

د- طريقة تلوين الخشب :

هي عملية دهن الخشب بألوان متعددة لمواضيع زخرفية مختلفة ، وقد كانت الألوان تستخلص طبيعيا من
مواد متنوعة ، هذا الأخير الذي كان ينتج ألوان متعددة كالزبدى والأصفر والأحمر والأسمر والأسود حسب اللون
المراد إستعماله.

- أما عن الأداة المستعملة في الدهن فهي عبارة عن فرشاة يصنعها الفنان بنفسه . بعد إعداد الرسوم تنفذ عملية
التلوين إما بوضع الفنان هذه النماذج المثقبة على السطح المطلوب زخرفته ثم يمرر فوقها خرقة بها المادة الملونة ، أو
بتغطية المساحات بورقة السندس وهي ورقة قصدير مغطى بخليط من الزعفران لمدة 15 يوما ليصبح صالحا
للاستعمال ، وبعد الانتهاء من هذه العملية تأتي عملية حماية الزخارف بواسطة زيت الكتان.

(1)- Grand (F.) , Traité de technologie ,Fédération romande des maîtres – menuisiers

Ebénistes, Fabricants de meubles , menuisiers , Charpentiers et Parqueteurs , Lausanne

1954 , P.63.

أعمال الترميم :

لاحظنا من خلال العمل الميداني في المدرسة والمقبرة العائلية لصالح باي أن هناك عدة مرافق فقدت صورتها الأصلية أو كادت تفقد البعض منها كما هو الشأن بالنسبة للمدرسة التي فقدت كل أجزائها الزخرفية والفنية باستثناء الأعمدة والأقواس المطلة على الصحن ، وكذا محراب قاعة التدريس بالإضافة إلى الكتابة المتواجدة في رواق المدخل ، أما بقية أجزاء المدرسة فقد أعيد ترميمها بالكامل في الفترة الاستعمارية وكذا بعد الاستقلال. لقد ذكر فايست (VAYSETTES) في مجلة قسنطينة (R.C) أن المدرسة كانت تتكون من تسعة غرف أربعة منها لسكنى الطلبة وهذا يرجح فكرة أن المدرسة منذ نشأتها كانت تتكون من طابقين (أرضي وأول)⁽¹⁾ . كما أشار محمد المهدي شعيب إلى وجود كتابة اندثرت كانت على وجهها الموالى للشارع ، هذه الكتابة العربية تدل على إصلاحات أدخلها نابليون الثالث على المدرسة والمقبرة حين زار قسنطينة في عام 1281هـ/1864م للمرة الثانية⁽²⁾ . للأسف لم نتوصل إلى وثائق تبرز هذه التغييرات أو التجديدات التي قام بها هذا الحاكم الفرنسي ومهما يكن من أمر فمن الممكن أن هذه التغييرات كانت مؤثرة على طابعها المعماري والزخرفي . كما أضيفت لها الحديقة التي نصل عن طريقها إلى الباب الرئيسي بالإضافة إلى البوابة الحديدية الخارجية المصنفة إلى سوق العصر. (اللوحة 06-07) .

أما بالنسبة للمقبرة العائلية لصالح باي فلم تشهد تغييرات كبيرة كالمدرسة باستثناء إزالة أعمدة القبة واستبدالها بدعامات وكذا اندثار الكتابة التي كانت موجودة في الجدار الشمالي الشرقي للمقبرة من الداخل (اللوحة 21) بعد الاستقلال عن فرنسا حولت المدرسة هذه المؤسسة إلى مدرسة ابتدائية ، وبعدها تدرجت في السقوط إلى أن وصلت إلى الهاوية بسبب تحويلها إلى مركز للنظافة تابع لبلدية قسنطينة ، الشيء الذي أدى إلى إهمالها وإتلاف أجزاء كثيرة من عمارتها وزخارفها⁽³⁾ .

لقد ساهمت الدراسة التي قامت بها إحدى مؤسسات الهندسة المعمارية التابعة لولاية قسنطينة سنة 1989م إلى بعث مشروع ترميم هذا المعلم الأثري والتاريخي في نفس الوقت ، وبالرغم من تأخر المشروع 12 سنة كاملة إلا أنه استطاع إعادة بعث هذا المعلم من جديد ، كانت انطلاقة أشغال الترميم في المدرسة في بداية سنة 2001م

(1)- Vaysettes (E .) , Histoire De Constantine , (R .C) , P. 357 .

(2)- محمد المهدي شعيب ، المصدر السابق ، ص386.

(3)- نفسه ، ص386

على أساس إنائها في فترة لا تتجاوز سنة ، وقد وضعت لها ميزانية قدرت بثلاثة ملايين دينار جزائري ، إلا أن واقع الترميم وهشاشة المبنى أخرجت العملية إلى سنة أخرى ووصلت ميزانيتها إلى حوالي ملياري سنتيم ، وانتهت فيها الأشغال نهائيا في أبريل 2003م.

لم تغير هذه الترميمات من الجوهر الرئيسي للمدرسة ألا وهو تشكيلها من طابقين بالإضافة إلى قاعة للتدريس في الطابق الأرضي وصحن يليها مباشرة ، وأهم التغييرات التي أجريت عليها هي :
*الطابق الأرضي :

-فتح بوابة (ثانوية) للمدرسة تربطها بدار المعلم عن طريق فناء كبير ، وهذه البوابة كانت من قبل تؤدي إلى غرفة صغيرة.

*الطابق الأول :

- إزالة الجدار الذي يقسم النادي إلى قسمين ، حيث تم تحويلها إلى قاعة كبيرة واحدة.

- فتح بوابة ثانية في الغرفة التي تلي الدرج مباشرة جهة اليمين.

- تحويل القاعة الكبرى في هذا الطابق والتي تتموقع يسار النادي ، إلى حمام وفتحت فيه عدة أبواب.

* الجانب الزخرفي : بالنسبة لهذا الجانب فقد تم تغييره بالكامل ، حيث استبدلت البلاطات الخزفية الأصلية بأخرى مستحدثة (جديدة) ، باستثناء (كما ذكرنا سابقا) محراب قاعة التدريس.

* المقبرة : إن المقبرة حافظت بصفة عامة على أجزائها المختلفة ، إلا أنها شهدت هي الأخرى بعض الترميمات أبرزها :

- استبدال البلاطات الخزفية للجدار الشمالي الشرقي بسبب سقوطها بالكامل .

- إعادة ترميم بعض الأجزاء من الشريط الكتابي الذي يلف بالمقبرة بسبب تعرضه للهشاشة التي سببتها الرطوبة حيث أفقد هذا التلف بعض الكلمات التي لم نستطع قراءتها.

وبالرغم من هذه الترميمات الأخيرة إلا أن المقبرة تعرضت للتصدع خاصة سقف الغرفة الجنائزية الصغيرة التي تحتوي على قبرين (بنت وزوجة صالح باي) ، الذي سقط بالكامل منذ عدة أشهر فقط ، الشيء الذي أدى إلى تلف كبير في البلاطات الخزفية التي تغطي قبر عائشة زوجة صالح باي ، لذلك نطالب السلطات المعنية بترميم هذا الجزء قبل أن يعم التلف كامل المقبرة.

الخاتمة :

من خلال دراستنا لمدرسة ومقبرة صالح باي بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة اتضح لنا العديد من الحقائق التي كنا نجهلها بسبب عدم تطرق الكتاب لتفاصيل هذا النوع من العمائر في الفترة العثمانية ، وأبرز النتائج التي توصلنا إليها :

1- رغم الاختلافات والصراعات التي عاشتها المدينة خلال فتراتها الزمنية إلا أنها خلفت لنا إرثا عمرانيا وفتيا رفيع المستوى ، و تاريخها حافل بالأحداث في مختلف الفترات التاريخية فقد مرت عليها جل الحضارات التي عرّتها منطقة شمال إفريقيا منذ أقدم العصور.

2- لقد تميز صالح باي عن بقية بايات قسنطينة بحبه للعمارة والفنون ، وبالرغم من الاختلافات بين المؤرخين حول شخصية هذا الباى إلا أنه خلف إرثا معماريا وفتيا ساعد المؤرخين والأثريين في دراسة تاريخ المنطقة.

3- تعتبر الأوقاف من أهم المظاهر التي اعتمد عليها في تدعيم المؤسسات الدينية والثقافية من الناحية المادية ، كنا أن ملف صالح باي للأوقاف يساعد الباحثين في مجال تاريخ مدينة قسنطينة في الفترة العثمانية من الناحية الثقافية وكذا في المجال الجغرافي وشخصيات المدينة .

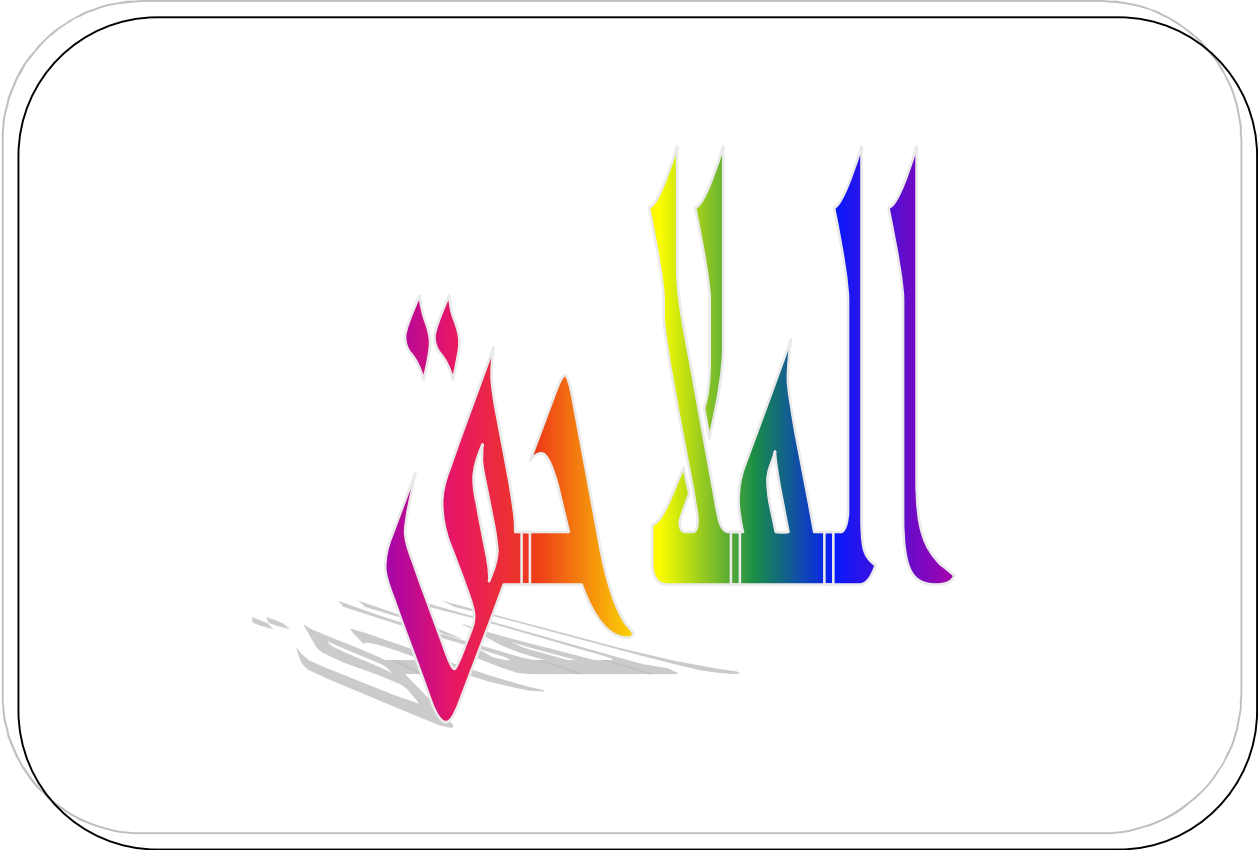
4- لقد حافظت المدرسة الكتانية على المخطط العام للمدارس المغربية إلا أن أهم ما يميزها عن باقي المدارس المغربية هو وجود المقبرة العائلية لصالح باي الواقعة في الجزء الغربي للمدرسة ، كما تتميز هذه المدرسة بالبساطة مقارنة بالمدارس المغربية الأخرى .

5- كما برزت لنا أثناء دراسة هذا الموضوع إشكالية لم يتوصل إلى حل لها وتمثل في عدد الطوابق بالمدرسة هل كانت منذ نشأتها تتكون من طابقين أو طابق واحد ، لم نتوصل إلى نتيجة نهائية بسبب أعمال الترميم التي غطت مواد البناء الأصلية ، وكذا غياب مخطط للمدرسة في الفترة العثمانية ، كما أن الترميمات التي قامت بها الإدارة الاستعمارية لم تذكر التخطيط الأصلي للمدرسة ومن المرجح أنها كانت تتكون من طابقين (طابق أرضي - طابق أول) ، وهذا راجع إلى أن المدارس المغربية كلها تتكون أكثر من طابق بالإضافة إلى عدم تسجيل الإدارة الفرنسية لهذه النقطة في الترميمات ، والبحث في هذه النقطة بالتحديد يبقى مفتوح أمام الباحثين والدارسين.

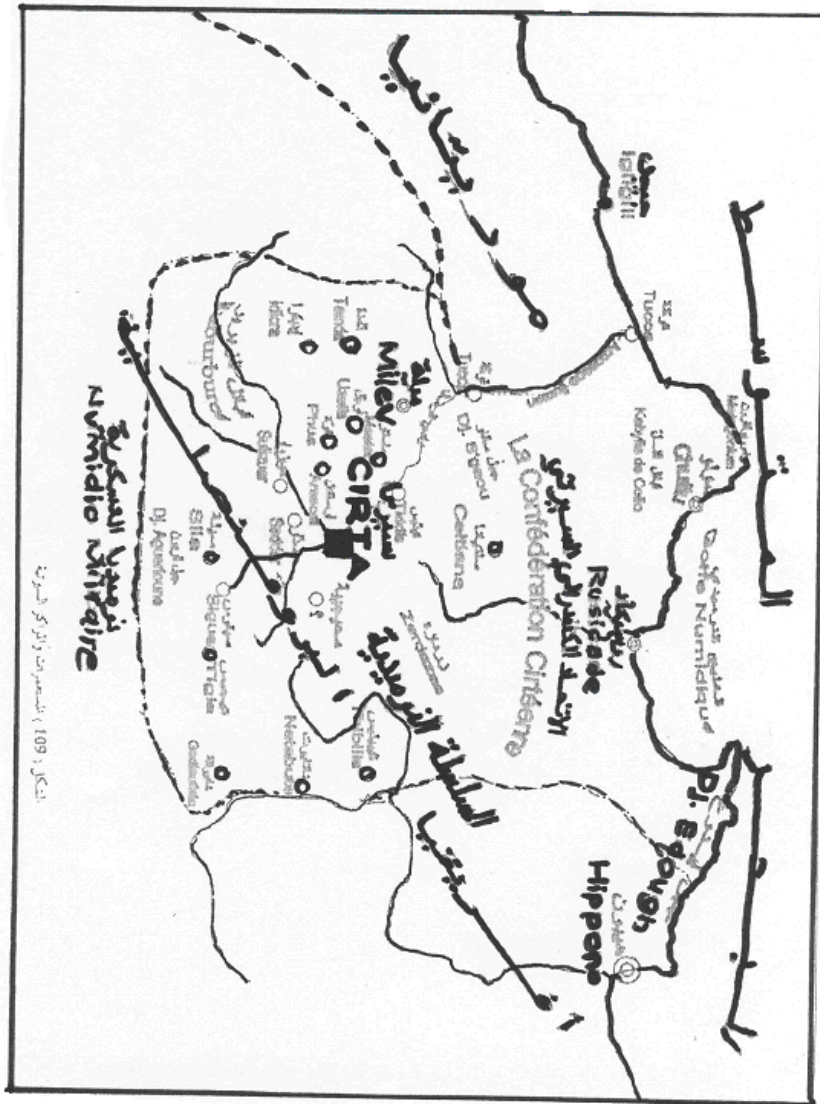
6- لقد اعتمد الفنان على جل العناصر المعمارية في إضفاء مظهر جمالي على المدرسة والمقبرة وتمثل في : العقود - الأقواس - التيجان - القباب . فالعقود قد حافظت على شكلها الذي كان شائعا بالمنطقة قبل هذا العصر كما عرفت الأبدان تنوعا في الأشكال ، كما تنوعت الزخارف وبالتالي تنوعت الصناعات المستعملة في سبيل ذلك.

7- تنوعت الزخارف من النباتية والهندسية والكتابية على الزخارف الحيوانية فنذكر من النباتية ورقة الأكانتس زهرة القرنفل ، ثمار البرتقال ، عناقيد العنب ، أما العناصر الهندسية فقد تنوعت بين المربعات ، المثلثات ، المعينات والملاحظ أن الخط الشائع في العمارة العثمانية خط الثلث.

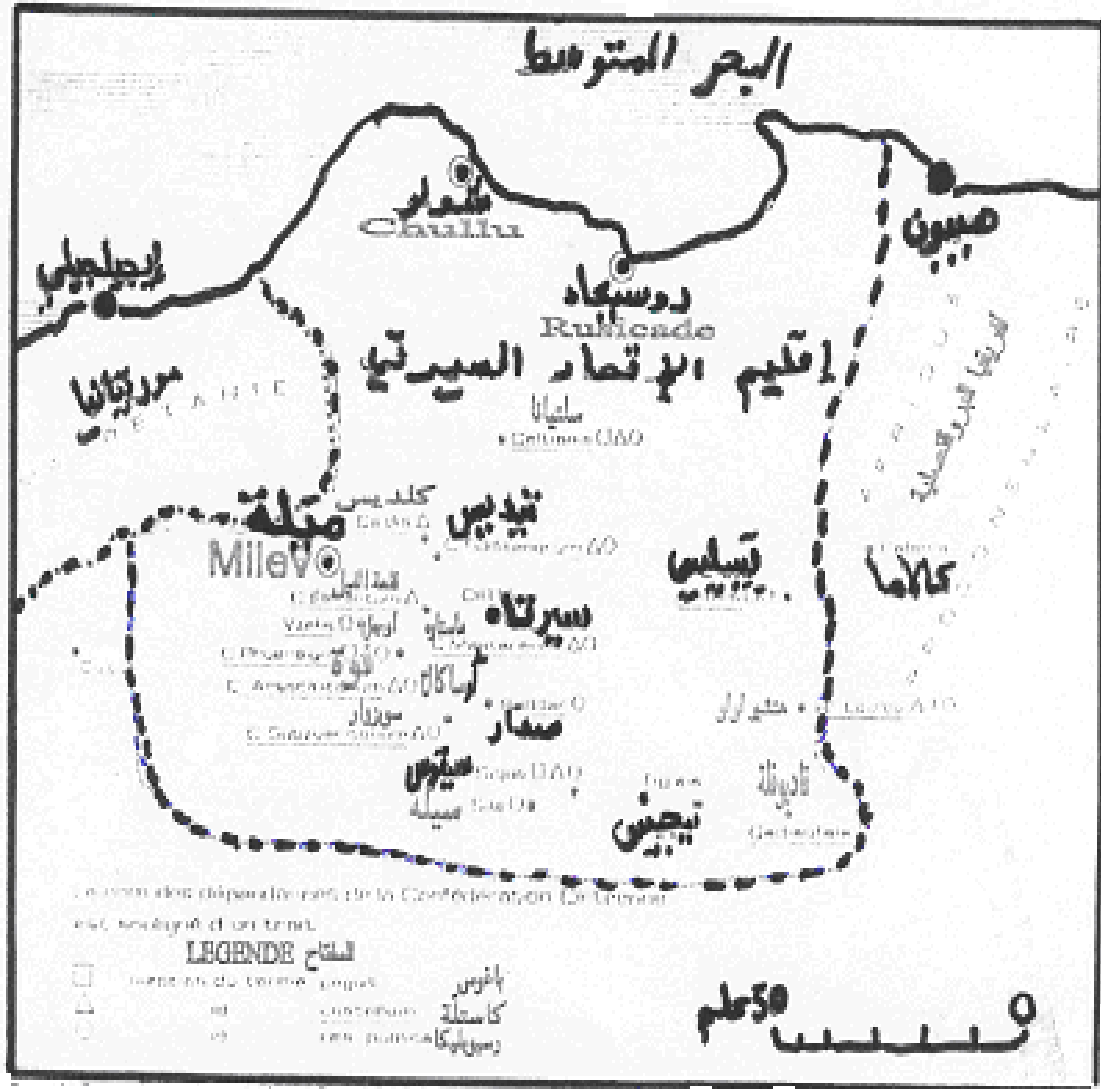
- 8- استغل المسلمون كافة مواد البناء الإنشائية من خشب وجص وزجاج ورخام وآجر ومعادن ووظفوها لصالح البناء بصورة جميلة وفريدة . حيث استعمل في هذه المنشأة جل المواد البنائية المستعملة في الفترة العثمانية .
- 9- بالرغم من ندرة الرخام الأسود إلا أن صالح باي إستورده من إيطاليا ، وهذا إن دل فإنما يدل على رقي حسه الفني .
- 10- استخدم الخشب في باي بيت التدريس والنادي حاليا الذين بقيا شاهدين على الصناعة الخشبية (باب النادي غير مؤكد انه من العهد العثماني)
- 11- لم يكتفي الفنان الجزائري في الفترة العثمانية بما هو موجود من أنواع الزخارف المعمارية التي جاء تأثيرها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي بل اقتبس عن الفن الأوروبي (إيطاليا).
- 12- تنوعت أساليب وطرق الزخرفة من حفر على الخشب ونحت على الرخام وكذا طلاءات تلوينية مختلفة وهذا يدل على تطور الذوق للفنانين في هذه الفترة وكذا تنوع أساليب الزخرفة يبرز تطور الصناعات في هذا المجال .
- ومن كل ماسبق فإن موضوع المدارس والتعليم في الفترة العثمانية يحتاج إلى مزيد من التمهيد من طرف الباحثين في مجال التاريخ والآثار ، فلا عجب أن يكون جل المجتمع الجزائري مثقفا في هذه الفترة عكس ما روجت له السلطة الإستعمارية الفرنسية ، وما المراكز والقوانين التي نظمت التعلم في هذه الفترة إلا دليل على ذلك .



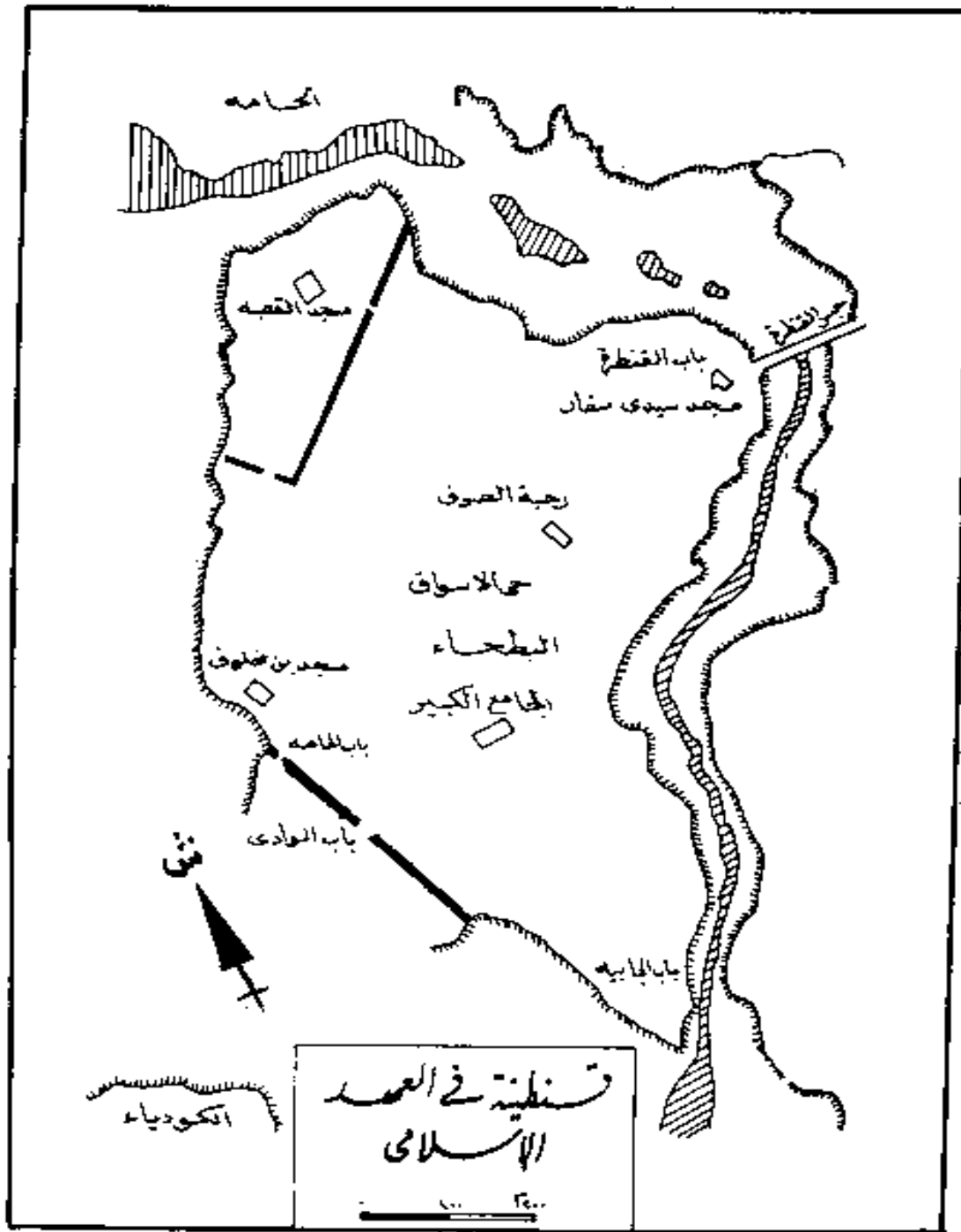
ملحق الفرائط



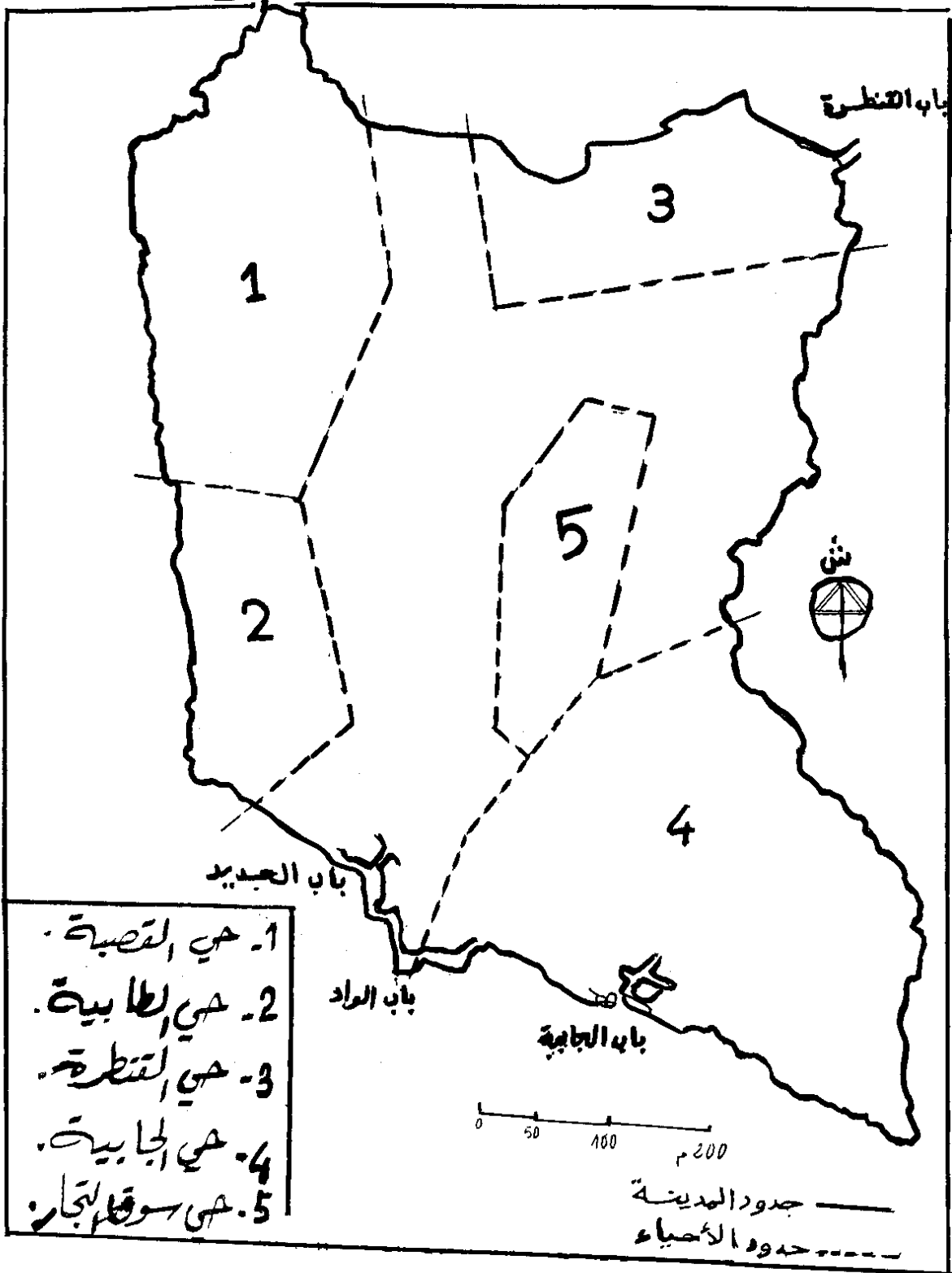
الخريطة 01 : المستعمرات والمراكز السيرية



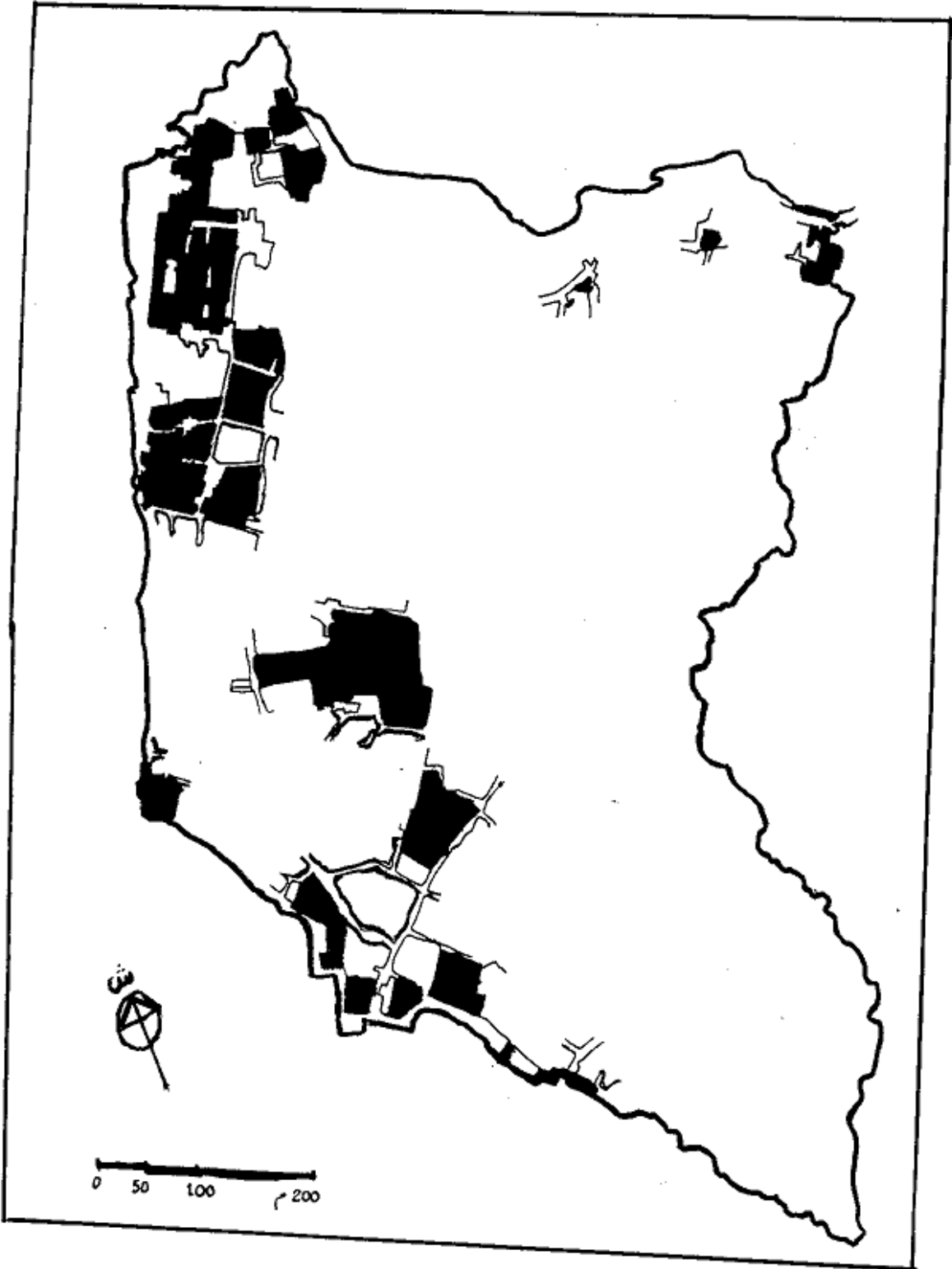
الخريطة رقم (02)- المراكز التابعة لسيرتا عن (Gascor)



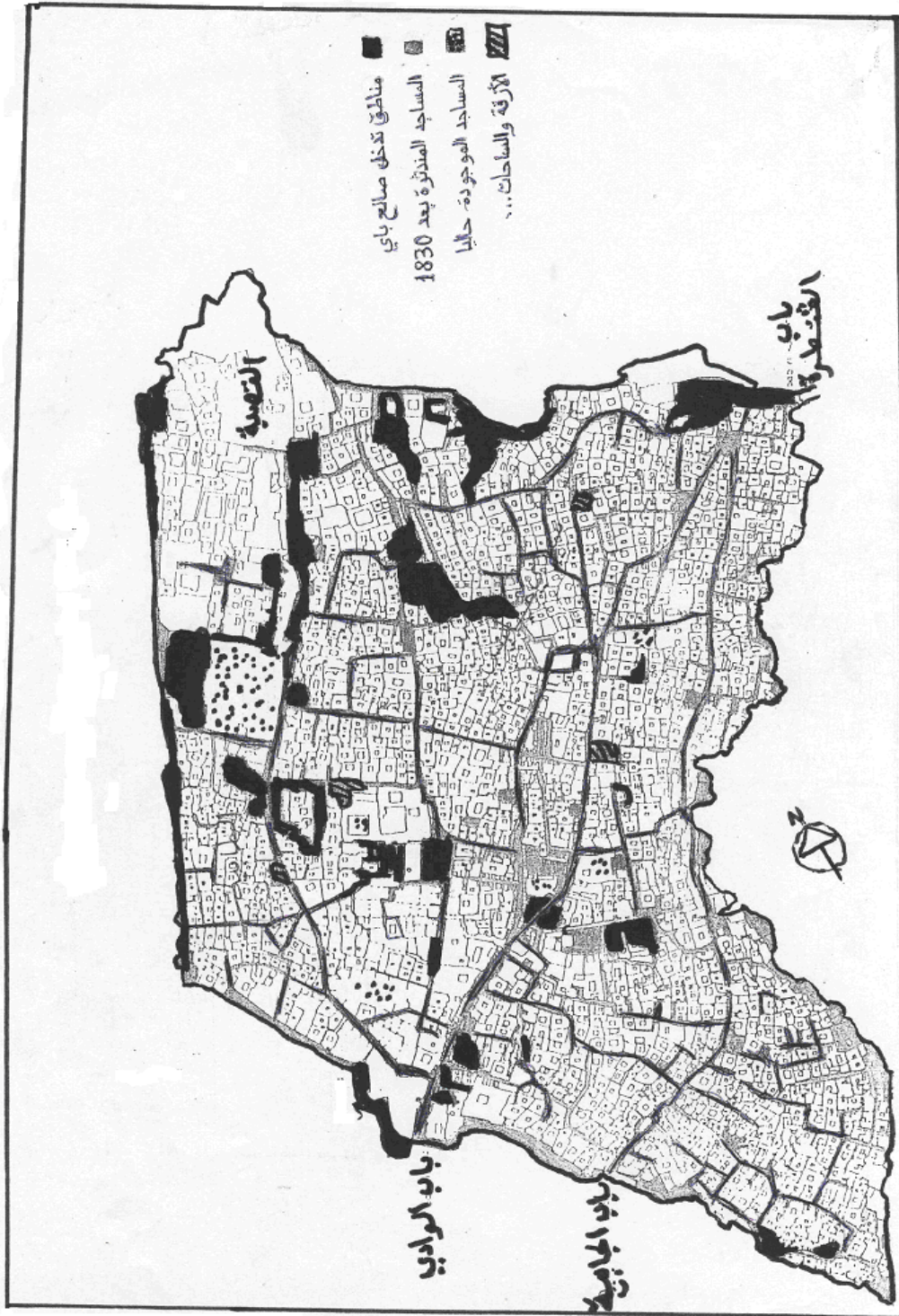
الخريطة رقم (03) : قسطنطينة في العهد الإسلامي



الخريطة رقم (04) - التقسيمات الكبرى للمدينة



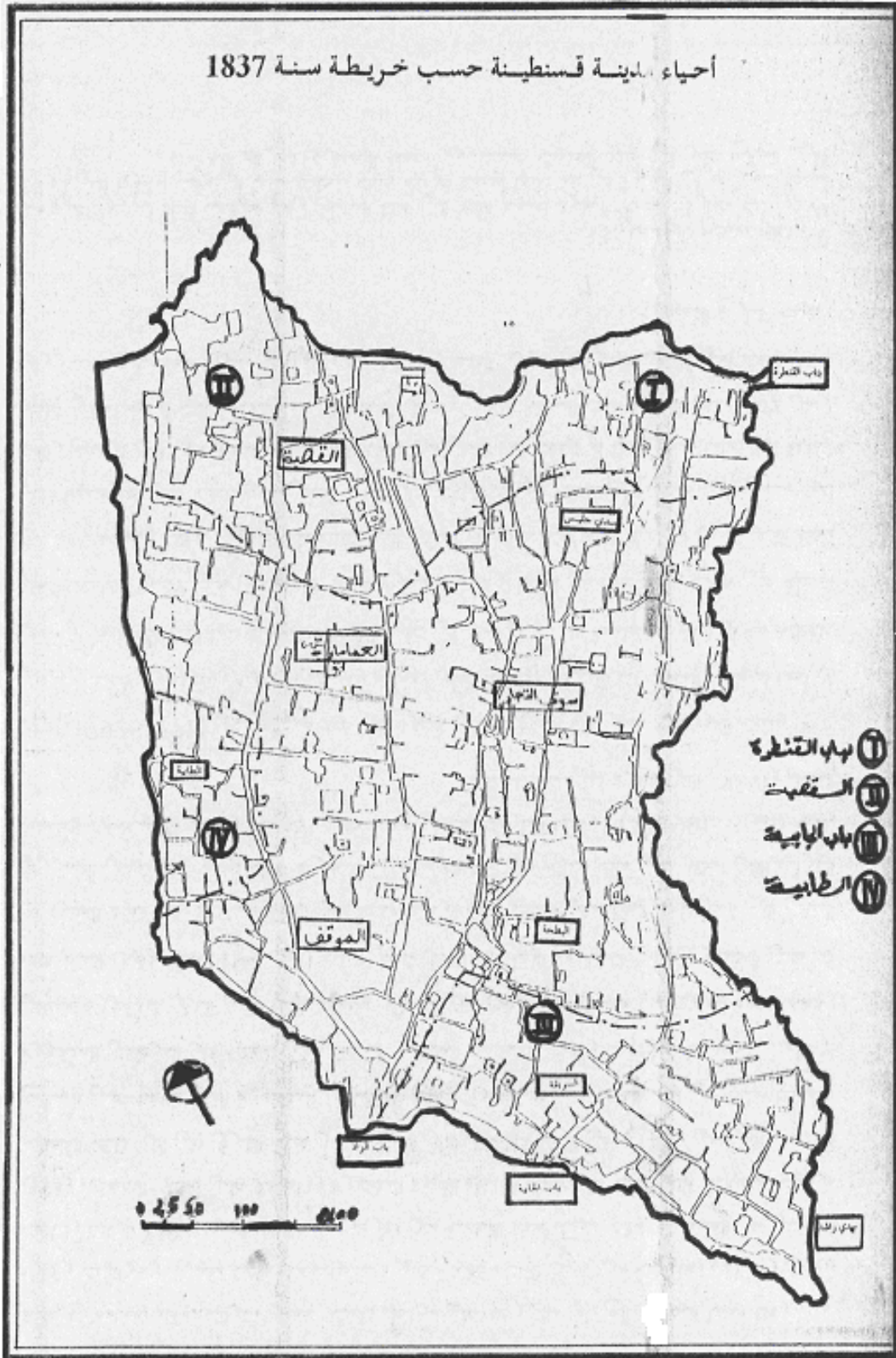
الخريطة رقم (05)- المنشآت العسكرية بالمدينة



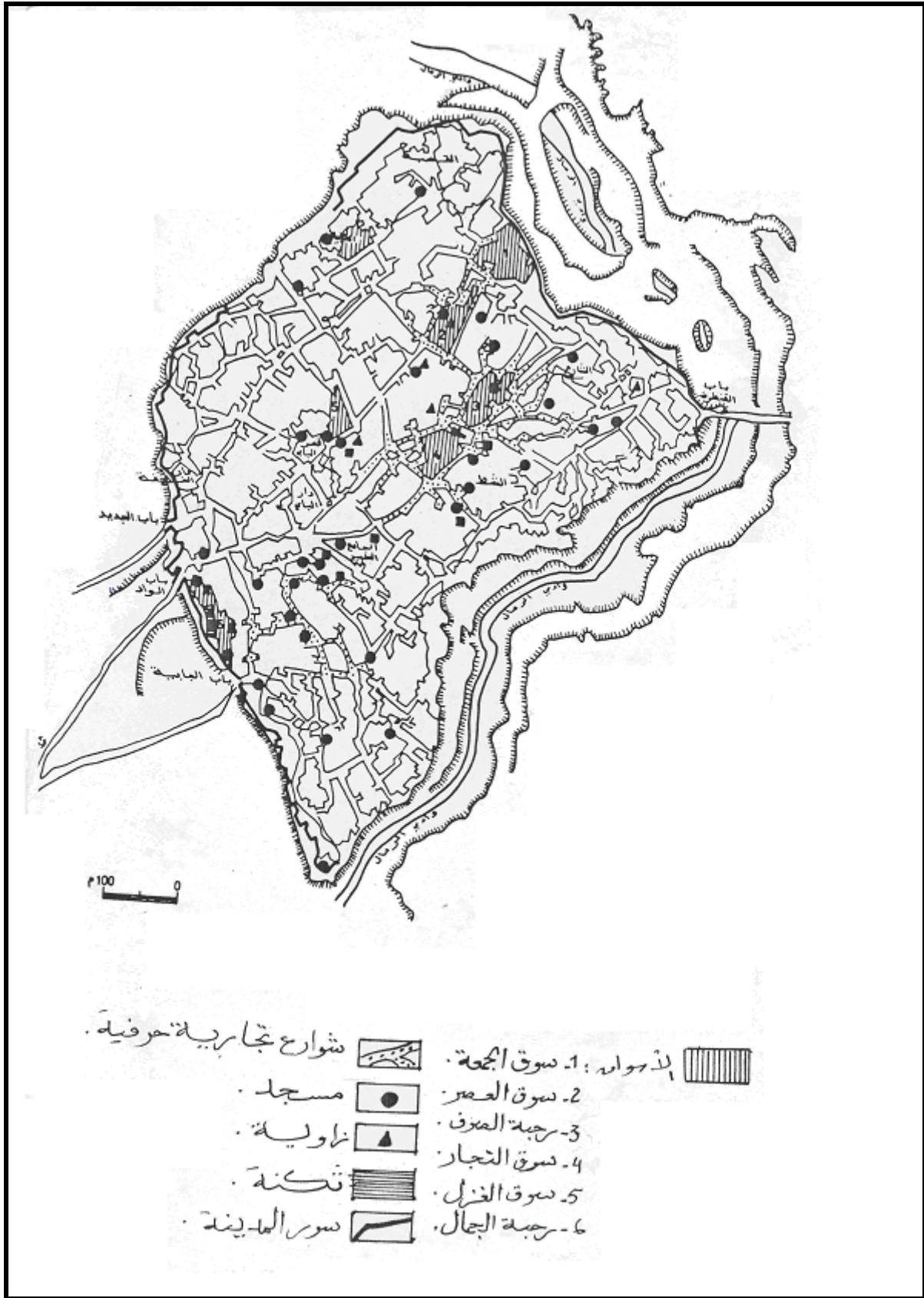
الخريطة رقم (06) - مواقع التدخل العمراني لصالح باي 1771-1792م

عن (قشي فاطمة الزهراء)

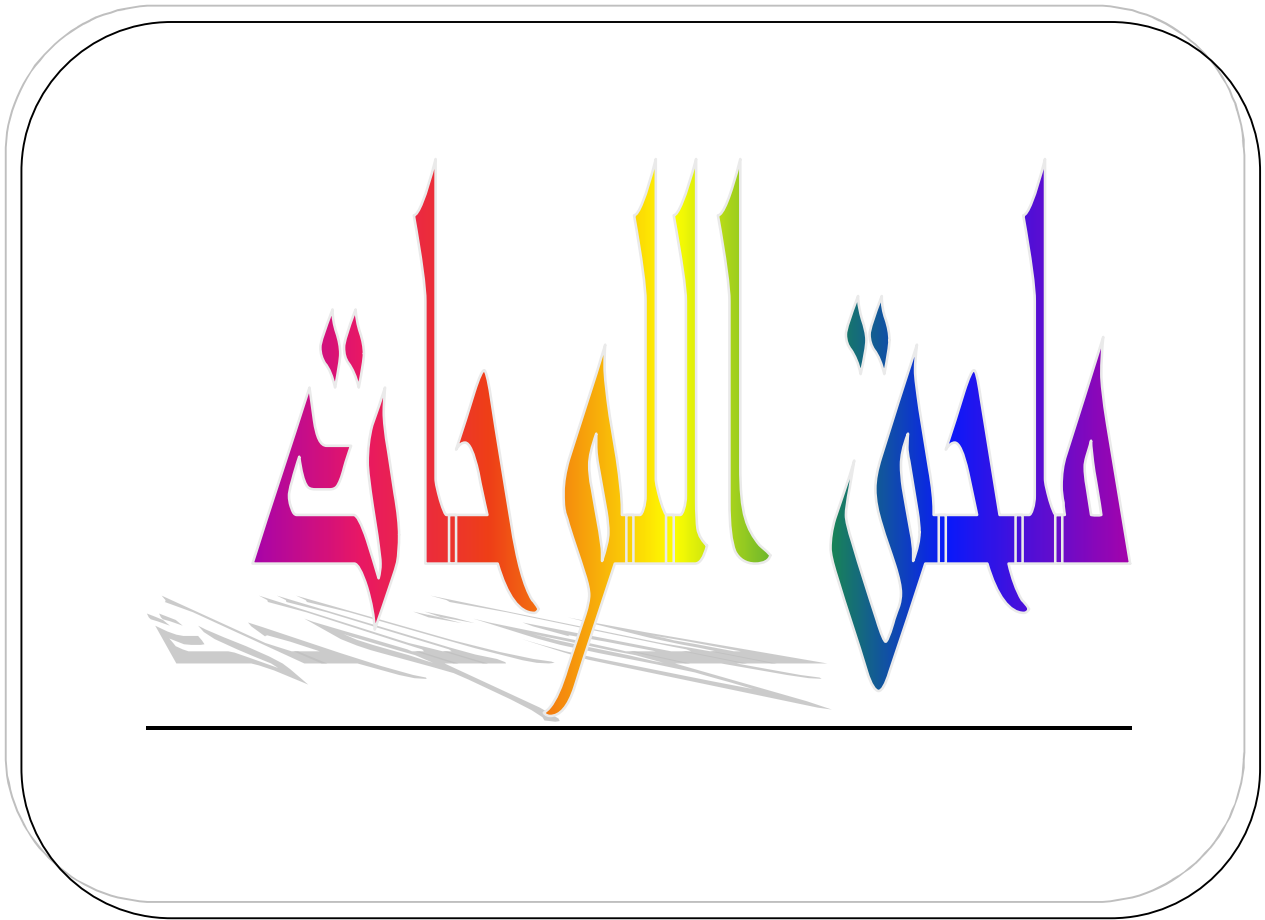
أحياء مدينة قسنطينة حسب خريطة سنة 1837



خريطة رقم : 07- أحياء قسنطينة سنة 1837 عن (لعروق)



خريطة رقم : 08 - قسطنطينة في العهد العثماني





اللوحة رقم 01- حي سوق العصر في الفترة الإستعمارية



اللوحة رقم 02 – سوق العصر في الفترة الإستعمارية



اللوحة رقم 03 – سوق العصر في النصف الثاني من القرن 19م.



اللوحة رقم 04 المدرسة والجامع الكتاني سنة 1906م.



اللوحة رقم 05- تحول المدرسة إلى مركز للإتصالات خلال ح.ع.2



اللوحة رقم 06- سوق العصر وواجهة المدرسة في الفترة الحالية



اللوحة رقم 07- المدخل الرئيسي للمدرسة.



اللوحة رقم 08- الرواق الذي يلي مدخل المدرسة.



اللوحة رقم 09- السلم المؤدي إلى الطابق العلوي.



اللوحة رقم 10- صحن المدرسة.



اللوحة رقم 11- الأقواس المطلة على الصحن.



اللوحة رقم 12- زخارف واجهة المقبرة



اللوحة رقم 13- جدار القبلة في قاعة التدريس.



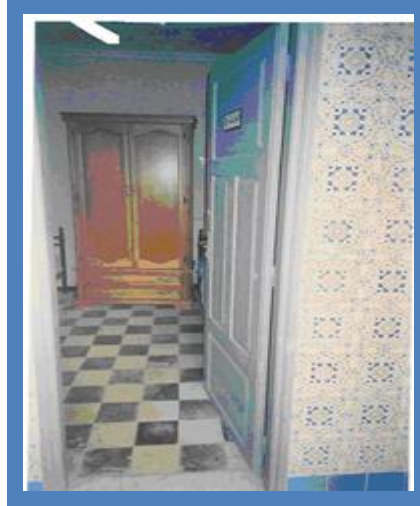
اللوحة رقم 14- محراب قاعة التدريس



اللوحة رقم 15- عقد المحراب.



اللوحة رقم 16- عمود رخامي في محراب قاعة التدريس تحيط به مجموعة من البلاطات الخزفية.



اللوحة رقم 17- إحدى غرف الطلبة بعد الترميمات.



اللوحة رقم 19 - طريقة تسقيف المقبرة



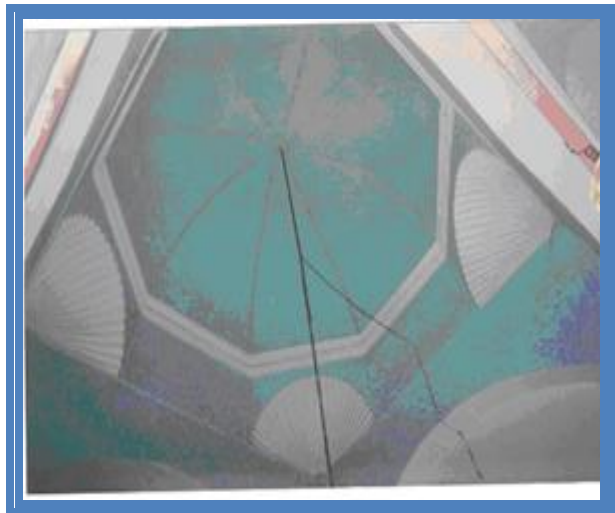
اللوحة رقم 18- طريقة تسقيف الأروقة



اللوحة رقم 20- بوابة المقبرة العائلية لصالح باي.



اللوحة رقم 21- مقبرة صالح باي (صورة قديمة).



اللوحة رقم 22- قبة المقبرة.



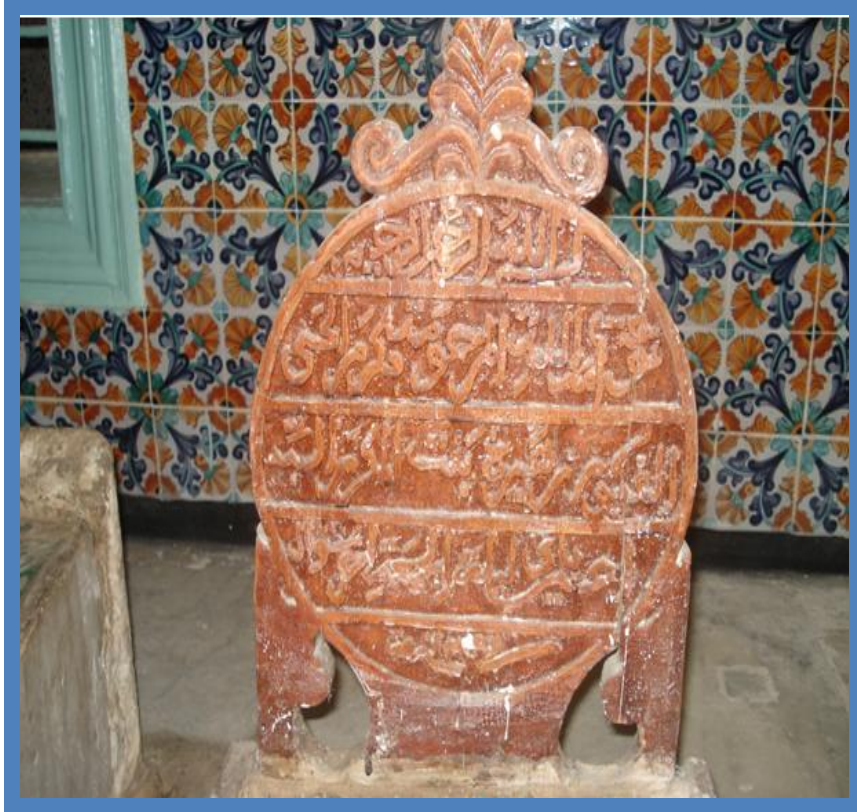
اللوحة رقم 23- الغرفة الجنائزية التي تحوي قبري ابنة وزوجة صالح باي.



اللوحة رقم 24- نموذج من الأعمدة وتيجانها (المتواجدة في الأروقة)



اللوحة رقم 25- الطابق العلوي من المدرسة.



اللوحة رقم 26- شاهد قبر السيدة زهيرة بنت صالح باي.



اللوحة رقم 27- بوابة قاعة التدريس.



اللوحة رقم 28- القسم العلوي من بوابة قاعة التدريس.



اللوحة رقم 29- بلاطات ذات زخارف هندسية ونباتية (أوراق وثمار البرتقال).



اللوحة رقم 30- تجميعة من بلاطات تمثل زهرة قرنفل.



اللوحة 31-مجموعة من البلاطات الخزفية تغطي ضريح أمينة بنت صالح باي



اللوحة رقم 32- شاهد قبر خدوجة بنت عبد الله بن صالح باي.



اللوحة رقم 33- تجميعة من بلاطة خزفية غطيت بها أجزاء كثيرة من المدرسة.



اللوحة رقم 34- شاهد قبر خدوجة بنت صالح باي.



اللوحة رقم 35 : كيفية توزيع الغرف في الطابقين



اللوحة رقم 36- شاهد قبر (القدمين) رخامي به زخرفة نباتية.



اللوحة رقم 37- شاهد قبر (القدمين) ءامنة بنت صالح باي



اللوحة رقم 38- تجميعية خزفية تمثل أربع مثلثات تلتقي رؤوسها في مراكز التجميعية .



اللوحة رقم 39- شاهد قبر رخامي للسيد صالح باي.



اللوحه رقم 40- أربع تجميعات من نفس النوع تشكل تصميم زخرفي قوامه دائرة تتوسطها نجمة وتحيط بها لفائف ورقية وأزهار قرنفل.



اللوحه رقم 41- كتابة في الجدار المقابل للبوابه الرئيسية عبارة عن أبيات شعرية



اللوحة رقم 42- كتابة في الجدار الشمالي الغربي للمقبرة



اللوحة رقم 43- شاهد (القدمين) متواجد في قبر خدوجة بنت عبد الله



اللوحه رقم 44- شاهد قبر ءامنة بنت صالح باي



اللوحه رقم 45- شاهد قبر المرابطه عائشه بنت صالح باي



اللوحة رقم 46- شاهد قبر فاطمة بنت صالح باي



اللوحة رقم 47- شاهد (القدمين) متواجد في قبر فاطمة بنت صالح باي



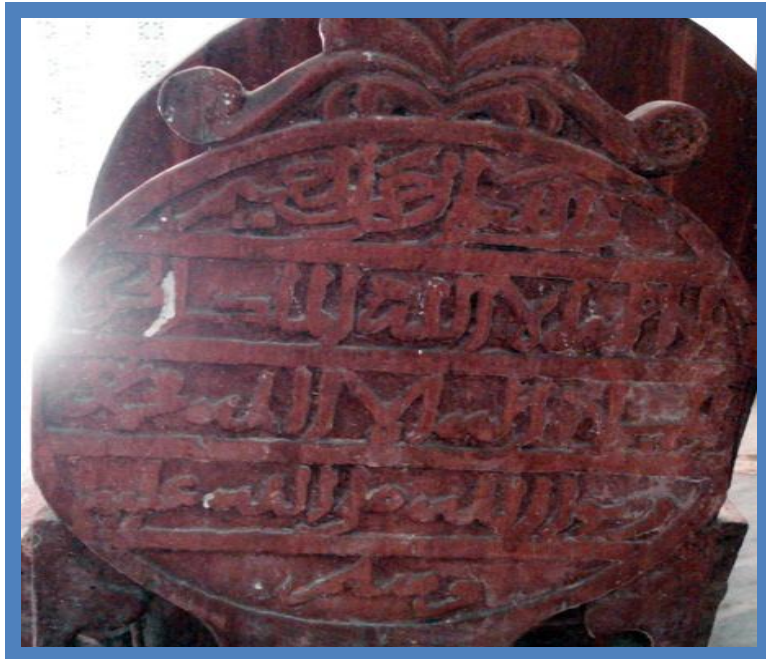
اللوحة رقم 48- شاهد قبر يامنة بنت محمد بن صالح باي



اللوحة رقم 49- شاهد قبر عائشة زوجة صالح باي.



اللوحة رقم 50- شاهد قبر إحدى بنات صالح باي.



اللوحة رقم 51- شاهد قبر (القدمين) فاطمة بنت صالح باي.



اللوحة رقم 52-شاهد قبر زهيرة بنت أحمد باي



اللوحة رقم 53- شاهد قبر مصطفى بن صالح باي



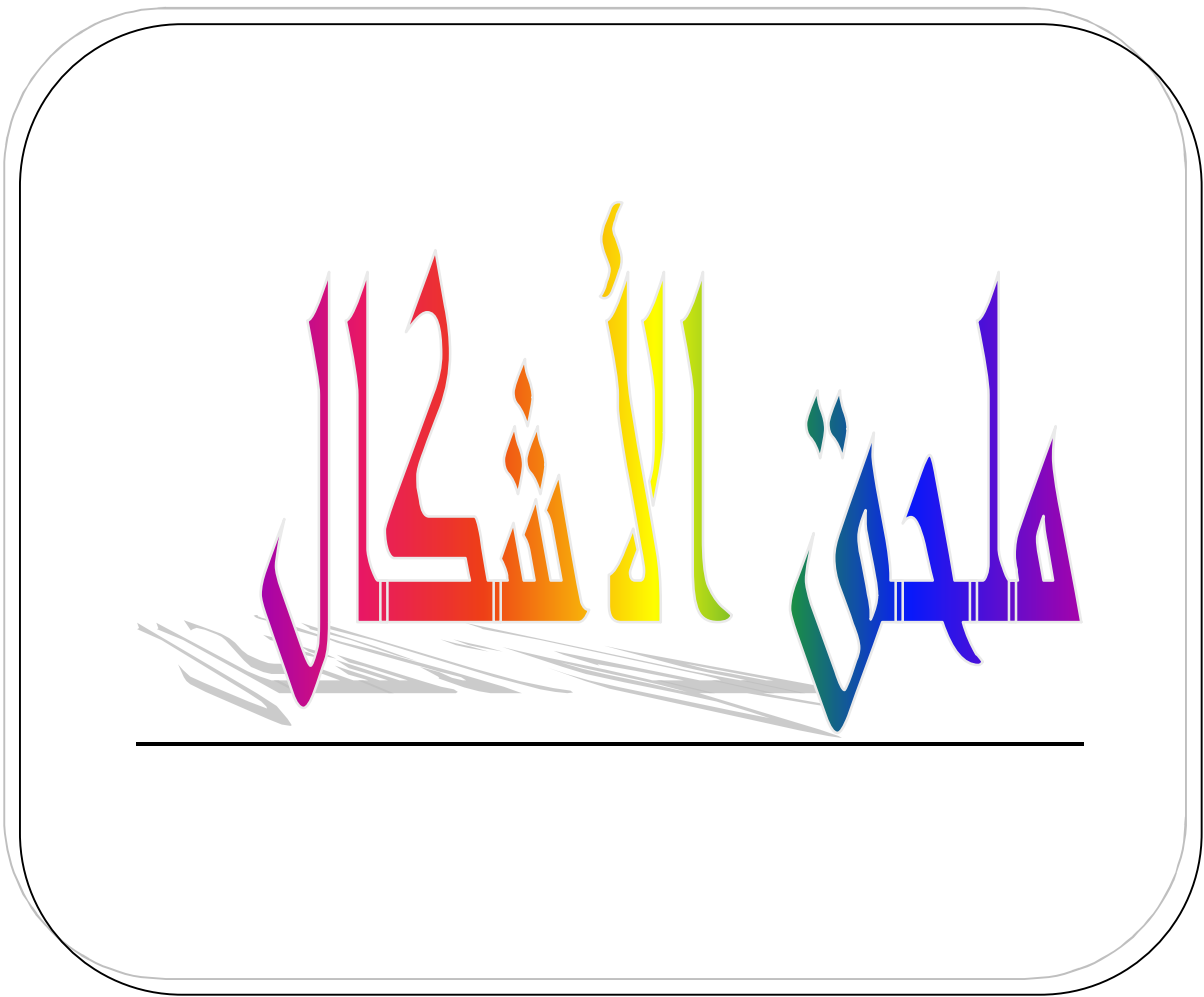
اللوحة رقم 54- شواهد القبور ذات العمامات

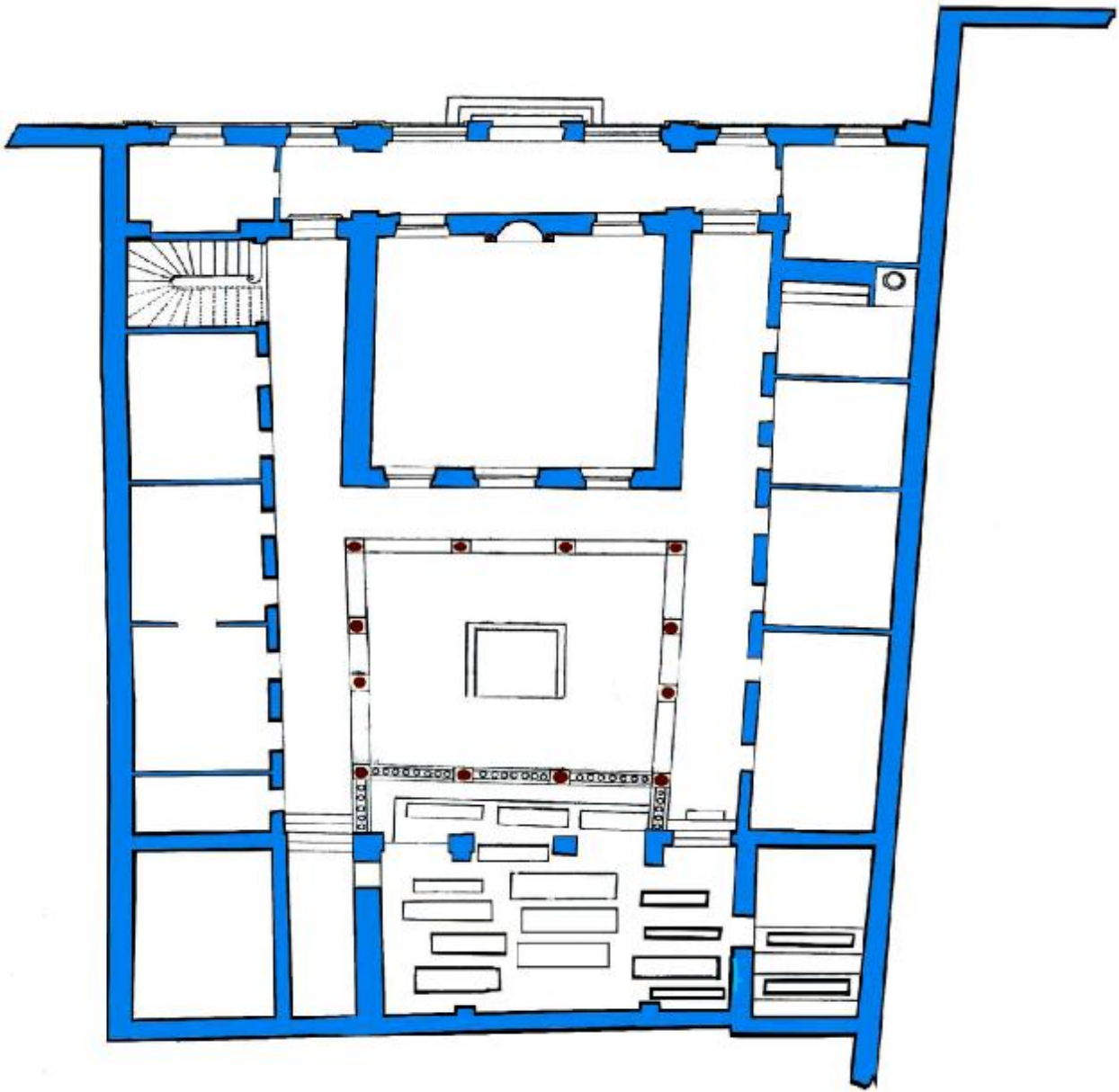


اللوحة رقم 55- سقف المدرسة



اللوحة رقم 56- ثريا (مصباح) متواجدة أسفل قبة المقبرة



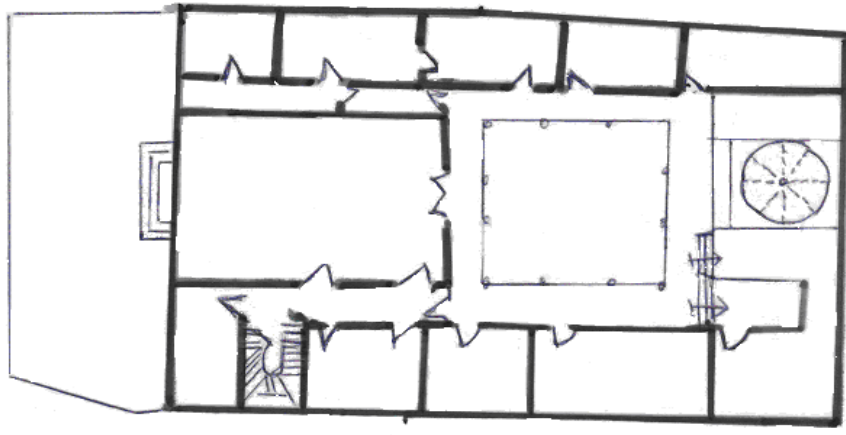


8 م 0



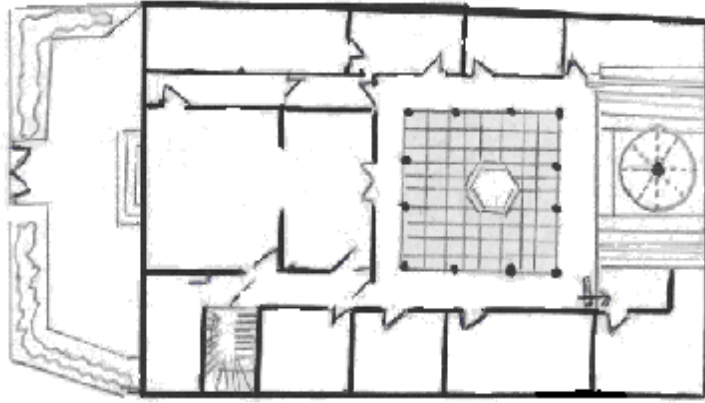
الشكل رقم 01 / مدرسة سيدي الكتاني - الطابق الأرضي -

(عن محفوظات الوكالة لوطنية للآثار) - بتصريف -



1 سم / 200 سم

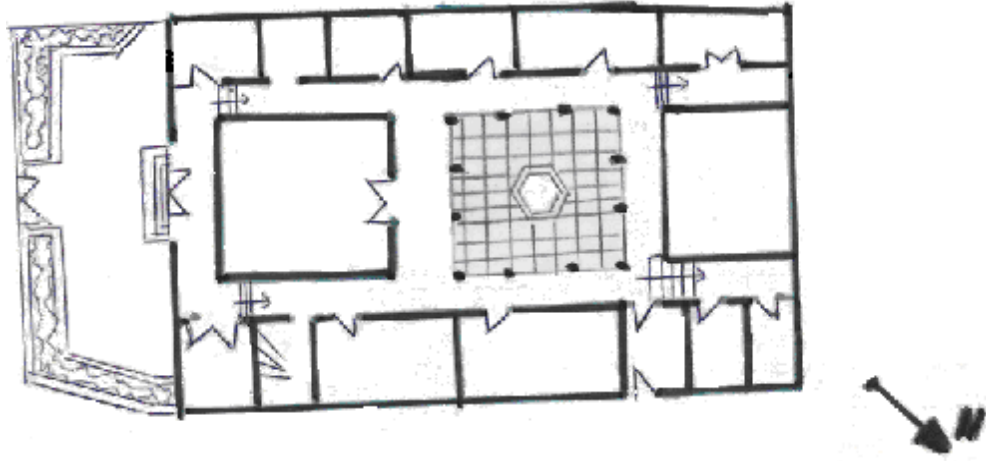
الشكل رقم 02 : مخطط الطابق العلوي للمدرسة قبل الترميم



مساحة 200 / م²

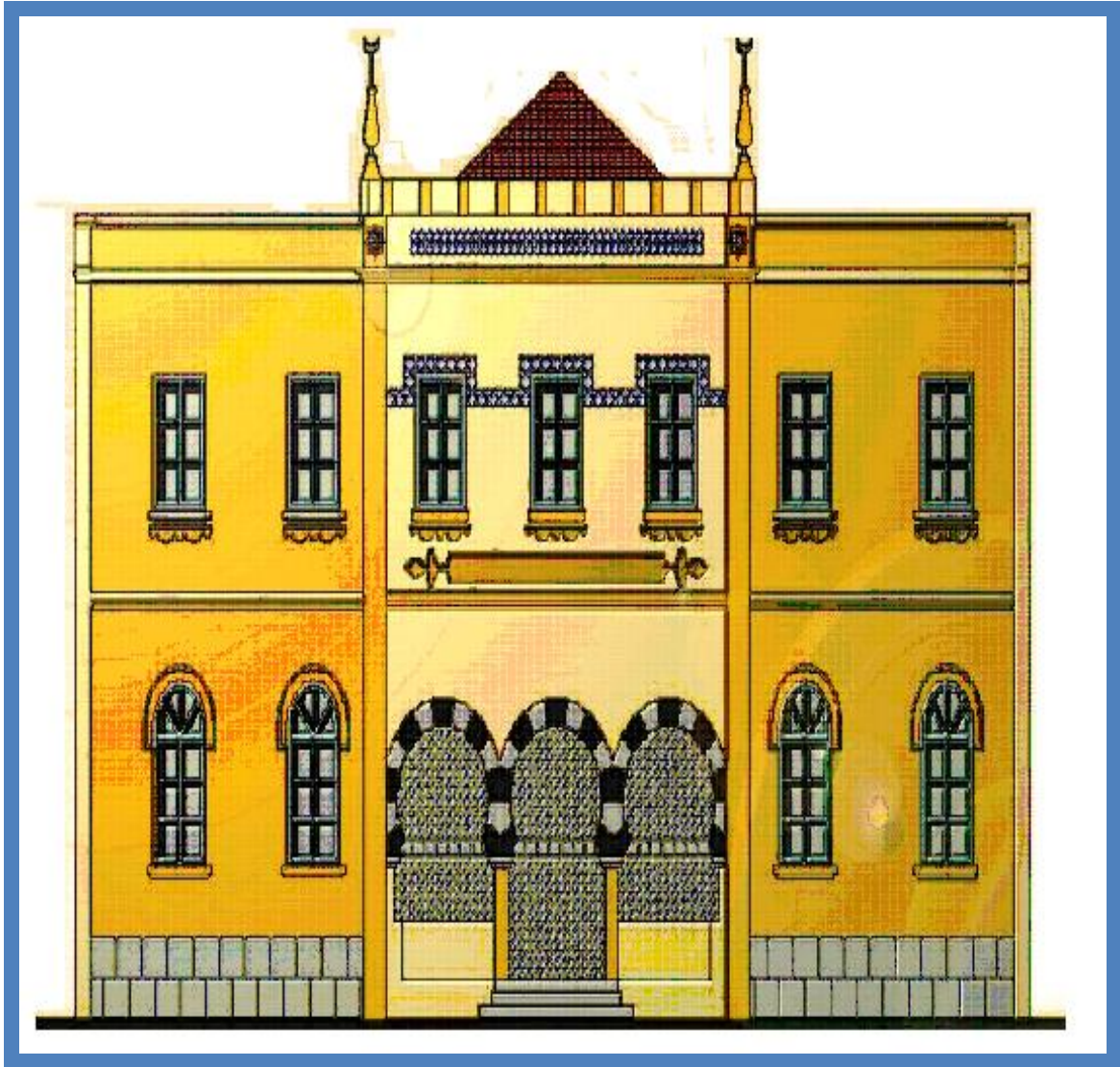


الشكل رقم 03 : مخطط الطابق الأرضي للمدرسة بعد الترميم



مساحة / م² 200

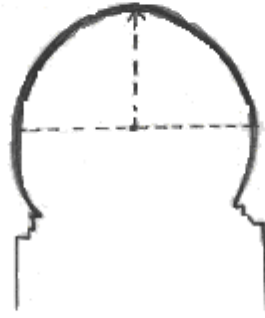
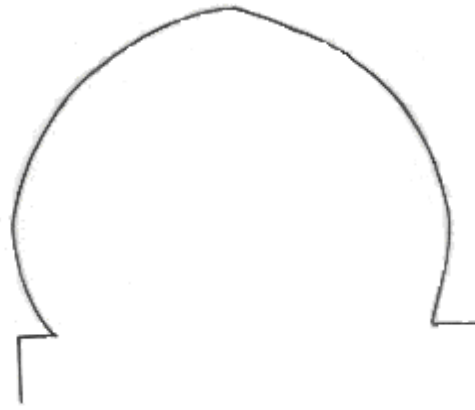
الشكل رقم 04 : مخطط الطابق العلوي للمدرسة بعد الترميمات



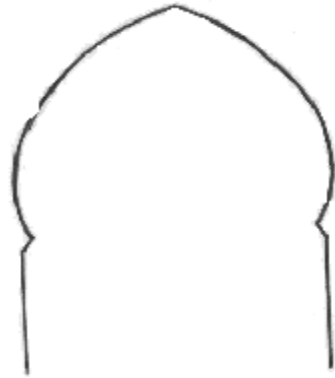
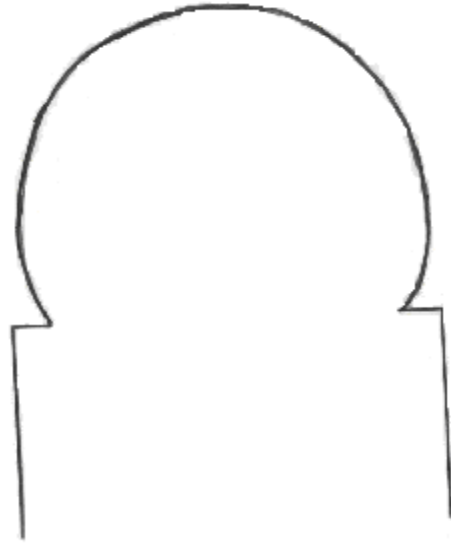
الشكل رقم 05 : واجهة المدرسة الكتانية



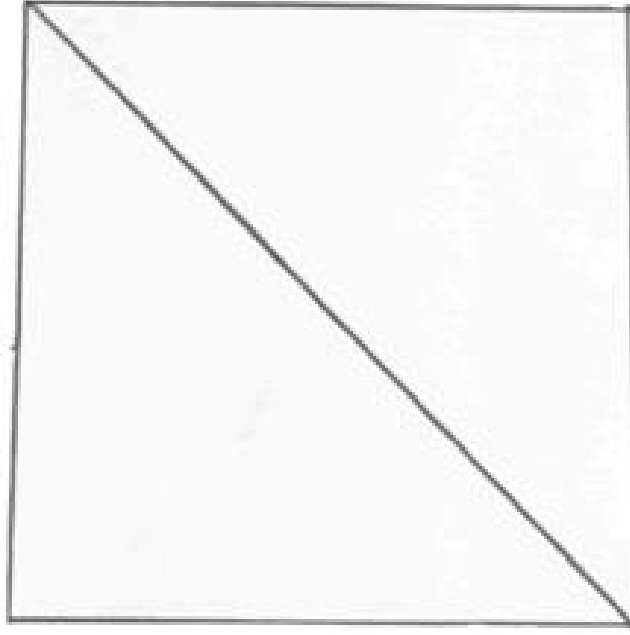
الشكل رقم 06 : نموذج من الأعمدة المستعملة في المدرسة



الشكل رقم 07: عقود الأروقة المطلة على الصحن



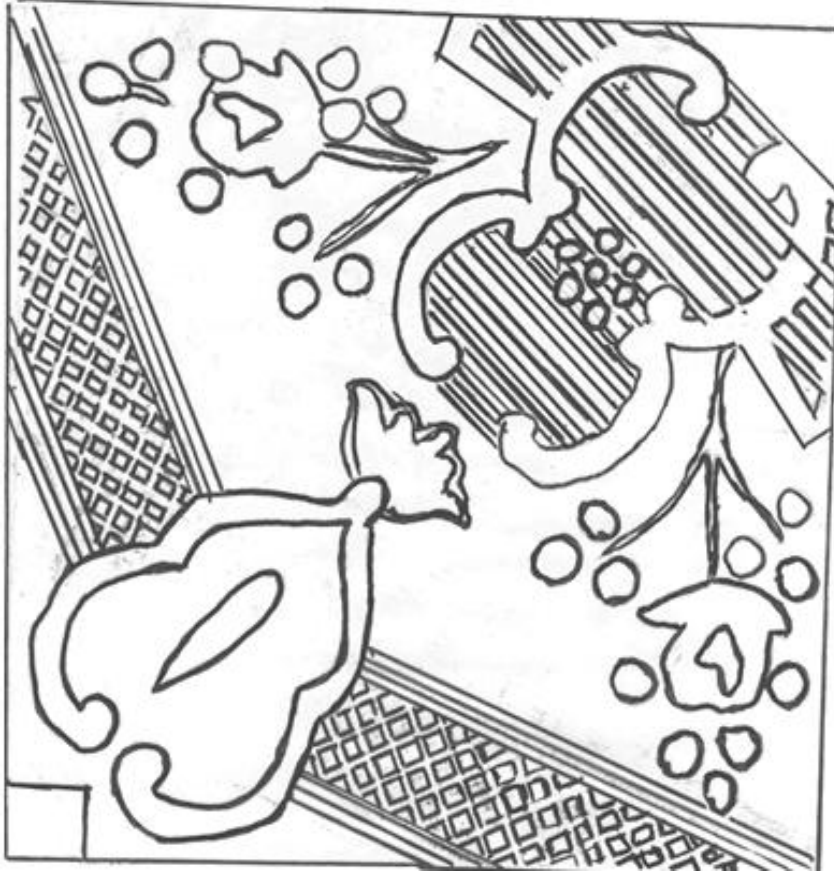
الشكل رقم 08 : عقود جدار المقبرة المطلة على الصحن



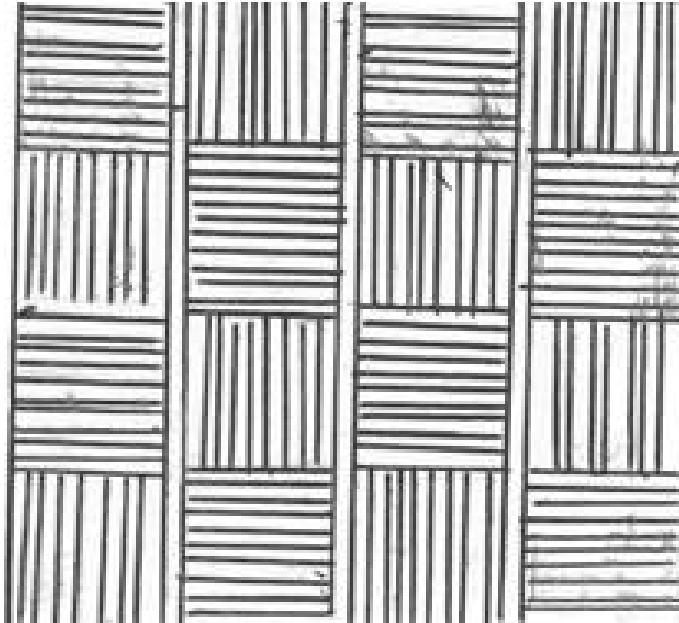
الشكل رقم 09 : بلاطة خزفية تمثل عنصر الخطاف التونسي



الشكل رقم 10 : بلاطة خزفية متواجدة في محراب بيت الصلاة



الشكل رقم 11: بلاطة ذات زخارف هندسية ونباتية وأزهار قرنفل محورة



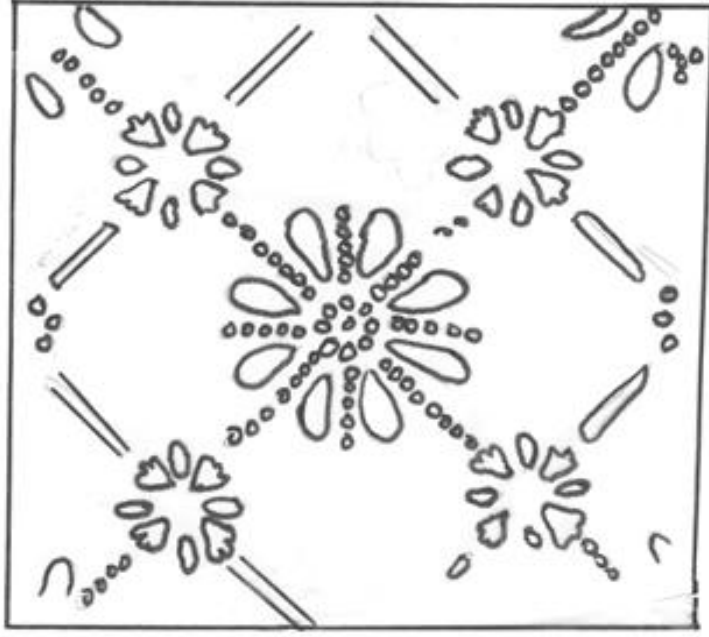
الشكل رقم 12: بلاطة تشكل شريط وهي متواجدة في محراب قاعة التدريس



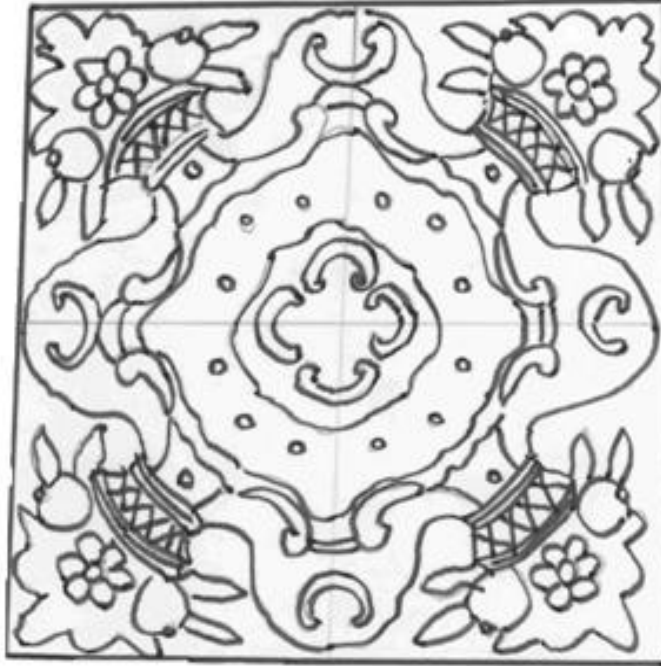
الشكل رقم 13 : بلاطة خزفية يتألف مركزها من عناصر نباتية تتمثل في أوراق وسيقان



الشكل رقم 14 : نموذج هولندي غير مكمل موضوعه عناصر هندسية ونباتية



الشكل رقم 15: بلاطة خزفية تحتوي على زخارف نباتية وهندسية وهي موجودة في قبر أمنة



الشكل رقم 16: تجميعة من بلاطات ذات زخارف هندسية ونباتية (ثمار وأوراق البرتقال)



الشكل رقم 17: بلاطة منفردة من الشكل السابق (شكل 16)



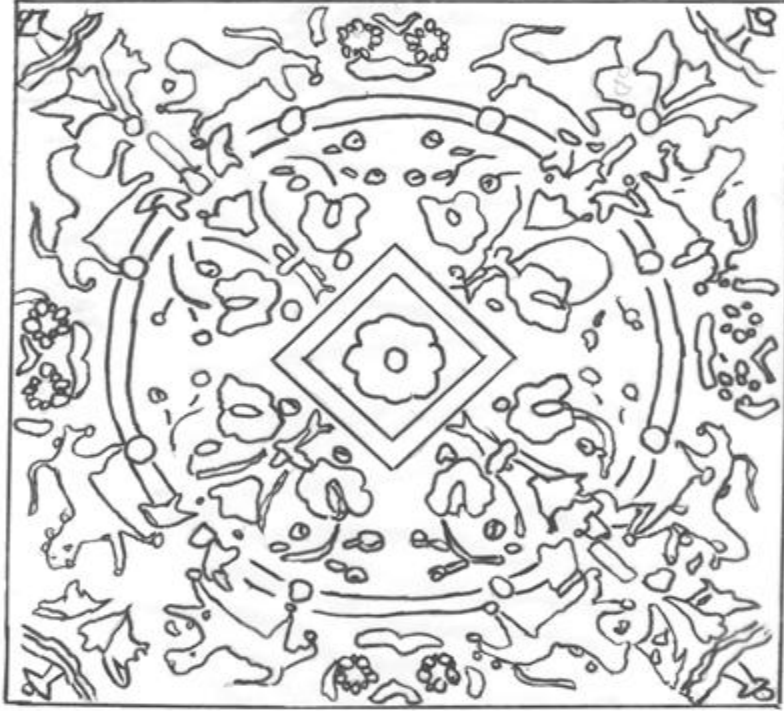
الشكل رقم 18: زخرفة نباتية وهندسية تمثل ورقة الأكانتس رسمت على محور مائل



الشكل رقم 19: بلاطة بها تصميم زخرفي قوام زخارفه أزهار قرنفل تحيط بحلية نباتية مركزية



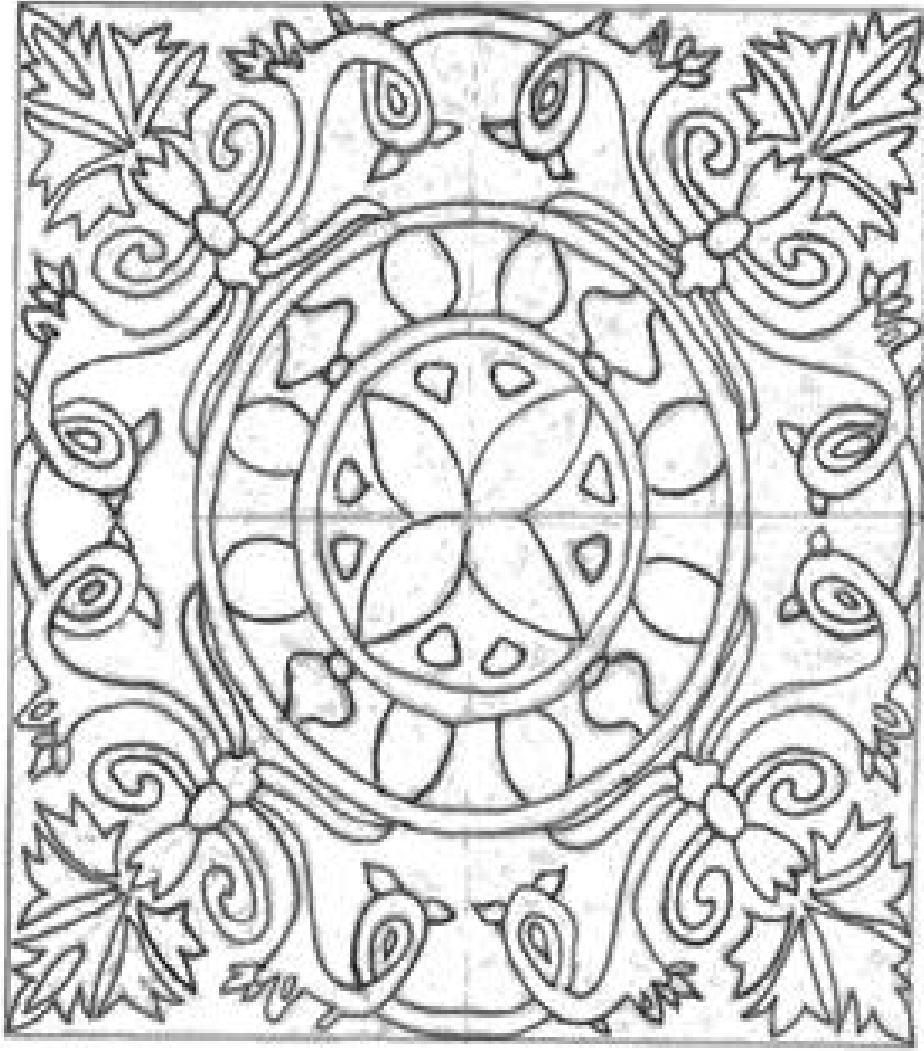
الشكل رقم 20: بلاطة مؤلفة من خطوط ذات خطوط منكسرة وأقواس



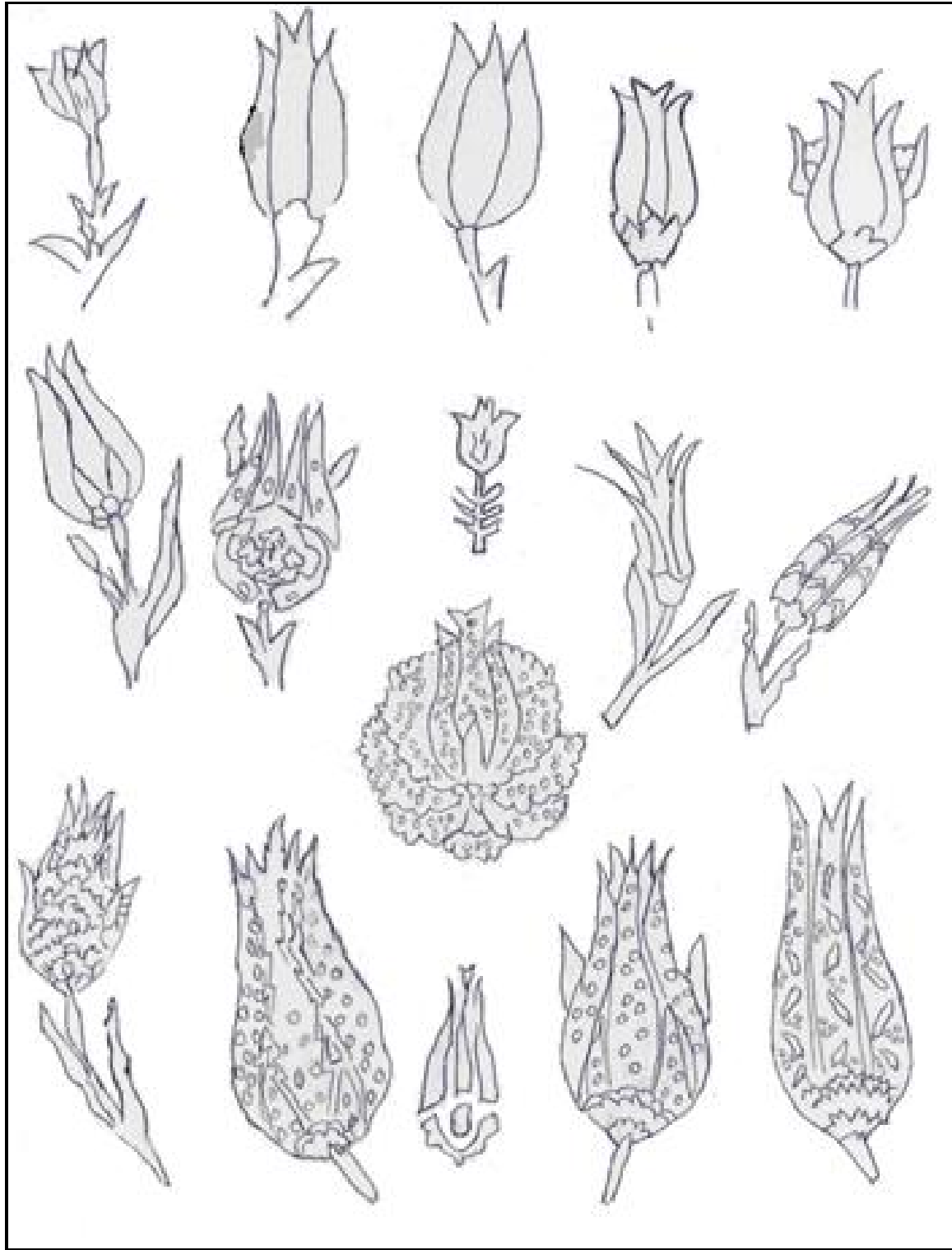
الشكل رقم 21: بلاطة خزفية غطيت بها أجزاء مختلفة من المدرسة وتحتوي على زخارف نباتية وهندسية وكذا حيوانية



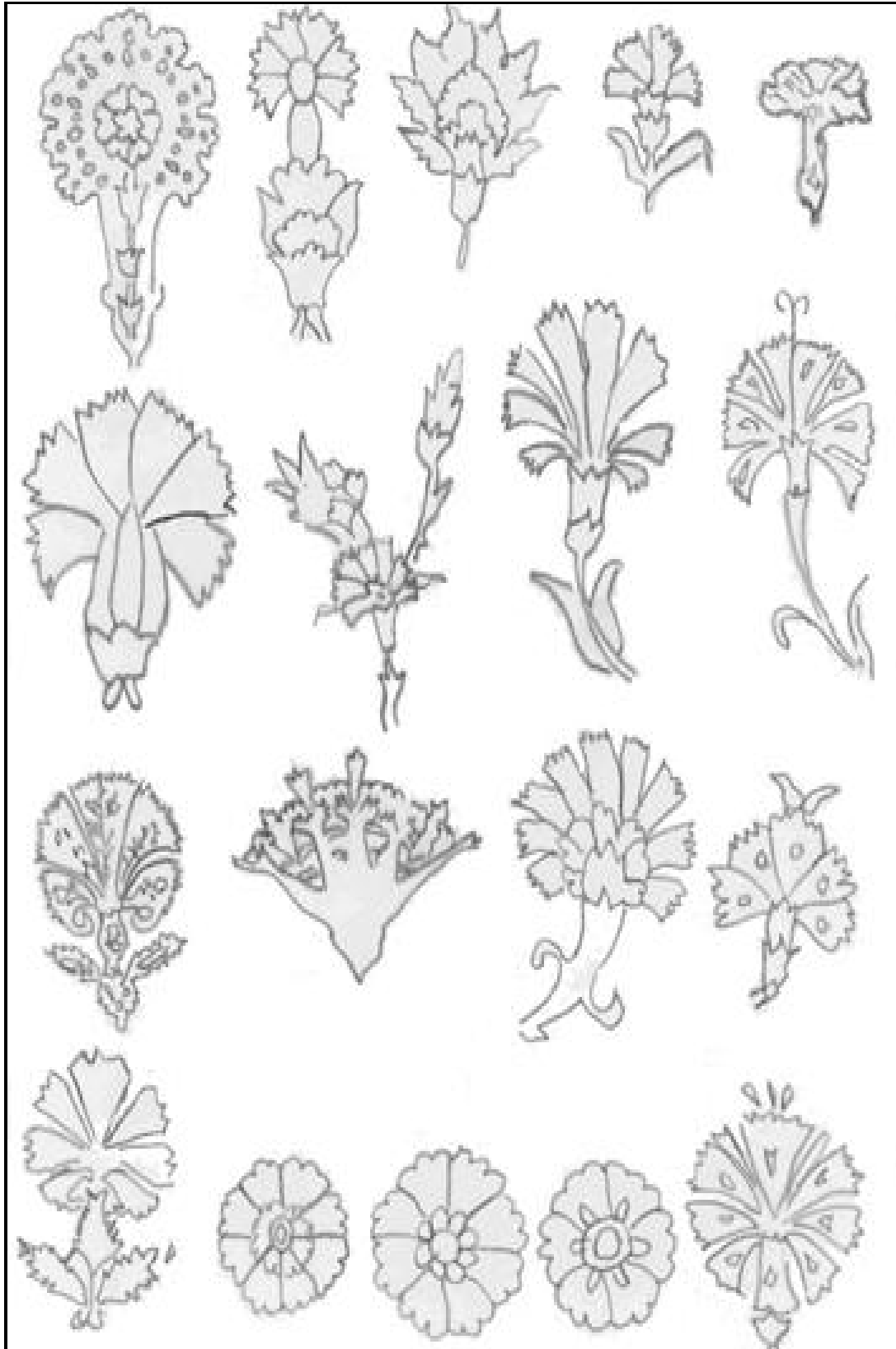
الشكل 22- تصميم زخرفي قوامه دائرة مركزية تتوسطها نجمة وتحيط بها لفائف ورقية وأزهار قرنفل



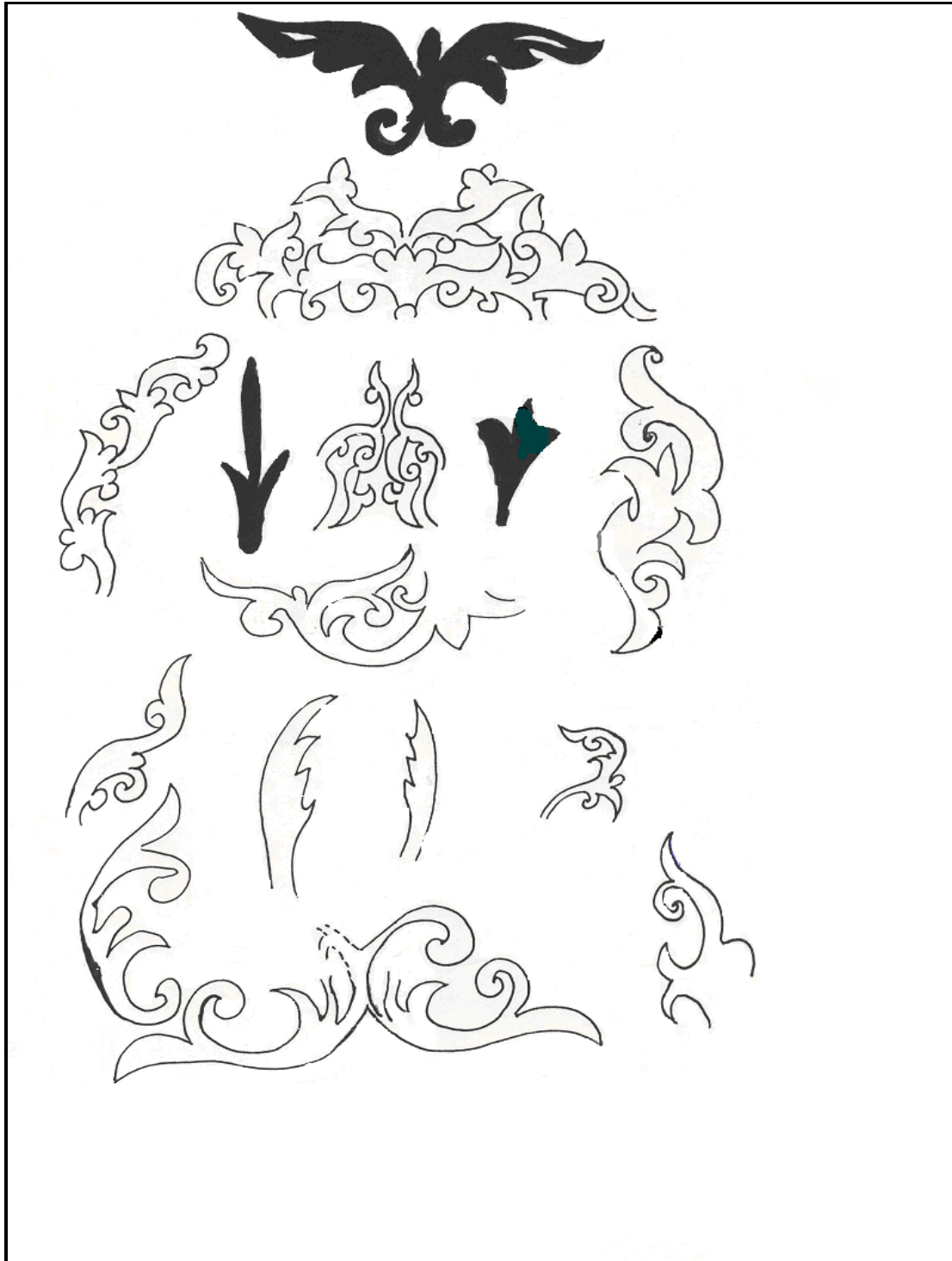
الشكل رقم 23 : تجميعة نظمت العناصر الزخرفية فيها بشكل متداخل وهي تحي على عناصر نباتية وهندسية



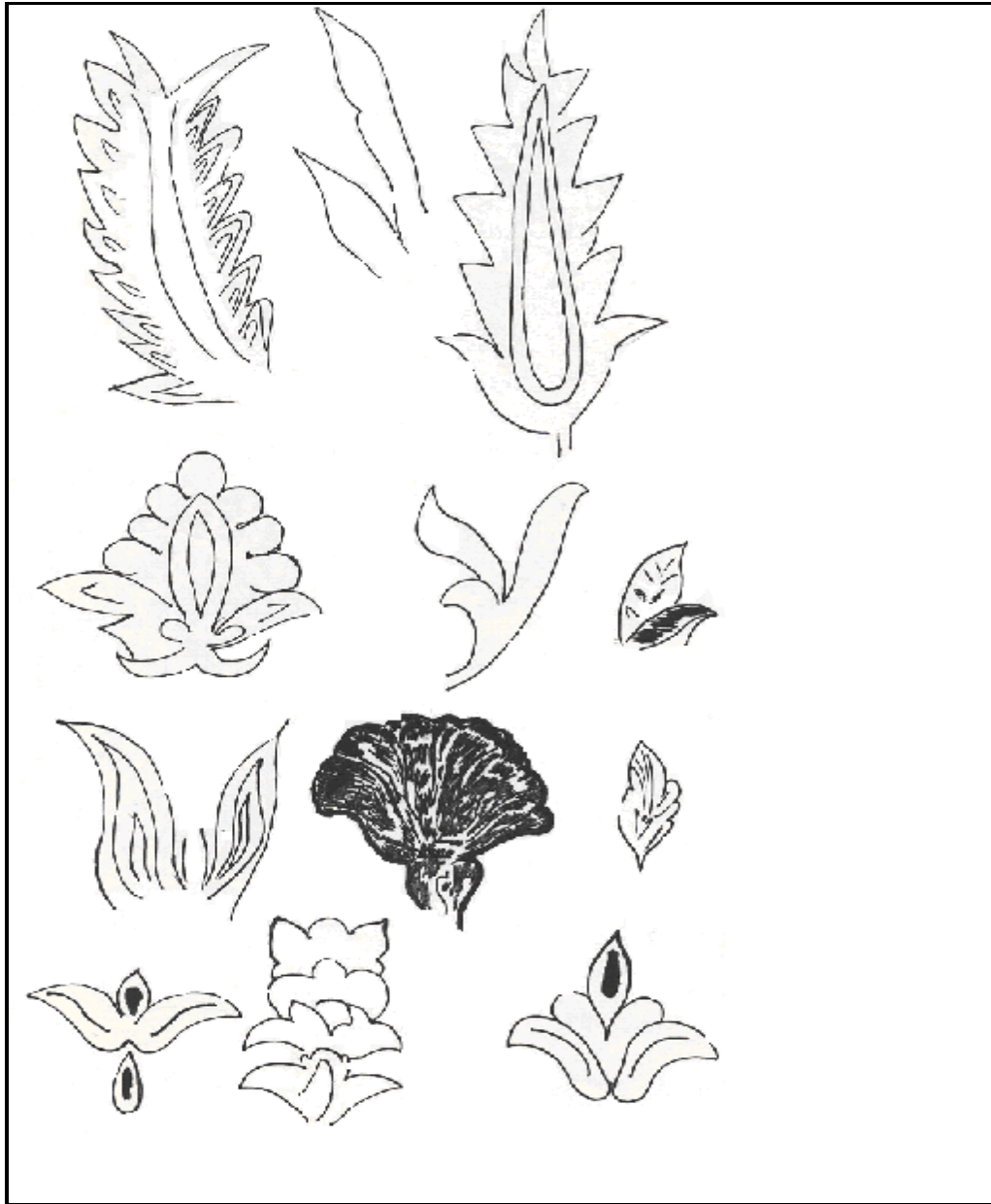
الشكل رقم 24: رسم يمثل زهرة اللاله رسمت بأساليب وأشكال مختلفة عن (أرسفان)



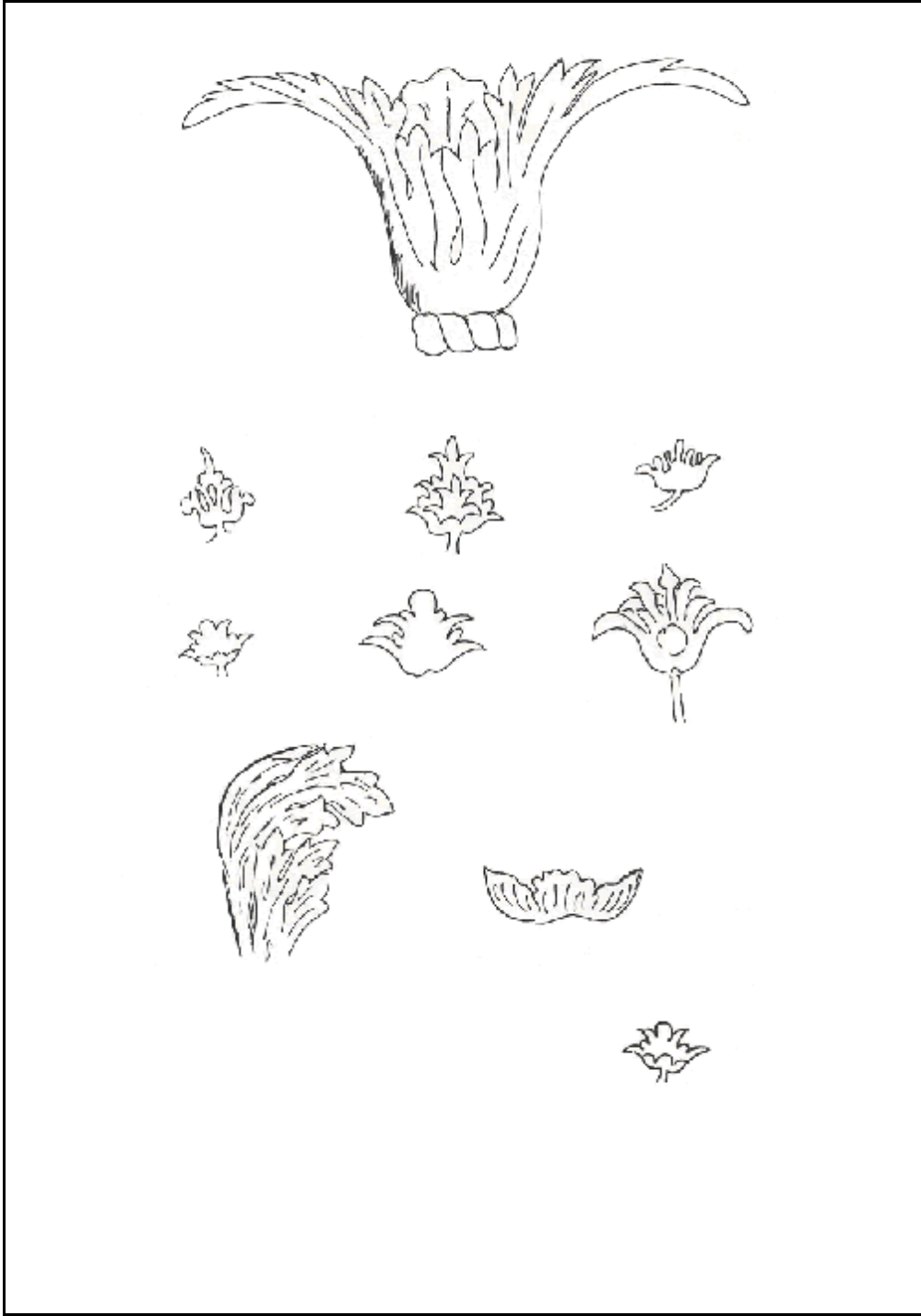
الشكل رقم 25: رسم يمثل زهرة القرنفل بأساليب متنوعة عن (أرسفان)



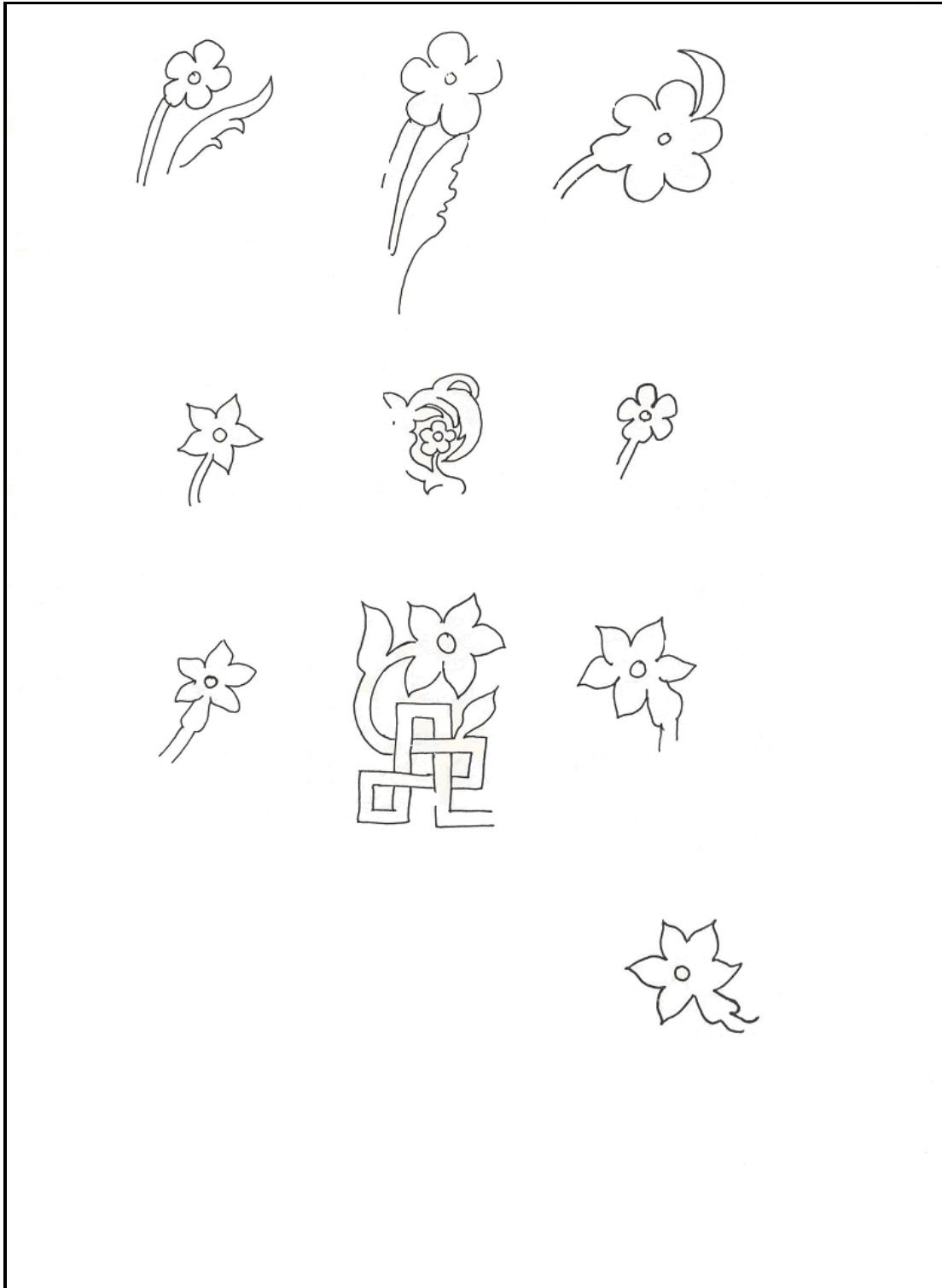
الشكل رقم 26: أشكال مختلفة للمراوح النخيلية



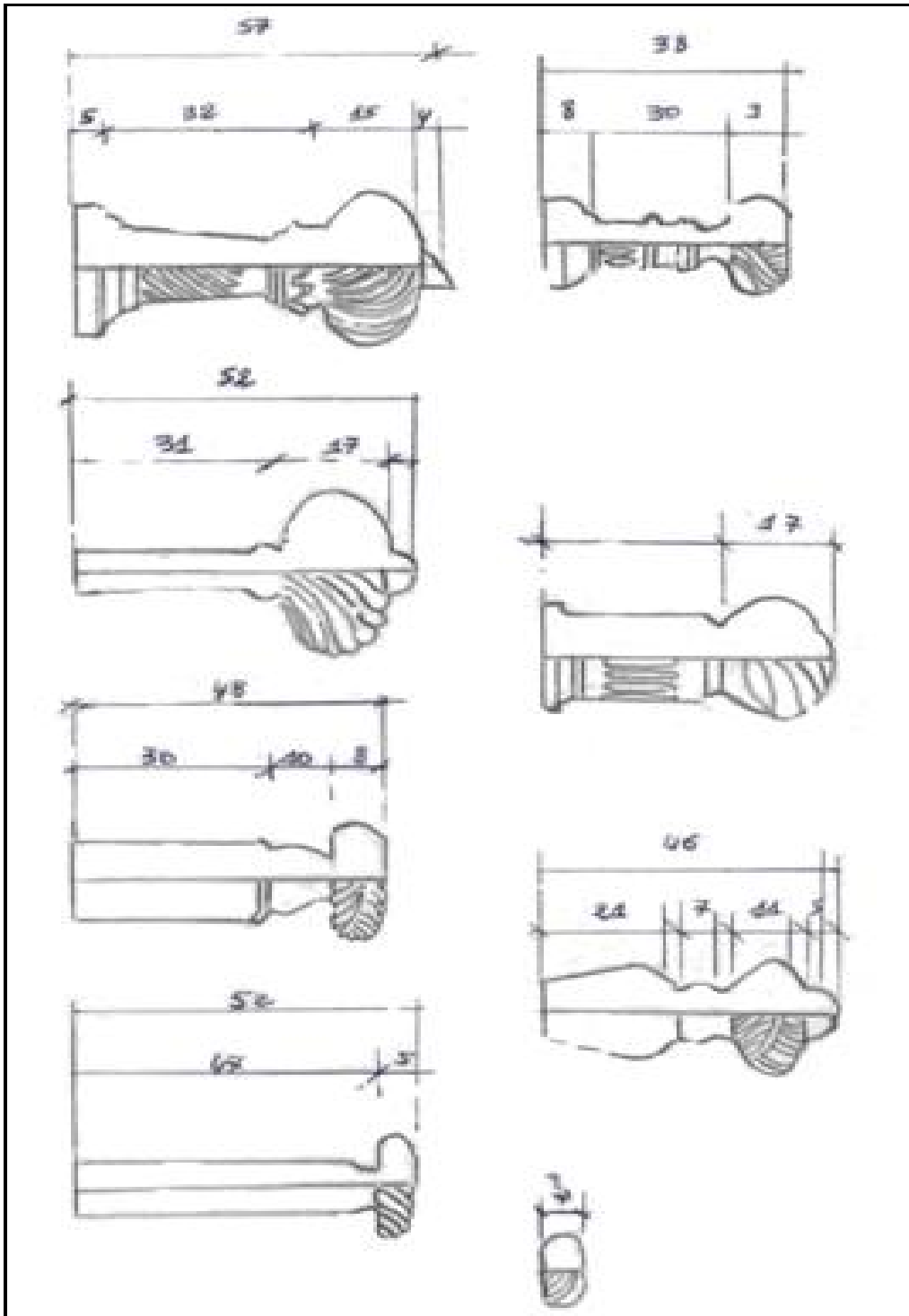
الشكل رقم 27: زخرفة لأوراق بسيطة ومركبة



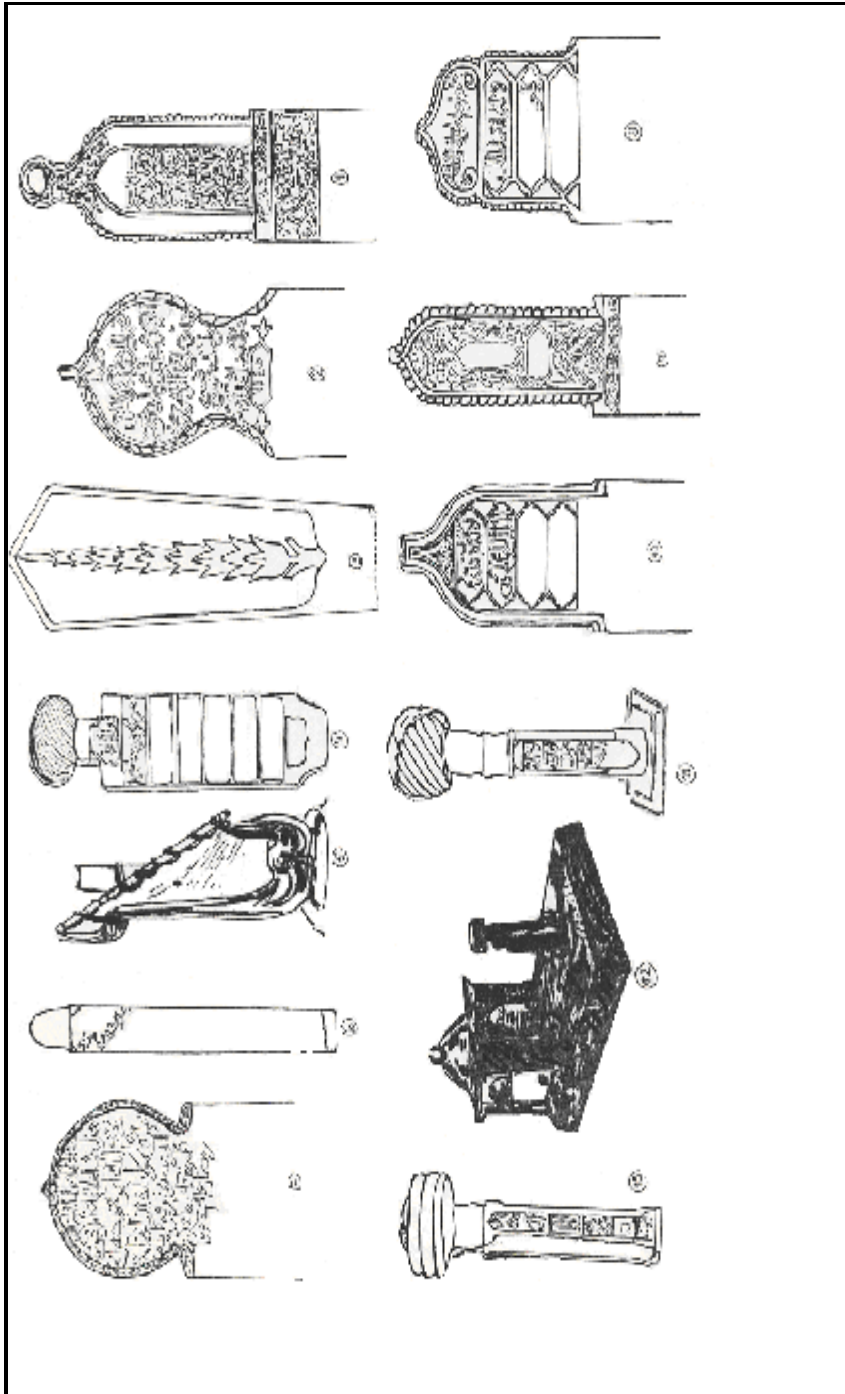
الشكل رقم 28: أنواع ورقة الأكانتة (شوكة اليهود)



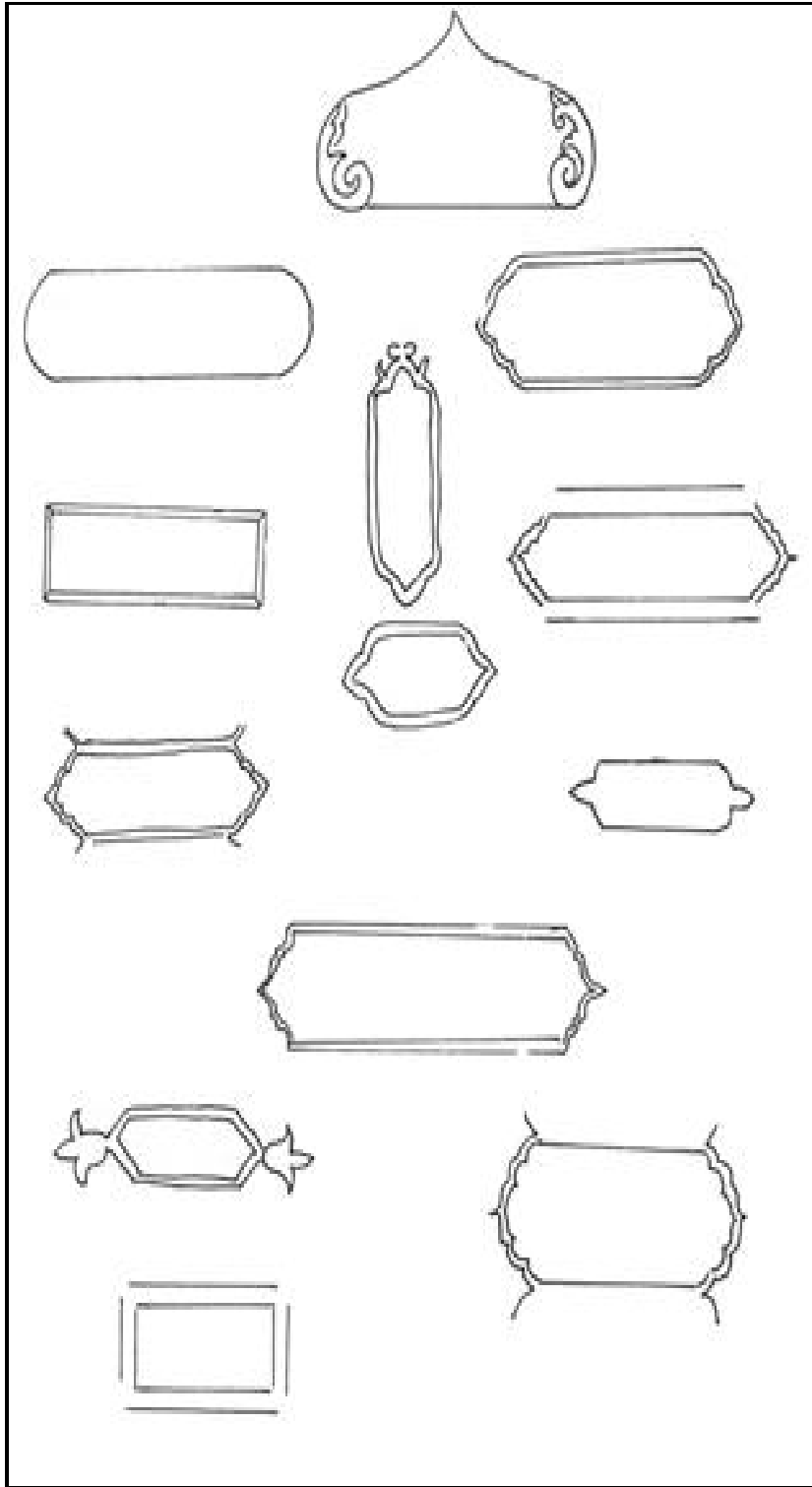
الشكل رقم 29: أنواع زهرة الياسمين



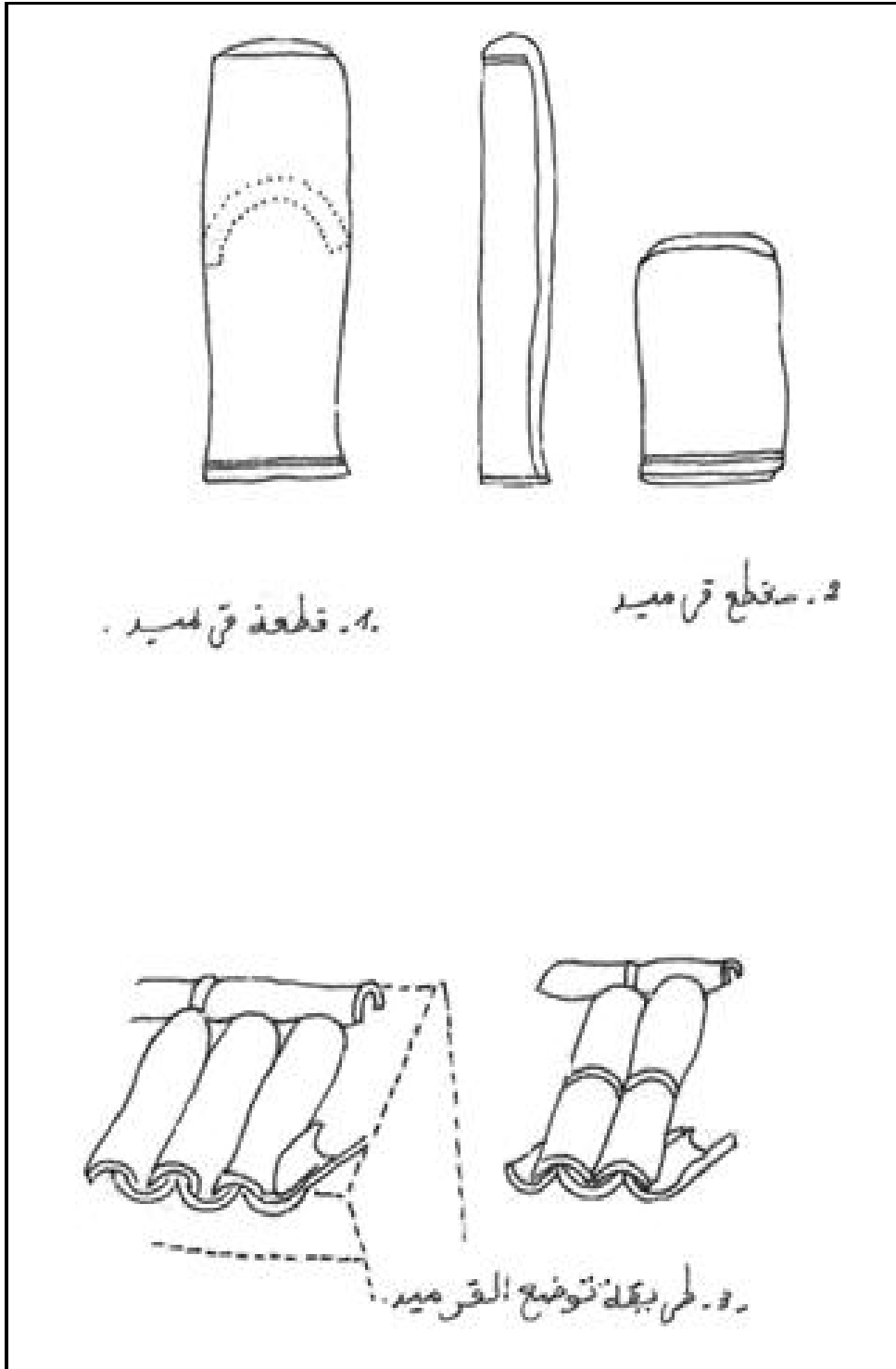
للشكل رقم 30: شواهد القبور ذات العمامات



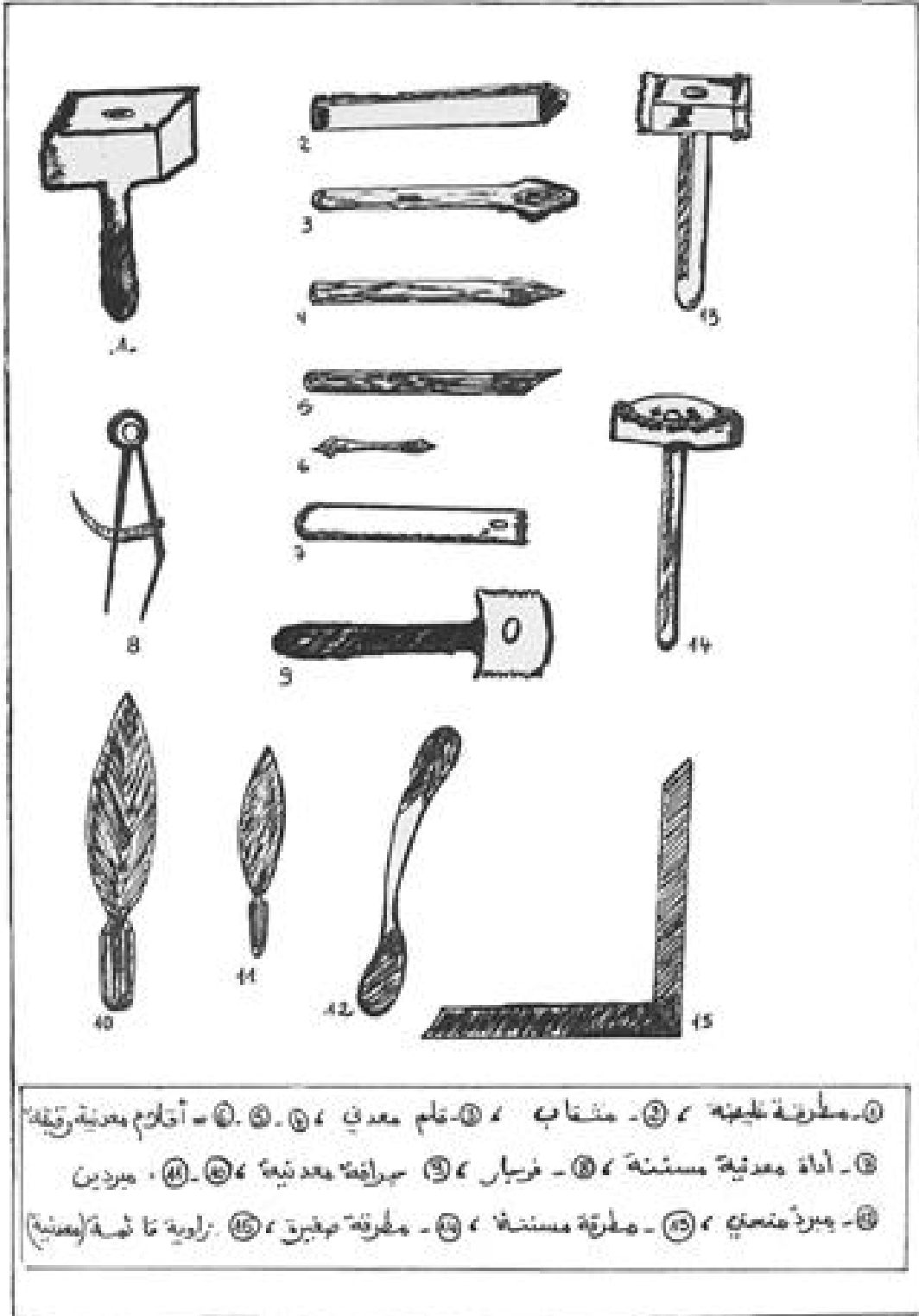
الشكل رقم 31 : أهم أنواع شواهد القبور المستعملة في الفترة العثمانية



الشكل رقم 32: مختلف أشكال الخراطيش المستعملة في الفترة العثمانية

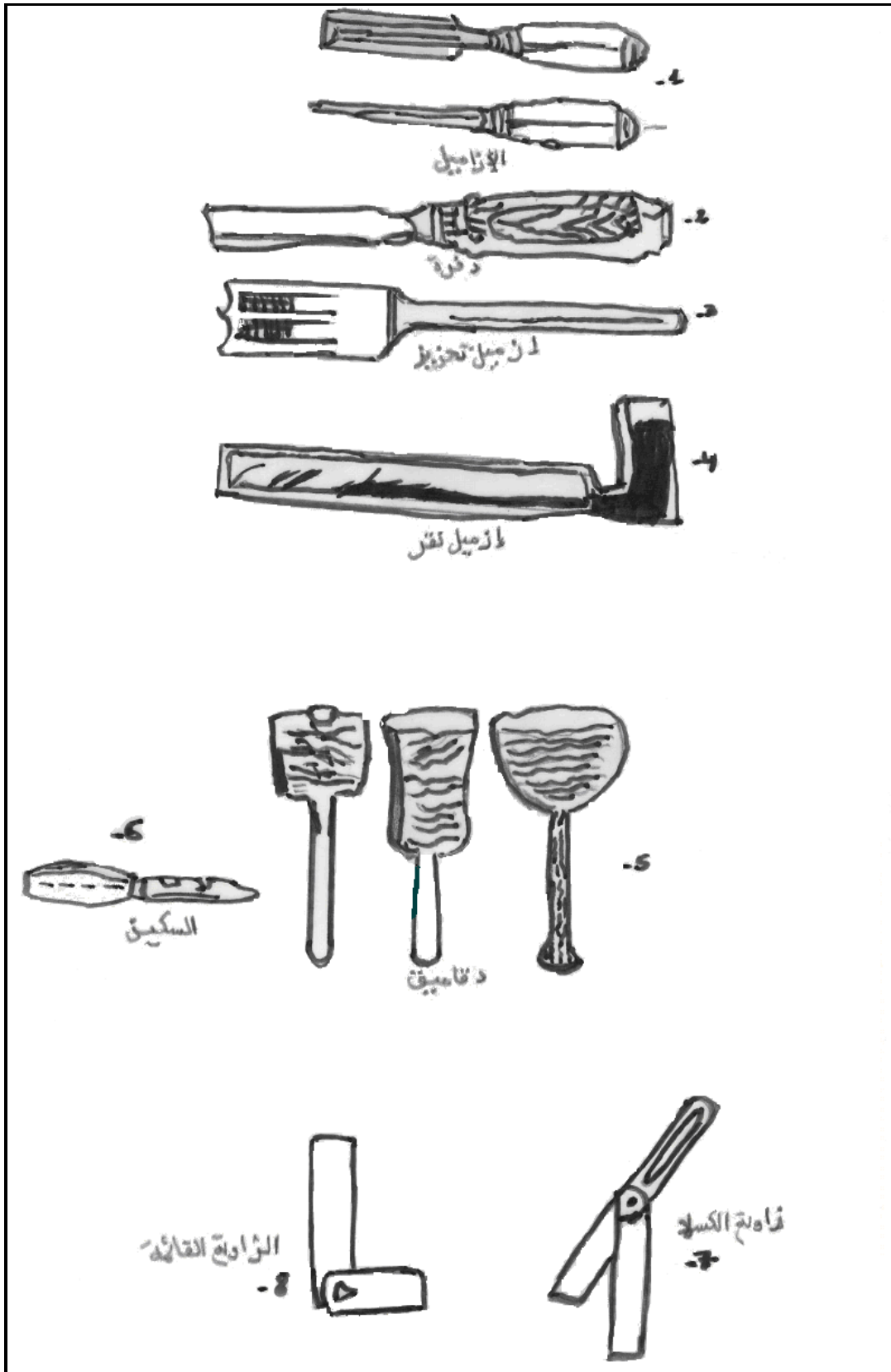


الشكل رقم 33: القرميد وطرق توضعہ



① - مطرقة نحاسية ، ② - مشابك ، ③ - علم معدني ، ④ - ⑤ - ⑥ - أدوات معدنية رفيعة
 ⑦ - أداة معدنية مستنقة ، ⑧ - فرجار ، ⑨ - حرافة معدنية ، ⑩ - ⑪ - ⑫ - مبردين
 ⑬ - مبرد نحاسي ، ⑭ - مطرقة مستنقة ، ⑮ - مطرقة صغيرة ، ⑯ - زاوية نحاسية (معدنية)

الشكل رقم 34: الأدوات المعدنية المستعملة في النقش على الرخام
 عن (أرسفان)



الشكل رقم 35: الأدوات المستعملة في حفر الخشب

• وثيقة رقم : 01: تين نظام الوقف في فترة صالح باي :

- صالح باي وسياسته العمرانية : نصوص

- إن أهم ما ميز حكم صالح باي في قسنطينة هو اهتمامه بالمنشآت العمرانية ورعايته لأملاك الوقف . وقد جسد هذا الإهتمام بسن قرارات ترعى المدارس والمساجد وأوقافها وحرص على تطبيقها في أرض الميدان بتنظيم التسجيل والنظارة ورعاية القائمين عليها . وفيما يلي النص¹ الرئيسي الذي افتتح به السجل الذي دونت في كل العقود الخاصة بأملاك المساجد:

”الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة ولم يكن لهم اعتناء بشأن الأوقاف وفرطوا في ذلك غاية التفريط وضاع الكثير منها بقبلتهم عنها وعدم اعتنائهم بشأنها ولم يبحثوا على ذلك وتعطل البعض من المساجد بضياح أوقافها التي مبنى عمارة الوقف عليها وصار البعض منها بسبب ذلك مربطاً للدواب والبعض غلقت عليه الأبواب وآل امره إلى الخراب وبلغ أمر ذلك لحضرة ذي الآراء السديدة وحسن الرأي سيدنا صالح باي أيده الله تعالى وأبقى وجوده وأدام خيراته ووجوده فألهمه الله إلى إحياء ما ندرس من المساجد والأوقاف وترج ؟ بكليته أعزه الله تعالى إلى الكشف عن ذلك وأراد أن يثبت ذلك بثلاث

(تصحيح في الهامش : أربعة) سجلات متماثلة تحفظ يؤمن بذلك من التبديل والتغيير عليها أمر حينئذ قضاته والمفتيين أن يبحثوا على أوقاف المساجد وعلى المساجد التي دثرت وثبتوا ذلك بثلاث (بل أربع) سجلات متماثلة فامتلوا أمره وبلغوا جهدهم في البحث عن أوقاف المساجد وعن المساجد التي دثرت واطلعوا على سجلات المساجد وأثبتوا بعد الكشف عن ذلك أوقاف مساجد قسنطينة بهذا السجلين (بل ثلاثة) آخرين مماثلين له لفظاً ومعنى أحد السجلات عند صاحب بيت المال والثاني عند شيخ البلد والثالث عند قاضي الحنفية والرابع عند قاضي المالكية فمن علم ذلك وتحققه وعلم أن الطابع المرسم بطرته أعلاه هو طابع المعظم الأرفع سيدنا صالح باي أدام الله أوقاته وبارك فيه قربه ومضمونه شهادته هنا وذلك أوسط شهر ربيع الأول المنور بمولده صلى الله عليه وسلم عام تسعين ومائة وألف .

ومن تمامه أن سيدنا صالح باي أيده الله على أن المعاوضة لا تقع في أوقاف المساجد أصلاً لا بالقليل ولا بالكثير وأن وكلاء المساجد يحاسبون على أوقاف المساجد من الستة أشهر إلى الستة أشهر وأن الفاضل من أوقاف

المساجد أي من غلتها يتفقده العلماء والمنعقد بهم المجلس العلمي وصاحب بيت المال في كل سنة ومن كثرة غلة أوقافه من المساجد يشتروا له بما فضل عن حاجة الأوقاف عقارا يصير من جملة الأوقاف . صح ذلك .

محمد بن الموهوب

أحمد بن جلول

ملاحظة : على رأس الصفحة من اليسار خاتم الباي : (عبد صالح بن مصطفى 1175)

ختم آخر : " الوراق برب الناس عبده بالعباس 1188 "

آخر : " سي شعبان بن جلول 1179 "

¹ – Ch. L. Feraud. " Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine"
Revue Africaine , N° 12. 1868. pp. 121-132.

ملف صالح باي للأوقاف :

عقود الأوقاف

وثيقة رقم : 02

اول عقد حسب الترتيب الزمني ، " الحمد لله هذه النسخة رسم نقل هنا للحاجة إليه نصه:
"الحمد لله بعد أن استقر على ملك السيد رضوان خوجة المذكور بمحولة جميع الاستقرار التام وان السيد رضوان خوجة المذكور هدم الحانوت وبنها اربعة حوانيت جوفيات المفتح ثم بعد أن كان ذلك وبعد ثبوت ملكية الحوانيت المذكورة له ملكا تاما أشهد أنه حبس الحوانيت المذكورة على نفسه مدة حياته ثم من بعده يكون ذلك حبسا على ولديه وهما الشاب المرعي سي محمد واخته عايشة وعلى من يتزايد له بقيه عمره من الأولاد الذكر والأنثى في ذلك سواء ثم على الأولاد وأولاد الأولاد ماتناسلوا وامتدت فروعهم في الإسلام لا يدخل في ذلك الأبناء مع وجود الآباء فإذا مات أب قام ابنه ومن مات منهم من غير ولد رجع ما كان يستحقه من الحبس لأقرب قريب إليه فإذا انقرضوا عن آخرهم رجع ذلك حبسا لجامع الأعظم الكاين بسوق الجمعة داخل قسنطينة الذي أحدث بنيانه المعظم الأرفع سيدنا صالح بي (كذا) أيده الله تعالى تصرف غلة الحبس المذكور بعد إصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه منه وقد رفع الحبس المذكور يد الملك على الحبس المذكور وصار يتصرف فيه بجهة الحبس وقد التزم بأداء أربعة أريلة كبيرة الضرب منجزة في كل سنة للجامع المذكور مقلدا في حبسه قول أبي يوسف رضي الله عنه القايل بلزوم الوقف

بقوله :حبست حبس جميع ذلك حبسا مؤبدا وقفا مباركا مخلدا لا يبدل ولا يغير ومن بدل أو غير فالله حسييه وسائله ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . شهد عليه بما فيه وهو بالحالة الجائزة شرعا صحة ومعرفة وطلوعا وذلك أواخر شهر رجب الفرد عام تسعة وثمانين ومائة وألف وباتر التاريخ شهادة عدلين من عدول قسنطينة محتومة بخاتم من له الحكم الشرعي الواضع طابعه اعلاه وبطرة الرسم المنقول منه الحقائق بينه عليه بعد تاريخه وبظهر الرسم رسمان احدهما فيه ابتياع الحبس للحانوت والآخر فيه شراء البايع شهد بمعاينته للأصل ومقابلة هذا عليه من علم ذلك وتحققه وذلك أواخر رجب عام تسعة وثمانين ومائة وألف

ومخرج بين السطرين اعلاه ما صورته كبيرة الضرب وهذا التاريخ مخرج أيضا بالأصل منبه عليه بعد التاريخ
صح ذلك :

علي.....
وأحمد
(1) ومن تمامه أن الحوانيت الأربع المذكورات اعلاه كائنة بسوق النجابين

(1) - للمزيد من التوضي حول هذه الوثيقة أنظر :

فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص 549-550.

هذه نسخة رسم نقل من المحاماة اليه
 بعد ان استوفى على ملك العظم دارمج الصدور وامنح سيرنا
 ما هو بين ايدينا ثمة قبا جميع الخانوت العنليتها ففتح الخانوتة عن
 الجامع وناظم الري احداثا بنينا بدسوتو الجمعية وبالقرى جسر
 من ضرب الخيشج سيره الكتابي الري فوخت الجامع المذكور
 الاستغفار الصلح دشم دعوا زكمانغ لا كز لدا اشهر سيرنا فغله
 السيرها الخ بي انه جميع الخانوت المذكورة على ضرب الخيشج
 الكتابي المذكور تصب ما غلة الخانوت المذكورة لو كحل الضرب
 المذكور بعد اصلاح ما يحتاجه البراج صلاحة من الخانوت المذكورة
 على الخ كحل المذكور يكون متقبلا للضرب المذكور ويشون
 وهو التولي لقلعه ومنتج وصلاح على صلاحه موصوف في ذلك
 يتقوى افعه وراهنبة من الخانوتها جيبه تخسيسا مؤبرا ووقفا
 مبارك كالمخلد لا يبر او كما يعير ومنتج او غير ما لم عسيبه
 وسمايله ومنتوليه في ارتفاع منه وسمايله مؤبر في الخانوت او منتوليا يتغير
 تسير عليه سعرا لانه بجانبه وهو بالحصانة الجانغ شرع
 محنة ومعربة وكورها ومن على الهلج اقم في بالقرى اعلا
 صوكما لعه لسعرا لانه غير به وبعينه شعاعا انه تصاد في ذلك
 او اسعد شمس حرم الخراج جاتج مشهور عام الشير وبعينه وماتة
 والعب انتصر فوكتبا دعوى (الصحافة) با عملها جاليتنا لاصواء
 وداشر الشار يخ شها ذة عد ليز من عرو وبعينه طينة عتق مستر
 جاتج من كبر الحكمة الشير في الرضوع اعلا وبعينه قبا الخابج العج
 سيرنا ما الخ بي الري لانه شمر بعلا فيته الاصل ومقابلته هنر
 النسخة عليه من علم ذلك وتجهتفه وذلك او بعينه شمر
حرم الخراج عام اثنين وسبعين ومانه الف

قوله
 في سنة ١٢٠٠
 في شهر ربيع الثاني
 في يوم الاثنين
 في سنة الف وثمانين

هذا هو نسخة رسم نقل من المحاماة اليه
 بعد ان استوفى على ملك العظم دارمج الصدور وامنح سيرنا
 ما هو بين ايدينا ثمة قبا جميع الخانوت العنليتها ففتح الخانوتة عن
 الجامع وناظم الري احداثا بنينا بدسوتو الجمعية وبالقرى جسر
 من ضرب الخيشج سيره الكتابي الري فوخت الجامع المذكور
 الاستغفار الصلح دشم دعوا زكمانغ لا كز لدا اشهر سيرنا فغله
 السيرها الخ بي انه جميع الخانوت المذكورة على ضرب الخيشج
 الكتابي المذكور تصب ما غلة الخانوت المذكورة لو كحل الضرب
 المذكور بعد اصلاح ما يحتاجه البراج صلاحة من الخانوت المذكورة
 على الخ كحل المذكور يكون متقبلا للضرب المذكور ويشون
 وهو التولي لقلعه ومنتج وصلاح على صلاحه موصوف في ذلك
 يتقوى افعه وراهنبة من الخانوتها جيبه تخسيسا مؤبرا ووقفا
 مبارك كالمخلد لا يبر او كما يعير ومنتج او غير ما لم عسيبه
 وسمايله ومنتوليه في ارتفاع منه وسمايله مؤبر في الخانوت او منتوليا يتغير
 تسير عليه سعرا لانه بجانبه وهو بالحصانة الجانغ شرع
 محنة ومعربة وكورها ومن على الهلج اقم في بالقرى اعلا
 صوكما لعه لسعرا لانه غير به وبعينه شعاعا انه تصاد في ذلك
 او اسعد شمس حرم الخراج جاتج مشهور عام الشير وبعينه وماتة
 والعب انتصر فوكتبا دعوى (الصحافة) با عملها جاليتنا لاصواء
 وداشر الشار يخ شها ذة عد ليز من عرو وبعينه طينة عتق مستر
 جاتج من كبر الحكمة الشير في الرضوع اعلا وبعينه قبا الخابج العج
 سيرنا ما الخ بي الري لانه شمر بعلا فيته الاصل ومقابلته هنر
 النسخة عليه من علم ذلك وتجهتفه وذلك او بعينه شمر
حرم الخراج عام اثنين وسبعين ومانه الف

وثيقة رقم: 02



للمرشد
 بعد ان استعمل على يد المصنف كاسعرا العاقل الضامن بالجزء الثاني
 الحمرة من سواد الوان مسرنا صالح بن ابي عبد الله وجود جميع الرهيبين
 الكاشفين بعين المصنف القليل لوجود اجلة مقبلة بولكنين وعمرها
 نحو اجمار السلاسر وجودها رقة ثمرة وشق فاكس ريعية
 الجحور والبرهقين المذكورين معهما اللعان بهما الجنة التي امرت
 عن استعمادها الفقه وكلما التزم به خارج فستلقت المره بستره
 وجميع النصارى المحتوى على ثلاثة عشر ايات احدها يسمى بتمكروا
 والثانية بالجنان والثالثة بالزنا والاركان من الضلالت بعز
 عين السهم والاشاث بعز في اسمها كسر بحسب شرط الجنان
 قبلة وعز باو اء اء مرزوق وجودها الواء الزء وهو ملتقى
 النعمين هناك ويشقنا الطريق التي يسلك عليها قبلة الواء
 كمنيل وعين ويجسد شرآه تملكها قبلة الجنة التي هو بعين
 السهم الخ الخ خرة وشقها الارض التي هي من هفوف الجنة المذكور
 التابعة لها وجودها شعبة كبرى وعزها الشرى المسلك
 عليهما اجمار السلاسر ويجسد شرآه الزوايه قبلة من حصة
 سادسة من مخرج ليد الكبر وشقها الطر في براس شعاع الرصاص
 وعزها رسم جاصل بينها وبين رقة الزوايه المسير حسين
 يا شامو جوار سم جاصل بينها وبين رقة المساس لا يس
 عباء الاستمق والقاع صار له ثلث احمر والرفعتين المذكور
 باول الرسم بها وضعة هي معتبره شقها وصار له ثلث المصمد
 الخ كور والرفعة لاخرى جبال الشراء الصبح والشمز القفوف كما
 هو مبين بعين بعاء العثمالة وعزها عليه شامو شق
 جران كما ان في ذلك السهم سيرا صالح بن ابي عبد الله رده
 حسب جميع الاراضي المذكور في جميع النسخة المسكورة والعين
 التي هي عنونها معرفة بعين السهم الخ على نفسه مرة
 حيايد شق من بعين يكون بالاصصال وارء العاصلا لا ميل
 المشلوب السعادة وبغاية من الزوايه القريب المسير نحو وعلى من
 سيو حبله من حماره كور او اناسا على كسر المصروفه ينفق
 وعلى اعفابهم واعفاب اء فابهم ما تشاء ملوا واعتبروا بهم



تفهم غلته كما لا يفتح على العريضة الشرعية المذكرة مثل ذلك في
 ثم على ما دام نعم وانما في اعادة نعم ما تناسلوا وامتنوا به وتجمع
 في راسلح على العثرة المذكرة في بعض احوالها ايضا مع وجود
 الدوام وادامات ابا فاع ابنة فاعه ومن مات عن غيره ولو يكون
 ما يستحقه من الجبس ما في من اب اليه ما في الفرض عن اخره
 رجع في ذلك الجماع في اعطى العبر من الفرض في سائر الجبس المذكور
 يسمى الجمعية والمدرسة التي تسمى الخرابه تصرف ما علة له في صالح
 الجماع والمدرسة المذكورين بهذا الصانع ما يحتاج اليه الصالحه
 من ذلك وقد ذكره الجبس المذكور في جملة من له الماله في ذلك الصانع
 والتبرير والتعويض من حياته لخير سائر اهل بيته وصاحبها مبالغا
 محللا فيكون عن حاله كما يغير عن حاله فاعلم على احواله وهو كما
 بشر وكذا ومن ذلك في العبر حسيب وسائر له وقولي في ارتفاع
 منه وسيد على الفرض كالموا ان مقلبا فيقولون في كسب الجبس في انشاء
 جعبه بقوله جعبه من غير احتياج المذخور كما ان حكم الحاكم
 جازيا في ذلك على قول الامام ابي يوسف صاحب الامام راعا على ابي
 حنيفة النعمان رضي الله عنهما وهو الحق في تزويد الناس في الوجود
 شمس عليه شعرة الله ما يمسوه بالجلالة الجارية شرعا لله وموته
 في حرمه في ذلك او ما يشره في الفرض له في اجماع ولا في شمس وماله
 والعا انتم في دعوى التاريخ في تفسيره في الجبس من غيره ومنه
 ان الجلب في التسع بالقره اعلمه هو كما ان الجبس من غيره ومنه
 شهادة عدلين من غيره في جعبه محتوم بخلاف من له الجلب في الفرض
 الواحد كما بعد اراهم الرهم في جعبه فويلك من في التسعة باعها
 فابن نفسا سواد محمدي جارية في اهل ومقابلته في التسعة
 عليه في ذلك وتحقق على الرهم في الفرض في ذلك او ارضي شمس
 في الفرض في اجماع ثلاث وتسعين مائة الف
 والسائر في الفرض في التسعة بمائة الف في بعض الفرض عليه فيله سافر

صحة العشرة
 بجزء المتكسر
 مع الرفيعين
 بنوعها
 بعقبة
 لينة احمر
 رسته باله
 بتكراة
 كانت بغير
 في الجنان
 يلتقى
 في اليا ابي
 عن بعين
 في المذكور
 سلوك
 مرجحة
 زصاص
 مسين
 ابن
 ثورين
 المصنف
 يفرها
 شمس
 في العين
 مرة
 في اصيل
 على من
 يتجمع
 في رهم

تحتوي على
 في سنة
 في سنة
 في سنة



الحرمين
 الحاج مصطفى نيسابوري جميع الشفط على الشياع من جميع
 الدار القبلية الجناح الكائن بالقرية من مسجدا الشيخ البركة
 سبعين والسبعين من محلة شارع الزبير من منطقة السنية
 كانت خرابا فبلغ ذلك كما هو مبين في ذلك له بعض اجزاء
 التعمارة وفيها عليه شاهرا وفتح بعد از كل ذلك فترك
 اسمعير السيد الحاج مصطفى الزكوري الله حمير شفيق الدار
 الزكوري على السبابة التي احداث فيها انما الجومية العتيق
 العريضة جردا عن الجامع ربا علم يسوق والمجمعة حبس
 متر برادو فباعا بارشا فخلد انظر غلة الشفط في الدار
 السبابة (الزكوري) فضرير ذلك ووجه الله العلي العظيم والتم
 راحة من سعة عليه بما فيه وهو في المحلة الجاذبة شرعا
 حرة ومعوية وكهو على ذلك واخر شهر شمساني
 على اربعين وتسعين ومائتين والف

مستوفى
 محمد
 محمد
 محمد

سورة الفاتحة

وهو على السور في ما سطر على غير ذلك من ما سطر ما كنا سطرنا أو فنت
 في الأول ذكرنا ما سطرنا حسب الفروقه
 الشريفة المذكور مثل

40

لجزايد بالبلد المذكور تصرف عدة جميع ذلك في مصالح مسجد الجامع
 والمدرس المذكورين بعد اصلاح ما يحتاج اليه كما علم من الجمع المذكور
 بصر او فدره كالمعبر المذكور طء هالون كما خرج والتبديل والتعويض
 مرة حياتة وكتبت في ما انشاء بقوله حبستك جباريا في ذلك كما قول
 الامام ابي يوسف ويعقوب صاحب كتابه في ما علم ابي حنيفة رضي الله عنهما
 انما يريد لزوم الوفاء بالقول من غير احتياج الى حرز كما ان حكمه ما في
 وهو القول الذي عليه العنوى ترغيبا للناس في الوفاء - فقيسا مؤمرا
 ووقفا مباركا مخلصا لا يدخل ولا يخرج من وسطه او غير جالده حسيب سوايه
 ومتولي ما انتفاع من رده سيعلم الذين كملوا اي منقلب ينفلمون شمس
 عليه ابي الله عا جيب وهو يد العادة الجارية شرعا محترمة وما مودة وكوفا
 من علم ذلك وتفتنه ومن علم ان الطابع التي تسمع بكثرته اعلاء وهو طابع
 المعكف معبر فاصلا لبي حبستك لانه وانما حنيريه شمسائه هنا وذلك
 او اخر شمس جماء من كماله عا سنية وتسعين وصادرة والبا انتمسى
 وباشرة الفاريج شمساة عدلين من عدول فستكينة مختوم بخاتمة منزله الحكم
 الشرعي الواضح كما علم بصفة اول النسخة شمس بعبارة بينة في صلح مغالطة
 هذه النسخة عليه من علم ذلك وتفتنه على الوجه المذكور وذلك او اخر
 شمس جماء والاولى على شمس تسعين وصالق الف
 وتخرج بكثرته ما صورته وعليه طابع الخمس اية الله وبها سطر الرابع قبل الفاريج
 اصلاح كلمة صورته او اخر حجة ذلك للفت

وعليه كتابه الخمس
 امين العرفه

واحد من
 و
 و



المعبر
 صيرنا كذا في بني خلد الله تعالى في القر وادام سعاه تة في جميع الاراضي المذكورة
 بالرمع بينة وحين انصر العروبة بالسيابن جميع ما عطف عليه من الاراضي
 على الوصف المذكور وكان ابي الله شمس في حبستك هالون كما خرج والتبديل
 والتعويض مرة حياتة كنهس له اسعد الله لعل اخرج البنات او واء لهم
 ومن سيرة حله من الواء واختصاص المسير لخم من يهوه وعقبه بالخمس
 ما شمس ان على فبهمه الكريمية انه البعض الخمس على فبهمه حياتة
 شمس من يهوه يكون على المسير في خاصة وعلى اعقاب المسير لخم واعقاب

196

٤٦
٤٦

اعضائه ما تشاءوا واصتوت مبروهم في اسلاك للفرز مثل خطا اليثيين
 ماير خراج ذلك البناء مع وجود الابداء بما اذا مات ابقاه ولرا مغامسه
 ومقومات من غير عفا رجع ما كان مستحقه والمحبس من نصيب
 في درجته وان لم يكن في الراتب قريب اليه بما اذا افترض عفت
 السير في الزكوة رجع ذلك ما ضاوت وحقا صلاتا اليثيين
 الكاهنات التي ورانا العبيد اعدها في والسيدة امته والسيدة عائشة
 والسيدة جاطم والسيدة خروجه ولين سيرة جبر للحمس الزكوة
 والعينهم وعفت عفتهم على الشرك انزكوة بما اذا افترضوا من الخدم
 رجع ذلك الراتب الجامع اعظم الكاهن بسو والجمعة والمرسنة اللين
 بخرايه بغسنة كيفت تصرف غلة ذلك في مصالح الجماعة والتمرسية الزكوة
 بعد اصلاح ما يحتاج الراتب اصلاح من المحبس الزكوة فما كان المحبس
 الزكوة وما على شرطه في سلاء خا او ليا خراج والتبريل والتغير في حياته
 ومن الحقوق المحبس الزكوة جميع ما عنده من المشجار والادوية وغيرها
 بخليل التحبير في جميع الشوك مكتفيا بالبناء حبسه بقوله
 حبست من غير احتياج الرجوز ولا الرحتم حاتم جريا على اوسع
 يرمع رضى الله تعالى عنه شمس عليه السعد الله تعالى بما جيم وافر
 بالحاثة الجارية شرها محتوم مع بنة وهو عا من علم ذلك وتحتفتم
 ومن علم ان الكاهن الراتب بالهرة بال الرسم بحول فموكها بعص
 السعير اي الله مسير وبمقتضيه شتبا في ثمة ما يردك او اخر
 جواد القابية على ما كتبت في الف من صلوات الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم
 في سنة ١٢٥٠
 في شهر رجب
 في يوم الاثنين
 في مدينة بغداد



1250

وثيقة رقم : 06

الوثيقة رقم (01) :

هذه الوثيقة عبارة عن نص القرار الذي إتخذه صالح باي بشأن إصلاح نظام الوقف في مدينة قسنطينة وذلك لما وصل إليه هذا القطاع من إهمال كبير.

الوثيقة رقم (02) :

تعتبر هذه الوثيقة أول وقف حسب الترتيب الزمني ، وهو عبارة عن وقف لمجموعة من الحوانيت على نفسه مدة حياته ، ثم من بعده يكون ذلك حبسا على ولديه وهما الشاب المرعي سي محمد واخته عايشة وعلى من يتزايد من الأولاد وأولاد الأولاد ، فإذا انقضوا عن آخرهم آل إلى الجامع الأعظم بسوق الجمعة ، وقد أوقفها بالألفاظ الدالة على الحبس كما أبرز الشهود على الوقف ، وكان تاريخ هذا الوقف في أواخر رجب عام تسعة وثمانين ومائة وألف.

الوثيقة رقم (03)-24 - :

هي عبارة عن وقف تحبب مجموعة من الدكاكين تقع أسفل الجامع الأعظم على ضريح الشيخ الكتاني أوقفه صالح باي على الضريح الذكور ، تصرف غلته على وكيل الضريح ، والذي بدوره عليه أن يقوم بإصلاح ما يحتاج إليه الضريح على أن يكون ذا تقوى وقد أورد العبارة الدالة على الوقف ألا وهي (تحببسا مؤبدا ووفقا مباركا مخلدا) ، وقد بين سنة هذا الوقف وهي أواسط شهر محرم عام إثنين وسبعين ومائة وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

الوثيقة رقم (04)-25-26 :

هي عبارة عن نسخة من عقد معاوضة لمجموعة من الأراضي تم وقفها من طرف صالح باي على المدرسة والجامع الكتاني المسمى بالجامع الأعظم ، بحيث تصرف غلته على مصالح المدرسة والجامع بعد إصلاح ما يمكن إصلاحه ، كما عرض ألفاظ الحبس (تحببسا مؤبدا ووفقا صحيحا مباركا مخلدا لا يبدل) ، وذلك في أوائل شهر ذي القعدة عام ثلاث وتسعين ومائة وألف.

الوثيقة رقم (05) ص-28 - :

تبين مساهمة شخصيات تاريخية في حبس ممتلكاتها على هذه المؤسسة وغيرها من المؤسسات الأخرى. أما محتوى الوثيقة فهو عبارة عن حبس من طرف السيد مصطفى قيسارلي لشطر من دار أوقفها أو حبسها لسبالة ماء بنيت في تلك الفترة وهي قريبة من الجامع الأعظم وتصرف غلة هذا الشطر على السبالة المذكورة وذلك أواخر شهر شعبان عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

الوثيقة رقم (06) ص 40-41 :

هذه الوثيقة عبارة عن رسم مكتوب مضمونه حبس مجموعة من الأراضي في مناطق مختلفة من طرف صالح باي على ولده السيد محمد ثم على أولاد أولده ، وإذا إنقرضوا عن آخرهم رجع ذلك إلى الجامع الأعظم والمدرسة تصرف غلة ذلك على مصالح المدرسة والجامع المذكورين ، وهذا الحبس على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ، وقد أورد ألفاظ التحبيس ، كما أبرز تاريخ هذه الوثيقة وهي أواخر ذي الحجة عام سبعة وتسعين ومائة وألف ، وقد تم هذا الحبس لشهادة عدلين مع ختم السيد صالح باي.

الوثيقة رقم (07) ص -46- :

هذه الوثيقة عبارة عن وقف من طرف السيد صالح باي ، وهو عبارة عن مجموعة من الأراضي على نفسه مدة حياته وعلى ولده محمد وعلى أولاد أولاده ، وإن إنقرضوا تصرف غلته على الجامع والمدرسة بعد إصلاح مايمكن إصلاحه مع إلزامه بكل شروط وأركانها ، وذلك أواخر ذي الحجة عام سبعة وتسعين ومائة وألف ثم ذكر الشهود على اوقف ، وانتهى بختم الباي.

قائمة المؤسسات الدينية حسب سجل صالح باي : ويبلغ عددها (78)

جامع خزر	مهدمة	الجامع الكبير للقصة
جامع عبد المومن	الديانة الإسلامية	جامع البطحاء
جامع كموش	كنيسة حاليا	جامع سوق الغزل
جامع علي التلمساني	مسجد ومدرسة	جامع سيدي الكتاني
جامع مسجد حفصة	مستشفى مدني	الجامع الكبير لرحبة الصوف
جامع سيدي النقاش	مهدمة	جامع سيدي مفرج
جامع فتح الله	مهدمة	جامع علي مخلوف
جامع قنيش	مهدمة	جامع عبد القادر القصة
جامع الطنجي	مهدمة	جامع علي الناس
جامع محمد الشوييف	مهدمة	جامع الورد
جامع أحمد الرزوق أو جامع الجوزة	مهدمة	جامع سيدي ربي
جامع بورغدة		جامع سيدي راشد
جامع الشادلي		جامع إبراهيم الراشدي
جامع محمد الزواق		جامع أربعين شريفا
جامع النجار		جامع مومن
جامع الدرار		جامع سيدي السفار مومن
جامع عبد المالك		جامع فليو السري أو الصغير
جامع كرائية		الجامع الأبيض
جامع عاج		جامع فرقان
جامع خليل		جامع منديل
جامع عبد الله الشريف		جامع عمر الوزان
جامع حيدان		جامع عبد الله بومعزة
جامع حسونة		جامع عفان
جامع الجوار		جامع بوعنابة ، القصة
جامع البيازري		جامع الجوارى الكبير
جامع الأندلسي		جامع الشقفة
جامع الدهان		جامع بوعنابة ، باب الجاية

جامع الرماح
جامع الجليس
جامع السبعيني
جامع يسمين
جامع مسلم
جامع فليو الكبير
جامع الغماري

جامع علي القفصي
جامع يحيى الفصلي
جامع عبد الرحمن المناطفي
جامع ميمون
جامع سيدي الأخضر
جامع قيس
جامع بوشداد
جامع مأرب
جامع حجام
جامع عبد الهادي
جامع الزواغي
جامع محمد بن ميمون
جامع عبد الرحمان القروي الفوال

خارج أسوار : يبلغ عدد المساجد (7)

مدرسة سيدي بومصيبة
مدرسة سيدي الحيلوف ؟
جامع سيدي علي الساري
جامع سيدي علي الشريف
جامع سيدي السعيد السفراوي ، كدية عاتي
جامع سيدي فرج ، كدية
جامع سيدي سعد الله ، كدية

الزوايا : عددها (13)

زاوية الخرازين لابن الفكون
زاوية أولاد بن جلول
زاوية الخراشفين . أولاد بن جلول
زاوية السواري
زاوية علي التلمساني
زاوية الرقاقين
زاوية باب الواد
زاوية أولاد بن باديس
زاوية سوق الخرق أو الخلق
زاوية النجارين
زاوية بن الأعور
زاوية بن الغربي رضوان

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية :

الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
	" اقرأ بسم ربك الذي خلق ،خلق الإنسان من علق ،اقرأ وربك الأكرم ،الذي علم بالقلم ،علم الإنسان ما لم يعلم "	1 إلى 05	العلق
	"شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة والوا العلم قائما بالقسط "	18	آل عمران
	"لذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم "	174-173	
	"وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون "	09	الزمر
	"ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم "	128	البقرة
	"ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار "	201	
	"يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات "		
	"وقل رب زدني علما "	11	المجادلة
	"ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا "	114	طه
	"ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا خيرا لعلكم تفلحون "	85	الإسراء
		77	الحج

فهرس الخرائط :

الصفحة	عنوان الخريطة	رقم الخريطة
193	- المستعمرات والمراكز السيرتية	01
194	- المراكز التابعة لسيرتا	02
195	- قسنطينة في العهد الإسلامي	03
196	- التقسيمات الكبرى للمدينة	04
197	- المنشآت العسكرية بالمدينة	05
198	- مواقع التدخل العمراني لصالح باي 1771 - 1792م	06
199	- أحياء مدينة قسنطينة سنة 1837م	07
200	- قسنطينة في العهد العثماني	08

الصفحة	عنوان اللوحة	رقم اللوحة
202	- حي سوق العصر في الفترة الإستعمارية	01
202	- سوق العصر في الفترة الإستعمارية	02
203	- سوق العصر في النصف الثاني من القرن 19م	03
203	- سوق العصر وواجهة المدرسة في الفترة الحالية	04
204	- تحول المدرسة إلى مركز للإتصالات خلال ح.ع.2.	05
204	- المدرسة والجامع الكتاني سنة 1906م	06
205	- المدخل الرئيسي للمدرسة	07
205	- الرواق الذي يلي مدخل المدرسة	08
206	- السلم المؤدي إلى الطابق العلوي	09
206	- صحن المدرسة	10
207	- الأفواس المطللة على الصحن	11
207	- زخارف واجهة المقبرة	12
208	- جدار القبلة في قاعة التدريس	13
208	- محراب قاعة التدريس	14
209	- عقد المحراب	15
209	- عمود رخامي في محراب قاعة التدريس تحيط به مجموعة من البلاطات الخزفية	16
210	- إحدى غرف الطلبة بعد الترميمات	17
210	- الرواق الشرقي في الطابق العلوي	18
210	- طريقة التسقيف بالخشب في أروقة الطابق العلوي	19
210	- بوابة المقبرة العائلية لصالح باي	20
211	- مقبرة صالح باي (صورة قديمة)	21
211	- قبة المقبرة	22
212	- الغرفة الجنائزية التي تحوي قبري بني صالح باي	23
212	- نموذج من الأعمدة المتواجدة في الأروقة	24
212	- الطابق العلوي من المدرسة	25

213	- شاهد قبر السيدة زهيرة بنت صالح باي	26
213	- بوابة قاعة التدريس	27
214	- القسم العلوي من بوابة قاعة التدريس	28
214	- بلاطات ذات زخارف هندسية ونباتية (أوراق وثمار البرتقال)	29
215	- تجميعية من بلاطات تمثل زهرة قرنفل	30
215	- مجموعة من البلاطات الخزفية تغطي ضريح آمنة بنت صالح باي	31
216	- شاهد قبر خدوجة بنت عبد الله بن صالح باي	32
216	- تجميعية من بلاطة خزفية غطيت بها أجزاء كثيرة من المدرسة	33
217	- شاهد قبر خدوجة بنت صالح باي	34
218	- كيفية توزيع الغرف في الطابقين	35
218	- شهد قبر (القدمين) رخامي به زخرفة نباتية	36
218	- شاهد قبر (القدمين)	37
219	- تجميعية خزفية تمثل أربع مثلثات تلتقي رؤوسها في مراكز التجميعية	38
219	- شاهد قبر رخامي للسيد صالح باي	39
220	- أربع تجميعيات من نفس النوع تشكل تصميم زخرفي قوامه دائرة تتوسطها نجمة وتحيط بها لفائف ورقية وأزهار قرنفل	40
220	- كتابة في الجدار المقابل للبوابة الرئيسية عبارة عن أبيات شعرية	41
221	- كتابة في الجدار الشمالي الغربي للمدرسة	42
222	- شاهد (القدمين) في قبر خدوجة بنت عبد الله	43
222	- شاهد قبر آمنة بنت صالح باي	44
223	- شاهد قبر المرابطة عائشة بنت صالح باي	45
223	- شاهد قبر فاطمة بنت صالح باي	46
223	- شاهد القدمين متواجد في قبر فاطمة بنت صالح باي	47
224	- شاهد قبر يامنة بنت محمد بن صالح باي	48
224	- شاهد قبر عائشة زوجة صالح باي	49
225	- شاهد قبر إحدى بنات صالح باي	50
225	- شاهد قبر (القدمين) فاطمة بنت صالح باي	51
226	- شاهد قبر زهيرة بنت أحمد باي	52
226	- شاهد قبر مصطفى بن صالح باي	53

227	- شواهد القبور ذات العمامات	54
228	- سقف المدرسة	55
228	- ثريا (مصباح) متواجدة في أسفل قبة المقبرة	56

فهرس الأشكال :

الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل
230	- مخطط الطابق الأرضي للمدرسة الكتانية قبل الترميم	01
231	- مخطط الطابق العلوي للمدرسة قبل الترميم	02
232	- مخطط الطابق الأرضي للمدرسة بعد الترميم	03
233	- مخطط الطابق العلوي للمدرسة بعد الترميمات	04
234	- واجهة المدرسة الكتانية	05
235	- نموذج من الأعمدة المستعملة في المدرسة	06
236	- عقود الأروقة المطلة على الصحن	07
337	- عقود جدار المقبرة المطلة على الصحن	08
238	- بلاطة خزفية تمثل عنصر الخطاب التونسي	09
238	- بلاطة خزفية متواجدة في محراب بيت الصلاة	10
239	- بلاطة ذات زخارف هندسية ونباتية وأزهار قرنفل محورة	11
239	- بلاطة تشكل شريط وهي متواجدة في محراب قاعة التدريس	12
240	- بلاطة خزفية يتألف مركزها من عناصر نباتية تتمثل في أوراق وسيقان	13
240	- نموذج هولندي غير مكمل موضوعه عناصر هندسية ونباتية	14
241	- بلاطة خزفية تحتوي على زخارف نباتية وهندسية وهي موجودة في قبر	15
	آمنة	
241	- تجميعية من بلاطات ذات زخارف هندسية ونباتية (ثمار وأوراق البرتقال)	16
242	- بلاطة منفردة من الشكل السابق (شكل 16)	17
242	- زخرفة نباتية وهندسية تمثل ورقة الأكانتس رسمت على محور مائل	18
243	- بلاطة بها تصميم زخرفي قوام زخارفه أزهار قرنفل تحيط بحلية نباتية	19
	مركزية	
243	- بلاطة مؤلفة من خطوط ذات خطوط منكسرة وأقواس	20
244	- بلاطة خزفية غطيت بها أجزاء مختلفة من المدرسة وتحوي على زخارف	21
	نباتية وهندسية وكذا حيوانية	
244	- تصميم زخرفي قوامه دائرة مركزية تتوسطها نجمة وتحيط بها لفائف ورقية وأزهار قرنفل	22

245	- تجميعة نظمت العناصر الزخرفية فيها بشكل متداخل وهي تحوي على عناصر نباتية وهندسية	23
246	- رسم يمثل زهرة اللاله رسمت بأساليب وأشكال مختلفة عن (أرسفان)	24
247	- رسم يمثل زهرة القرنفل بأساليب متنوعة عن (أرسفان)	25
248	- أشكال مختلفة للمراوح النخيلية	26
249	- زخرفة لأوراق بسيطة ومركبة	27
250	- أنواع ورقة الأكانتة (شوكة اليهود)	28
251	- أنواع زهرة الياسمين	29
252	- شواهد القبور ذات العمامات	30
253	- أهم أنواع شواهد القبور المستعملة في الفترة العثمانية	31
254	- مختلف أشكال الخراطيش المستعملة في الفترة العثمانية	32
255	- القرميد وطرق توضع	33
256	- الأدوات المعدنية المستعملة في النقش على الرخام عن (أرسفان)	34
257	- الأدوات المستعملة في حفر الخشب	35

فهرس القبائل :

- أ -

- أولاد بن عاشور: 56

- أولاد بن صاولة : 41

- أولاد عكان : 56

- أولاد عمور: 56

- أولاد نايل : 56

- أولاد قانة : 56

-ح-

- الحراكنة : 53

- ز -

- الزمول : 56

- س -

- السقنية : 56

- ق -

- قسطيلة : 35

- ن -

- نفاوة : 35

فهرس البلدان :

- أ -

- إزمير: 52

- اسبانيا : 56-107

- الأغواط : 56

- أفلو : 56
- الأندلس : 09-11-13-25-26-84-90-170
- الأوراس : 26-53
- إيران : 11-13-19-89-90
- ايطاليا : 155-158-168
- ب -
- بجاية : 39-41-114
- برج حمزة : 33
- بسكرة : 26-33-56
- بغداد : 06-07-08-11-13-83
- البليدة : 61
- بوسعادة : 56
- بروسة : 91
- ت -
- تاجموت : 56
- تبسة : 41
- تديس : 47
- تقرت : 56-83
- تلمسان : 03-06-14-15-17-21-24-26-74-170
- تونس : 06-15-33-39-40-41-53
- تركيا : 91-168
- تيبازة : 168
- ج -
- جرجرة : 33

- الجزائر: 29-33-37-61-73-80-82-107-108-114-120

- الجلفة : 56

- ح -

- الحامة: 38

- الحيشة : 19

- الحراش: 108

- خ -

- خرسان : 10

- خورساد: 82

- الخنقة: 26

- د -

- دمشق : 06-08

- ر -

- رقادة: 39

- الرقة : 33

- ز -

- الزيبان: 26-53

- س -

- سامراء : 80-93-

- سبتة : 17

- سكيكدة : 57-93-168

- سوريا : 12

- سوسة : 09-80

- ش -

- الشام : 89
- شرشال: 168
- شنوة : 168
- ط -
- طينة الفرعونية: 82
- طبرقة : 41
- ع -
- العراق : 89
- عنابة: 73-61-57-33-26
- عين مليلة: 57
- ف -
- فاس: 170-16-15-06
- فرجيوه: 56
- فرنسا: 42
- فلفلة: 168
- ق -
- القالة: 41
- القاهرة: 06
- قسنطينة : معظم صفحات المذكرة
- قلعة بني حماد: 162-73
- القيروان : 162-73-39
- ك -
- الكوفة: 95

- م -

- مازونة: 41-26

- المدية: 41

- مراکش: 162-17

- مستغانم: 26

- المسيلة: 36

- مصر: 93 -90-89-19-13-12-11

- معسكر: 41

- المغرب: 170-93-90-80-47-26-21-16-15-14-13-11-09

- المنستير: 09

- الموصل: 82

- المنصورة: 33

- ميعة: 129-120-114-107-48-47-35

- ن -

- نيسابور: 10

- و -

- وادي سوف: 41-33-26

- ونوغة: 33

- وهران: 108-61-41-26

فهرس الأعلام :

- أ -

- ابن جببر : 10

- ابن الحاج : 40

- ابن حوقل : 35

- ابن خلدون : 178-176-172-170-07

- ابن سعيد المغربي : 35

- ابن سينا : 59-06

- ابن سيدة : 10

- ابن عبدون : 174

- ابن مرزوق : 17-15-14

- ابن مریم : 14

- ابن مقله : 95

- أبو عنان فارس : 17

- أبو الفدا : 36

- أبو المهاجر دينار : 38

- أبي الأرقم : 06

- أبي الحسن : 17-14

- أبي حمو موسى الأول : 14

- أبي حمو موسى الثاني : 14

- أبي زكريا الحفصي : 39-14

- أبي سعيد عثمان : 16

- أبي عبيد الله الشريف التلمساني : 14

- أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق : 15

- أحمد باي بن محمد الشريف : 42-43-50-51-147

- أحمد بن الناصر : 26

- أحمد الثالث : 150

- أحمد القلي : 54

- أحمد الزواوي بن جلول : 55

- أحمد باي المملوك : 114

- أحمد طوبال : 111

- الإدريسي : 35

- أرسفان : 150-152

- إبراهيم باي القرطلي : 129

- إبراهيم العليج : 42

- الأرقم بن الأرقم : 06

- ألب أرسلان : 11

- ألفنش : 106-107

- آمنة بنت صالح باي : 77-123-125

- ب -

- بروجو : 54

- البكري : 35

- بيونسال : 57

- ج -

- جلود : 37

- جون بول وولف : 23

- ح -

- الحافظ رضوان بن ولخشي : 12

- الحاكم بأمر الله : 07

- حسن باشا : 55

- حسن باي : 41

- حسن باي بوكمية : 42

- حسن بن خير الدين : 41

- الحسن الوزان : 36-25

- خ -

- خدوجة بنت عبد الله : 149-114-113-77

- خدوجة بنت صالح باي : 119-117-116-77

- خير الدين بربروس : 40

- د -

- دافيني : 40

- ر -

- رجم باي : 42

- رضوان خوجة : 64

- رمسيس الثاني : 82

- رمضان تشولاق : 41

- ز -

- زرق عينو : 53

- الزركشي : 11

- زهيرة بنت محمد : 77

- زهيرة بنت أحمد باي : 147

- س -

- ستيفان قزال : 38

- سرجون : 82

-ش -

- شارل لوي فيرو : 63

- الشافعي : 08

- شعبان بن عبد الجليل : 64

- شعبان جلول : 60

-ص -

- صالح باي : معظم صفحات المذكرة

- صالح المرتضي : 95

- صلاح الدين الأيوبي : 89-12

- ع -

- عائشة بنت صالح باي : 129-128-123

- عائشة زوجة صالح باي : 141-140-129

- عبد القادر الراشدي : 60

- عبد الملك بن مروان : 160

- عبد المؤمن : 40

- عبد الله بن مكنوم : 07

- العبدري : 34

- العاضد لله : 12

- علي خوجة : 117

- ف -

- فاطمة بنت صالح : 134-132-131-126

- فانتور دي بارادي : 23

- فايست : 54-40

- الفكون : 41
- فيليب توماس : 37
- فرحات بن مراد باي : 42
- ق -
- قارة حسن: 40
- قلره مصطفى: 117
- قسطنطين : 38
- قلاوون : 89
- القلقشندي : 36
- قوام الدين نظام الدين الطوسي بن علي : 11
- ك -
- الكتاني: 132-101-85-65-58
- كيفيت : 18
- ل -
- لميري : 40
- ليفي بروفنسال : 162
- م -
- مارمول : 40
- ماسينيسا : 38-37
- محمد الباهي : 143
- محمد الشاذلي : 61
- محمد طوبال : 111
- محمد بالكبير : 24

- محمد باي المليي : 114
- محمد جليبي : 91
- محمد خوجة : 25
- محمد المهدي شعيب : 38
- محمود الغزنوي : 11
- مراد باي : 42
- المستنصر : 12
- المستنصر بالله : 12
- مصطفى بن صالح : 110-111
- مصطفى قيساري : 64
- مصطفى قاره : 114
- المقريري : 10
- معاوية بن أبي سفيان : 80
- المنصور : 39
- ميرسي : 40-55
- المهدي بن تومرت : 14
- ن -
- الناصر بن علناس : 39
- نور الدين محمود زنكي : 12
- ه -
- هارون الرشيد : 07
- و -
- الورثيلاي : 25-36-50
- الوليد بن عبد الملك : 08

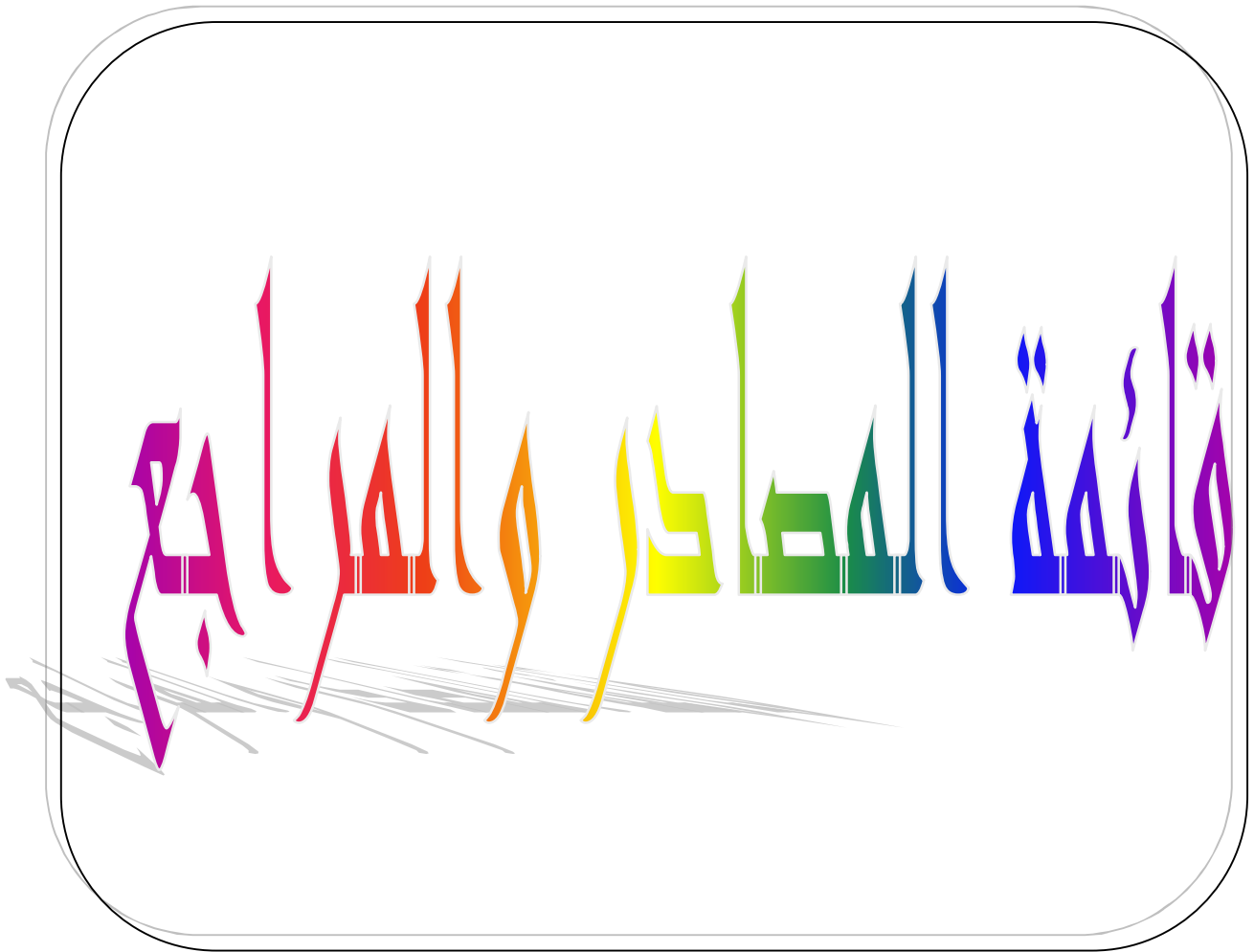
- ي -

- ياقوت الحموي : 35

- يامنة بنت محمد الخلفة : 138-137-77

- ياقوت المستعصم : 95

- يوغرطة : 38



قائمة المصادر و المراجع:

أولا : قائمة المصادر و المراجع باللغة العربية :

أ- المصادر :

- 1- ابن تيمية ، الزيادة ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف ، المغرب .
- 3- ابن حوقل، صورة الأرض، مطبعة بريل، لندن، 1967.
- 4- ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، ت .عبد الواحد الوافي ، لجنة البيان العربي ، ط2 ، 1967.
- ب- كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ذكر العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر طبعة بولاف ، د.ت.
- ج- كتاب تاريخ ابن خلدون ، المجلد 7 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، د.ت.
- 5- ابن سعيد المغربي ، الذخائر الجغرافية ، حققه .إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط1 1970.
- 6- ابن عبدون ، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة .
- 7- ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة و تقديم . ماريا خيسوس بغيرا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
- 8- بن ميمون محمد الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحمية ، تحقيق و تقديم . محمد بن عبد الكريم ، الجزائر ، 1972 .
- 9- أبي الفدا ، تقويم البلدان ، تصحيح . رينو والبارون ماك كوكين دوسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس 1840.
- 10- أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، ج1، المكتبة الحسنية، القاهرة، ط1، 1328هـ.
- 11- أبو الوليد محمد بن رشد ، فتاوى بن رشد ، تحقيق.المختار بن الطاهر التليبي ، السفر الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987.

- 12- أبي عبيد البكري، المسالك و الممالك، ت. أدريان فان ليوفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992.
- 13- أمبارك عبد العزيز أحمد ، شرح تدريب السالك إلى أقرب الممالك ، تحقيق. أحمد بن محمد العزيز المبارك ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، 1995 .
- 14- الحاج أحمد المبارك ، تاريخ حاضرة قسنطينة ، ت. رايح بونار ، د.ط، د.ت.
- 15- الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف إفريقيا ، ج 2، ترجمة. محمد حجي و محمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، 1983.
- 16- الحسين بن محمد الورثياني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ ولأخبار ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان . 1917 .
- 17- ياقوت الحموي ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، دار صادر ، بيروت ، ط2 ، 1995.
- 18- الزركشي محمد ، أعلام الساجد بأحكام المساجد ، ت. أبو الوفاء مصطفى المرعي، القاهرة، ط3، 1992.
- 19- السلاوي ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج1، طبعة مصر ، د.ت.
- 20- الشريف الإدريسي ، وصف إفريقيا الشمالية مأخوذ من نزهة المشتاق ، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية الجزائر ، 1957.
- 21- شعيب محمد الهادي ، أم الحواضر في الماضي و الحاضر أو تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر . 1985.
- 22- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب و تاريخ مدينة فاس ، راجعه . عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط2 ، 1420هـ/1999م.
- 23- الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج1 ، مطبعة الميمنة ، مصر 1312هـ/1894م.
- 24- القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، د.ت.
- 25- المقرئزي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروفة بكتاب الخطط ، ج3 ، دار التحرير للطبع والنشر 1967-1968.

ب- المراجع :

1- أبو القاسم سعد الله :

أ- بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1، 2003.

ب - شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1406 هـ/1986م.

ج- تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1406 هـ /1986 م .

2- أحمد زهران محمد ، فنون أشكال المعادن والتحف ، المكتبة الأنجلو مصرية ، مصر ، 1965.

3- أحمد يوسف ، الخط الكوفي ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ط1 ، 1351هـ/1933م.

4 - الأحمر مصطفى ، تشكيل الخشب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1990.

5- إسماعيل عثمان ، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون التطبيقية ، ج4 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، ط1 ، 1993م.

6- نعمت إسماعيل ، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ، دار المعارف ، مصر ، 1974.

7- أصلانابا أوقطاي ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة. أحمد محمد عيسى ، مطبعة (نكلر) ، اسطنبول 1407هـ/1987م.

8- الألفي أبو صالح ، الفن الإسلامي (أصوله ، فلسفته ، مدارسه) ، دار المعارف ، مصر ، 1969.

9- أمين حسين ، المدرسة المستنصرية ، مطبعة شفيق ، 1960.

10- أندريه باكار ، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة ، سامي جرجس، المجلد الأول ، نشر أوتوليه، 1974.

11- رشيد بورويبة ، قسنطينة ، سلسلة الفن و الثقافة ، وزارة الإعلام ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، جوان 1987.

12- بنين أحمد شوقي ، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي ، كلية الآداب ، الرباط ، ط1، 1993.

13- التازي عبد الهادي ، جامع القرويين ، المسجد الجامعة بمدينة فاس ، المجلد 2 ، ط1 ، 1973.

14- الجيور يحيى وهيب ، الخط و الكتابة في الحضارة العربية ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1 ، 1984.

15- جمعة إبراهيم ، دراسات في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة ، دار الفكر العربي ، 1969.

16- الجليلي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965.

- 17- حاجيات عبد الحميد ، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان ، الجزائر في التاريخ ، ج3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984.
- 18- الحريري محمد عيسى ، تاريخ المغرب و الأندلس في العصر المريني ، دار القلم للنشر و التوزيع ، الكويت.
- 19- حسن عبد النعيم محمد ، إيران و العراق في العصر السلجوقي ، دار الكتب المصرية و دار الكتاب اللبنانية القاهرة ، بيروت ، 1982.
- 20- حلوش عبد القادر ، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ، دمشق ، 1985.
- 21- حمودة حسن علي ، الفن والزخرفة ، الهيئة المصرية العامة للفنان ، 1976.
- 22- حمودة محمود عباس ، الوثائق العثمانية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت.
- 23- حيدر كامل ، العمارة العربية الإسلامية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1995م.
- 24- خلف الله بوجمعة ، العمران و المدينة ، عين مليلة ، الجزائر ، ط1 ، 2005.
- 25- خليفة ربيع حامد ، الفنون الإسلامية في العصر العثماني ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط3 ، 2005
- 26- خليفة شعبان عبد العزيز ، الكتب و المكتبات في العصور الوسطى ، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1418هـ/1997م.
- 27- الدولاتلي عبد العزيز ، مدينة تونس في العهد الحفصي ، تعريب. محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي ، دار سراس للنشر الدولاتلي ، 1981.
- 28- زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، ج3 ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، 1401هـ/1981م.
- 29- سالم عبد العزيز :
- أ- المغرب الكبير في العصر الإسلامي ، ج2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م.
- ب- بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1992 .
- 30- سامح كمال الدين ، العمارة في صدر الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987.
- 31- سعداوي صالح ، الدولة العثمانية تاريخ و حضارة ، تقديم. إكمال الدين إحسان، المجلد الثاني ، إريسكا استانبول 1999م.
- 32- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية ، دار المغرب الإسلامي ، الجزائر ، 1974م.
- 33- سعيدوني ناصر الدين والشيخ البوعبدلي المهدي ، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني) ، ج4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
- 34- شلي أحمد ، تاريخ التربية الإسلامية ، عالم الكتاب ، القاهرة ، 1985.

- 35- الشافعي فريد ، العمارة في مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1976.
- 36- شلوصر فندرلين ، قسنطينة أيام أحمد باي ، ترجمة. أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د.ت.
- 37- الصالح صبحي ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، 1976.
- 38- الصيد سليمان ، نفع الإزهار عما في قسنطينة من الأخيار ، الجزائر ، ط1 ، 1984.
- 39- طالو محي الدين ، الرسم واللون ، مكتبة الأطلس ، دمشق ، 1961.
- 40- الطايش علي أحمد ، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة ، (في العصرين الأموي و العباسي) ، مكتبة زهراء الشرق للطبع و النشر ، ط1 ، 1420هـ/2000م.
- 41- محمد رزق عاصم ، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة ، ج1، مؤسسة حسن حواد ، بيروت ، لبنان ط1 ، 2003.
- 42- عبد الجواد توفيق حمد ، مواد البناء وطرق إنشاء المباني ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ط1 ، 1967.
- 43- عبد الحميد سعد زغلول ، العمارة و الفنون في دولة الإسلام ، منشأة المعارف ، طبعة الانتصار ، الاسكندرية.
- 44- عبد الدائم عبد الله ، التربية عبر التاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1973.
- 45- عبد الرزاق أحمد ، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1411هـ/1991م.
- 46- العبدري محمد الهادي ، الرحلة المغربية ، ت .أحمد بن جدوا ، الجزائر ، 1965 م.
- 47- عزت رجب ، تاريخ الأثاث منذ أقدم العصور ، القاهرة ، 1978.
- 48- عكاشة ثروت ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1961.
- 49- عيسى أحمد ، تاريخ البيمارستانات ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981.
- 50- غانم محمد الصغير ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، 2000.
- 51- فكري أحمد ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج2، دار المعارف ، مصر ، 1965.
- 52 - فيلاي عبد العزيز ، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط دراسة سياسية عمرانية ، ثقافية ، مطبعة دار البعث ، قسنطينة 2002 .
- 53- فيلاي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي ، مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، ط1 ، 1404 هـ / 1984 م.
- 54- القرضاوي يوسف ، الحلال والحرام في الإسلام ، ط 4 ، 1985

- 55- كرد علي ، خطط الشام ، ج6 ، مطابع دار القلم ، بيروت ، ط 2 ، 1972م.
- 56- لعرج عبد العزيز ، الزليج في العمارة الإسلامية في العصر التركي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط1 ، 1990م.
- 57- لعروق محمد الهادي ، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران ، د.م.ج ، بن عكنون ، الجزائر ، 1984.
- 58- لمعي مصطفى صالح ، القباب في العمارة الإسلامية ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت.
- 59- ماهر سعاد ، الخزف التركي ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية ، القاهرة ، 1977.
- 60- المبارك الحاج أحمد ، تاريخ حاضرة قسنطينة ، ت. رابح بونار ، د.ط ، د.ت.
- 61- المدني أحمد توفيق ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974.
- 62- مرزوق محمد عبد العزيز :
- أ- الفنون الزخرفية في المغرب و الأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان. د.ت.
- ب- الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974.
- 63- مرسي عصام عادل ، دراسة جديدة لبعض تصاوير آل عثمان في مفرش من النسيج (دراسات و بحوث في الآثار و الحضارة الإسلامية) ، الكتاب الشامي ، دار الوفاء للطباعة و النشر ، ط 1 ، 2005.
- 64- مرسي محمد منير ، التربية الإسلامية ، عالم الكتاب ، القاهرة ، 1985م.
- 65- عنايات المهدي ، روائع الفن في الزخرفة الإسلامية ، دار الطباعة ابن سينا ، القاهرة ، 1992.
- 66- نشاي هشام ، المؤسسات التعليمية في المدينة الإسلامية ، اليورسكو ، السيكومور ، 1983.
- 67- هرت وانر ، أشكال التجارة العامة ، ترجمة عبد المنعم عاكف ، دار الأهرام للتأليف ، القاهرة ، 1970 .
- 68- وجدان علي نايف ، سلسلة التعريف بالفن الإسلامي ، ج1 ، دار النشر ، عمان الأردن ، دط ، دت.
- 69- وزير ييجي ، عناصر العمارة الإسلامية ، د.ط ، د.ت.
- 70- الولي طه ، المساجد في الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1409هـ / 1988م.
- 71- وولف جون بول ، الجزائر وأوروبا ، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986.

3- الرسائل :

- 1- بوضرساية بوعزة ، الحاج أحمد باي رجل دولة و مقاوم 1826-1848 ، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر ، د.ت.
- 2- بن بلة خيرة ، دراسات في النقوش الكتابية التذكارية على المباني بمدينة الجزائر في العهد العثماني ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، 1993.
- 3- تملكشت هجيرة ، المدرسة البوعنانية دراسة أثرية معمارية فنية ، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2001-2002.
- 4 - حلوش عبد القادر ، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1871-1914 من تسيير في الحديث والمعاصر ، إشراف محمد خير الدين فارس ، دمشق ، 1985.
- 5- خلاصي علي ، قصبة الجزائر القلعة وقصر الداوي ، 1985.
- 6- خمري الجمعي، حركة الشبان الجزائريين ، 1900-1930م ، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر ، إشراف حماد حسين ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسنطينة ، 1994.
- 7- درياس لخضر ، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، رسالة ماجستير ، الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر ، 1998.
- 8- زكية العربي راجعي ، الزخارف الجدارية في المغرب الأوسط (من بداية العصر الموحدى إلى نهاية العصر المريني) ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1993.
- 9- شهبي عبد العزيز ، مساجد أثرية في منطقة الزاب ووادي ريغ ، رسالة دكتوراه ، الحلقة الثالثة في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1986.
- 10- محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر 1985.
- 11- فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة و المجتمع ، ج2 ، رسالة دكتوراه في التاريخ ، جامعة قسنطينة 1998.
- 12- جميلة معاشي ، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ-16م/13هـ-19م رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث ، قسنطينة ، 1990-1991.
- 13- صالح نور ، مساهمة في دراسة بعض الجوانب التاريخية للعهد العثماني بقسنطينة من 1517 إلى 1837 رسالة ماجستير في التاريخ ، الجزائر ، 1978.
- 14- لعرج عبد العزيز محمود ، المباني المرنية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية معمارية فنية ، ج1 ، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1999.

15- عبد الحق معزوز ، تطور الخط الكوفي بالجزائر على الحجر والرخام والخشب والجص منذ القرن (2هـ/8م إلى 8هـ/14م) دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير ، 1995-1996 .

6- الدوائر والمعاجم والسلاسل والدوريات :

- 1- الباشا حسن ، موسوعة العمارة و الآثار و الفنون الإسلامية ، المجلد الثالث ، أوراق شرقية للطباعة و النشر بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420هـ/1999م.
- 2- الجبوري كامل سليمان ، موسوعة الخط العربي ، الخط الكوفي ، ج5، مكتبة الهلال للطباعة و النشر، بيروت لبنان ، ط1 ، 1420هـ/1999م.
- 3- الخطيب مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 1996.
- 4- العلوي حسن حافظ ، المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط ، تنسيق محمد حمام ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 80.
- 5- غربال محمد شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة ، الدائرة القومية للطباعة والنشر مطبعة القاهرة ، مصر، 1965.
- 6- الفاروقي لوس لمياء ، الفاروقي إسماعيل زاخي ، ترجمة لؤلؤة عبد الواحد ، أطلس الحضارة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1988 ، ص266.
- 7- كلوس كرز و آخرون ، معجم العالم الإسلامي ، ت. ج. كتورة ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت، ط2، 1998.
- 8- مشرف عبد الغني محمد و الطاهر إدريس عثمان ، قاموس المصطلحات الرسومية المصورة ، جامعة الملك سعود عمان ، 1990.
- 9- مولود خالد ، النقائش والكتابات العربية "النقائش العربية بإفريقيا وتطورها من القرن الثالث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس هجري" ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، تونس ، 1988.

د- المجلات :

- 1- أحمد زهير ، رايات العرب والمسلمين ، عن مجلة المورد ، العراق ، م15 ، ع3 ، 1976.
- 2- بوعزيز يحي ، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، عن "مجلة الثقافة" ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، العدد 63 ، 1981 .
- 3- الجيلالي عبد الرحمان ، الجامع الكبير بمدينة الجزائر عن مجلة الأصالة ، وزارة الثقافة ، العدد 8 ، ربيع الثاني 1392هـ/ماي 1972م.
- 4- حضيف محمد ، مدرسة أبو يوسف بمراكش ، عن مجلة "المتحف العربي" ، الكويت ، مارس ، 1989.

- 5- السحونوي أمقران ، المعهد الكتاني بقسنطينة قرنان في خدمة الثقافة العربية الإسلامية (1787-1987م)
عن مجلة التراث ، تصدرها جمعية التاريخ ، شركة الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1989 .
- 6- سعيدوني ناصر الدين ، وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت ، عن مجلة "الأصالة"
وزارة الشؤون الدينية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، عدد 1978 .
- 7- العمراني عبد الله ، جامعة القرويين ، عن مجلة "البحث العلمي" ، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط العدد
11- 12 ، ماي ديسمبر 1967 .
- 8- عنوتي أسامة ، المدارس و التدريس من خلال سلك الدر للمردى ، عن مجلة الفكر العربي ، مايو حزيران يوليو ، العدد
21 ، السنة الثانية ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، 1981 .
- 9- غانم محمد الصغير ، قسنطينة عبر تاريخها القديم ، عن مجلة "العلوم الإنسانية" ، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر
عدد 12 ، 1999 .
- 10- فحام إبراهيم ، أغطية الرؤوس في العالم العربي ، عن مجلة الدوحة ، ع81 ، قطر ، 1982 .
- 11- الكحلوي محمد ، المدارس المغربية ، دراسة أثرية معمارية ، عن مجلة العصور ، مجلد8 ، دار المريخ للنشر
لندن ، 1991 .
- 12- لعرج عبد العزيز محمود ، المدارس الإسلامية : دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها ، عن مجلة "دراسات إنسانية"
دار الحكمة ، الجزائر ، العدد الأول ، 1421هـ / 2001م .
- 13- المنوني محمد ، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ، عن مجلة "البحث العلمي" ، العدد الأول
جانفي 1962 .

المراجع باللغة الأجنبية:

- 1- **Adam (J.P.)** , La construction romane , Matériaux ,3eme édition , Paris ,1995.
- 2-**Arseven (C.E)**, Les arts décoratifs turcs, Ankara , S.D.
- 3- **BERBRUGGER(A)**, Epoque de l'établissement de turcs à Constantine , in R . A 1856-1857 .
- 4- **Bel(ALFRED)**, les industries de la céramique à Fes, j.corbonel Alger 1918.
- 5-**Bernard (Bagand)** , La midina de Constantine de la cete traditionnel au coutre de la glomeration universitè de Poitiers , 1989 .
- 6-**Bourouiba (R)** , Apport de l' Algérie a l'architecture religieuse Arabo-islamique O,P,U , Alger ,1985 .
- 7- **Broussaud (G.)** , Les carreaux dépeints dans l'Afrique du nord , collection centenaires ,Alger ,1830 .
- 8- **Charles (Terasse.)** , Madrasa du Maroc , Paris , Morance , S.D.
- 9- **Cherif (M.H)** , pouvoir et socite dans la Tunisie de rusayn bin ali (1507-1740) Tunis publ, fac de Tunisie ; 2 vol 1984-1986 , Alger ,1866 .
- 10- **Diez** , L'art de Islam , Index générale , Paris.
- 11- **Douveleur (m)** , Constantine editions de la jeune, paris S.D.
- 12- **Doat(P.)**, **Hays(A.)**, Construire en terre, achever d'inprimer par le groupement gamma France,1979.
- 13- **Feraud(L .CH)** La Sahara de Constantine notes et souvenirs , Alger , 1979 .
- 14 - **Gaid (M.)** ,Chronique de Buys de Constantine, o.p.u, alger S.D.
- 15- **Golvin (L.)** :
 - A- Essai sur l'architecture religieuse musulmane , klinek siek , Paris , 1970
 - B- la madrasa médiévale dépôt légal, 4 eme trimestre imprimee en France 1951.
- 16 - **Grand (F.)** , Traité de technologie ,Fédération romande des maîtres – menuisier Ebénistes, Fabricants de meubles , menuisiers , Charpentiers et Parqueteurs Lausanne, 1954.
- 17-**Henri (T.)** , Sanctuaires et forteresses Almohades , Collection héspéris Larousse, Paris , 1932 .
- 18- **Grimal (P)** , Les villes Romanes , Paris,1945 .
- 19- **Kamar (A.)** , Matériaux et éléments de construction , Edition Eyrolles , Paris 1978 .

20-**Lakhdar Guarbi**, the palace of salah bey in the Constantine, Constantine 1988.

21 - Marçais (G.) :

A- Manuel d'art musulman –L'architecture Tunisie ,Algérie
Maroc , Espagne et Sicile , E'dition auguste picard , T2 , Paris , 1929.

B- Les costumes Musulman d'Alger collection du centenaire
1830 .

C- l'architecture musulmane d'occident

(Tunisie,Algerie,Maroc),Espagne et socile, arts et métiers graphiques, 2eme
trimester, T. VI , paris, 1954.

22- Marçais (W.) ,et Georges , Les monument Arabes de Tlemcen , Albert
fentemoing , E'diteur , Paris , 1905.

23- Mercier(G.) , corpus des inscription Arabes et Turques de l'Algérie , Eranest
leroux E'diteur , Paris , 1902.

24-Mericier(E.) ,Histoire de Constantine, édition braham , Constantine
1903.

25- Migeon(G.) ,Manuel d'art musulman, tom1 ,edition august picard ,S.D.

26-Paul (Louis Cambuzat),L'volution de cites de tell en ifriqiya Ro.p.u.tII,SD.

27- PHILIPERT(M.) , Notes sur les carreaux de faïences en Algérie, comite du
Viel Alger , Alger 1973.

28- Olivier(E.) ,Technologie matériaux de contraction , TII ,5eme édition , Paris
1976.

29- Revault(g.) 'l'habitation tunisoise, pierre, marbre et fer dans la construction et
le décor, CNRS, 1978.

30- Revault(G.) , Golvin(L.) ; AMAHAN(c), palais et demeurs de fais, temps
mérinides et saadienne (XIVé-XVI siècle) CNRS, paris 1985.

31- Ricard(P.) , Pour comprendre l'art musulman dans l'afrique du nord et en
Espagne , hachette 1924.

32-Rousseau (G.) , L'art décoratif musulman, marcel rivièrre editeur, paris 1934.

33-SAFADI Yacine(H.) , calligraphie islamique chene, paris 1978.

34-SALADIN(H.) , Manuel d'art musulment, tom1, l'architecture libraire
alphone honse picard et fils, paris 1927.

35-Vayssttes , l' histoire de Constantine de puis l'invaton turque jusqu'à
l'occupation de 1835-1837, l'arndet Paris , 1900.

- (1)-**Bernard (Bagand)** , La midina de Constantine de la cete traditionnel au ceutre de la glomeration université de Poitiers , 1989 .
- (2)-**Berbroger**, documents sur Alger a l'époque du consulat et de l'empire, R.A. N° 32 / N° 38.
- (3) – **Cauvet** , Les marabouts petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique ,in .(R.A) , 1923.
- (4)- **Cherif (M.H)** , pouvoir et société dans la Tunisie de Husayn Bin Ali (1705-1740) Tunisie Publ, fac de Tunisie ; 2 vol 1984-1986.
- (5)- **Devoulx (A)** :
- A- le édifices religieux de l'ancien Alger, revue Africaine , TXI, année 1867.
- B-le édifices religieux de l'ancien Alger, revue Africaine , TXI, année 1867 Alger 1866 .
- (6)-**Feraud ,(L.)** , Les anciens établissements religieux Musulmans de Constantine,(R,A) N° 12 , 1868.
- (7)-**Feraud (L.ch.)**, l'explidition d'oriell, R.A N°27, 1965 .
- (8)- **Janine sourdel(Thomime)**, locaux d'enseignements et mederas dans l'islam) , revue d'étude islamiques, tomeXIX, imprimée en France, 1976.
- (9)- **Marcais(G)** , L'exposition d'art musulman, d.S revue-africaine N°49 -1 année 1905 .
- (11)- **Vayssttes(E.)**,Histoire de Constantine sous la domination turque de -2 1517 a 1837 Constantine(R.C) , 1867.
- (10)- **Vayssttes(E.)**, histoire de constantine depuis l'invation turque jusqu'à l'occupation de 1835-1837 (R.C) .

القواميس :

- (1)- Dictionnaire Larousse , vol 2 , 1982
- (2)- Dictionnaire technique du battement et des travaux publics , Paris , 1988.
- (3)-**Rouaix (P.)** ,Dictionnaire des arts décoration , labrairie illustrée , Paris S.D.
- (4)-**Bouillt(M.N.)** , Dictionnaire universel des sciences des lettres et des arts librairie de l.hachette el cle , Paris , 1875.

الفهرس العام :

المقدمة.....أ- و

الفصل التمهيدي :

الحياة الثقافية

- 04 1- موقف الدين الإسلامي من العلم والتعليم
- 06 2- مراكز التعليم الأولى في الإسلام
- 06 أ- المساجد
- 07 ب- دور السكن
- 07 ج- الكتاتيب
- 07 د- دور الحكمة
- 07 د-1- دور العلم
- 07 د-2- بيوت الحكمة
- 08 هـ - البيمارستان
- 09 3- ظهور المدارس وتطورها
- 10 أ- تعريف المدرسة
- 11 ب- نشأة المدارس وتطورها في المشرق الإسلامي
- 13 ج- نشأة المدارس وتطورها في بلاد المغرب الإسلامي
- 18 4- التعليم في الجزائر في العهد العثماني
- 20 أ- التعليم في العاصمة
- 21 ب- التعليم في تلمسان
- 21 ج- التعليم في قسنطينة
- 22 5- العلوم المدرسة
- 23 6- أهم المدراس في الفترة العثمانية
- 23 أ- المدرسة القشاشية في العاصمة
- 23 ب- مدرسة الأندلسيين بالعاصمة
- 23 ج- مدرسة شيخ البلاد بالعاصمة
- 24 د- مدرسة الخنقة بيسكرة
- 24 هـ - مدرسة مازونة بتلمسان

7- الإنفاق على المؤسسات..... 25

8- ضريح صالح باي ومقبرته العائلية..... 26

الفصل الأول:

مدرسة صالح باي بقسنطينة عاصمة بايلك الشرق ومقبرته

I- مدينة قسنطينة..... 33

1- جغرافية المدينة..... 33

أ- الموقع الفلكي..... 33

ب- الموقع الإقليمي..... 33

ج- مناخ المنطقة..... 34

2- قسنطينة من خلال النصوص التاريخية..... 35

3- التطور التاريخي لمدين قسنطينة..... 37

أ- قبل الإسلام..... 37

ب- في العهد الإسلامي..... 38

ج- في العهد العثماني..... 40

ج-1- تكوين البايك..... 41

ج-2- تطور البايك..... 41

ج-3- أهم المراحل التاريخية للبايك..... 42

ج-4- بايات قسنطينة..... 44

4- التطور العمراني للمدينة..... 46

أ- قبل الإسلام..... 46

ب- في العهد الإسلامي..... 46

ج- في العهد العثماني..... 48

د- في الفترة الإستعمارية..... 51

II- معلومات عن المدرسة..... 52

1- مؤسس المدرسة..... 52

1-1- حياته..... 52

1-2- نشاطاته السياسية..... 56

- 57.....3-1- المجال العمراني والاقتصادي
- 57.....4-1- أعماله الثقافية والدينية
- 582- موقع المدرسة
- 583- تاريخ المدرسة
- 594- نظام سير المدرسة
- 615- المدرسة في الفترة الاستعمارية
- 62.....III- مؤسسة صالح باي للأوقاف
- 63.....1- نسخة وثيقة أوقاف صالح باي
- 64.....2-أوقاف مركب سيدي الكتاني
- 66.....3- محتوى الأوقاف بمدينة قسنطينة

الفصل الثاني :

الدراسة الوصفية للمدرسة والمقبرة

- 69.....I- المكونات المعمارية للمدرسة
- 69.....أ- الوصف المعماري
- 69.....1- المخطط العام
- 69.....2- المظهر الخارجي
- 69.....أ - الواجهات
- 69.....ب - كتلة المدخل
- 70.....ج - المداخل
- 71.....د - السقيفة
- 71.....3- المظهر الداخلي
- 71.....3-1- الطابق الأرضي
- 72.....أ- الصحن
- 72.....ب- قاعة التدريس
- 73.....ب1- المحراب
- 74.....ب2- النوافذ
- 74.....ج- غرف الطلبة
- 74.....د- الدرج
- 75.....3-2- الطابق الأول

76.....	4- المقبرة.....
79.....	II- الزخارف المعمارية.....
79.....	أ- وسائل الدعم.....
79.....	1- الأعمدة.....
80.....	2- الدعائم.....
80.....	3- التيجان.....
81.....	ب- السواند الحائطية.....
81.....	ج- العقود.....
82.....	د- التسقيف.....
82.....	1- التسقيف الخشبي.....
82.....	2- القباب.....
82.....	3- الأقبية.....
83.....	هـ- الدرج.....
84.....	و- النوافذ.....
85.....	ي- الأبواب.....
85.....	ر- الكوة.....

الفصل الثالث :

الدراسة التحليلية

89.....	I - التحليل المعماري.....
89.....	1- المخطط العام للمدرسة.....
89.....	2- تخطيط المدارس الإسلامية.....
89.....	أ- المدارس بالمشرق الإسلامي.....
90.....	ب- التخطيط العام للمدارس بالمغرب.....
91.....	ج- تخطيط المدارس العثمانية.....
92.....	3- العناصر المشتركة لأنظمة تخطيط المدارس.....
92.....	4- العناصر غير المشتركة في تخطيط المدارس.....
93.....	5- العناصر الزخرفية.....
94.....	II - التحليل الفني.....
94.....	1 - الزخارف الكتابية.....

- 95.....أ- أنواع الخطوط المستعملة في المدرسة والمقبرة.
- 95.....1- الخط النسخي.
- 96.....2 - خط الثلث.
- 97.....ب- كتابات المدرسة الكتانية.
- 103.....ج- كتابات المقبرة العائلية لصالح باي.
- 148.....2- الزخارف النباتية.
- 150.....1- الأزهار.
- 150.....أ- زهرة اللالة.
- 151.....ب- زهرة القرنفل.
- 151.....ج- الوردة.
- 151.....د- الأزهار المفصصة.
- 152.....2- الأوراق.
- 152.....أ- ورقة الأكاتس.
- 153.....ب- أنصاف المراوح التخيلية.
- 154.....3- السيقان.
- 154.....4- الثمار.
- 155.....3- الزخارف الهندسية.
- 157.....1- الخط.
- 157.....أ- الخط المستقيم.
- 157.....ب- الخط المتموج.
- 157.....ج- الخط المقوس.
- 157.....2- الأشكال المساحية.
- 157.....أ- المربعات.
- 158.....ب- المثلثات.
- 158.....ج- الدوائر.
- 158.....3- الأشكال المضلعة.
- 159.....4- الزخارف الحيوانية.
- 160.....5- الزخارف الرمزية.
- 160.....1- القلب.

- 160.....2- الهلال
- 161.....6- الألوان
- 162.....7- شواهد القبور

الفصل الرابع :

مواد البناء وطرق الوخرفة

- 168.....I- مواد البناء وطرق تنظيمها واستخداماتها
- 168.....1- الرخام
- 169.....2- الجص
- 171.....3- الحجارة
- 172.....4- الملاط
- 174.....5- الآجر
- 175.....6- القرميد
- 177.....7- الخشب
- 179.....8- المعادن
- 180.....أ- النحاس
- 180.....ب- البرونز
- 180.....ج- الحديد
- 181.....II- أساليب الزخرفة وتقنياتها
- 181.....1- تقنية الحفر أو النحت
- 181.....أ- الحفر البارز
- 181.....ب- الحفر الغائر
- 181.....ج- الحفر على الجص
- 182.....2- الزخارف القالبية
- 183.....3- النحت على الرخام
- 183.....3- تقنيات الزخرفة على الخشب
- 184.....أ- الحفر على الخشب
- 184.....ب- طريقة التجميع والتعشيق

185.....	4- الطلاءات التلوينية (الزخارف بالطلاء)
185.....	أ- طلاء الزليج.....
185.....	ب- تلوين الزجاج.....
185.....	ج - طلاء الجدران بالجير.....
186.....	د - طريقة تلوين الخشب.....
187.....	- أعمال الترميم.....
189.....	- الخاتمة.....
191.....	- الملاحق.....
295.....	- قائمة المصادر والمراجع.....
307.....	- الفهرس العام.....